وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح

ورقلة

****

كليّة الآداب واللُّغات

قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها

تخصص : النَّحو العربي مدارسه ونظرياته

إعداد الطالب : عبد الله عماري

الموضـوع:

محمَّد بن أُبَّ المُزمِّري الجزائري التَّواتي وجهوده في النَّحو

نوقشت يوم : 03 مارس 2010

أمام لجنة الناقشة المكونة من :

أ.د _ أحمد جلايلي	أستاذ محاضر بجامعة ورقلة	رئيساً
أ.د _ أبوبكر حسيني	أستاذ محاضر بجامعة ورقلة	مشرفاً
أ.د _ عبد المجيد عيساني	أستاذ محاضر بجامعة ورقلة	مناقشا
أ.د _ جودي مرداسي	أستاذ محاضر بجامعة باتنة	مناقشاً

قال تعالى :

﴿ مِّنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَّنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب23]

صدق الله العظيم .

ملخص باللغة العربية :

محمّد بن أُبَّ المزمِّري هو أبو عبد الله محمد بن أحميد بن عثمان بن أبي بكر المزمِّري نسباً ، التواتي مسكناً ، من مواليد 1094ھ الموافق لـ1683م ، بمنطقة توات (أدرار حالياً) ، وبها نشأ وتلقى مبادئ علومه ، فظلّ هناك دارساً ومدرساً ، ليشدّ الرّحال بعد ذلك إلى عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية ، حتى أستقرّ أخيراً بمدينة تيميمون الواقعة شمال الولاية ، وبها توفي رحمه الله سنة 1160ھالموافق لـ1747م . تاركاً وراءه تراثاً نحوياً يحمل في طياته بوادر التجديد والاجتهاد، وتمثلت تلك البوادر في اهتمامه بأعمال النُّحاة ، كوضعه لمنظومات على مقدمة ابن آجروم ، وشرحه للامية ابن المجراد في إعراب الجمل ، واهتمامه بمسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب .

الكلمات الافتتاحية : مدى اسهام محمد بن أبَّ المزمَّري الجزائري التواتي (ت1160 هـ) في النحو العربي ، وتأثير مصنفاته النحوية في بيئته التواتية .

ملخص باللغة الفرنسية :

OBJET : Mohamed ben obba Elmouzammiri Et Ses Efforts Dans Le Grammaire .

Mohammed ben obba est : Abou Abdallah ben Ahmid ben Abou Baker Elmouzammiri à l'ougine , mais il s'installe à Touat .il est né en 1049 de l'année higére correspondant à 1683 de l'année critienne ou il grondait ,prit ses principes et ses sciences , Il était là-bas un apprentis etun enseignant à la fais .

Il voyagea aux plusieurs villes et lieux arabes et islamiques .Il s'installa d'une façon définitive à Timimoun qu'elle se situe au nord de la Wilaya d'Adrar . Ou 'il est (Dieu le bénisse) mort en 1160^{h} correspondant à 1747^{jc} en laissant un patrimoine grammatical , qui porte les débuts du renouvellement et de la recherche(El-idjtihad).

MOTS D'OUVERTURE OU BIEN AUANT PROPOS

Mohamed ben obba Elmouzammiri Et Ses Efforts Dans Le Grammaire . à Touat

المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي رفع بالعلم منصب العلماء ، وبنسبته دُعُوا في ملكوت السماوات عُظماء ، واصطفاهم واجتباهم وجعلهم به كرماء ، وبدلائله ومعالمه في خليقته خلفاء حكماء ، والصلاة والسلام على المبعوث بالعلم والهدى ، الموضِّح للسُّبل المذهب للرّدى ، سيدنا ومولانا محمّد الشافع المشفَّع غدا ، وعلى آله وصحبه ذوي الكرم والنّدى ، وبعد :

إنّ علم النحو من أسمى العلوم قدراً ، وأنفعه أثراً ، نشأ في أحضان جزيرة العرب ، على يد رجال سخّروا كامل وقتهم وجهدهم لخدمته ، هذا العلم الذي حظي منذ بداياته إلى يومنا هذا بعدد هائل من البحوث والدّراسات ، ما بين تقنين ، وتحقيق ، وشرح ، وتفسير ، وتعليق ، بالإضافة إلى ما يتعلق بالنحاة ، من حيث حياتهم وجهودهم ، وبيئتهم ، ومصادرهم ، ومناهجهم.

وحريٌّ بالمرء قبل أن يعرف علماء العالم ومفكريه ، أن يهتم ويعرف علماء بلده بالدرجة الأولى ؛ ذلك أن بلاد الجزائر خلَّفت رجالاً في الدرس النحوي ، ظلُّوا _ ولفترة طويلة _ تحت طي النسيان ، وجدار الصمت المخيِّم ، على الرَّغم من وفرة الإبداع والأعمال التي تحمل في طياتها بوادر الاجتهاد والتجديد ، حينها لا بد من التسلُّح بسلاح الإيمان ، والغيرة على أمجاد الوطن والأمة .، وكفى به من سلاح .

وإذا كان الأمر كذلك ، **فإلى أي مدى يمكن أن نُدخِل اسم "محمد بن أُبَّ المُزمِّري" ضمن هؤلاء الرجال** ؟ ،وماهي مكانته بينهم ؟،وما هي الجهود التي بذلها في ميدان النحو؟،وهل في مؤلفاته ما يؤكد ذلك نظرياً – على الأقل –، وعملياً – ولو إلى حدٍ ما– ؟، وما هو المنهج النحوي الذي سار عليه لتحقيق ذلك ؟

ولإيجاد جوابٍ شافٍ يكشف لنا عن الجهود العملية النحوية لمحمّد المزمِّري الجزائري التواتي، لابدّ من البحث ، والتنقيب ،والوقوف على الآثار التي خلّفها، وهو موضوع بحثنا الموسوم بـ :**"محمد بن أُبَّ المُزمِّري الجزائري التواتي وجهوده في النَّحو"**.

و إن ما جذب اهتمامي للبحث في هذا التراث ، عدَّة أسباب أهمهما :

01 / إن البحث في هذا الموضوع ضرورة دعت إليها حاجة المكتبة العربية عامة والجزائرية خاصة، فكان أساساً بضرورة الخوض فيه ، لإماطة اللثام عن هذا التاريخ،لتظهر لنا شخصية محمّد بن أُبَّ المزمّري المخلصة، ودراساته القيّمة ،ومساهماته الكثيرة والكبيرة في ميدان النحو العربي.

02/ غياب دراسة متكاملة تبيّن بدقة التفكير النحوي عند المزمّري ، والتطبيقات العملية لهذا التفكير داخل آثاره.

03/ يعتبر التراث النحوي في الجزائر مما يستحق إليه الرجوع ،والوقوف على أهم أعلامه ومناهجهم في الدراسة النحوية ، وإن التفرغ لمعالجة شخصية من هذا التراث بنظرة شاملة على وجه الاستيعاب ، قد يضيف جديداً للدرس النحوي ، خاصة وأن شخص المزمّري لم يُتناول من قبل بالدراسة في مجال النحو.

04/ إن مؤلفات المزمّري تعدُّ مادة خصبة للكشف عن جهوده، وثقافته في النحو.

ويقتضينا البحث أن نتحدث عن الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة، والتي نجملها في:

01/ تقديم صورة موجزة ،ومترابطة عن الدّرس النحوي في بيئة المزمّري التواتية ،وتاريخ ظهوره، وأهم أعلامه.

02/ محاولة لإلقاء بعض الضوء على مفهوم النحو في فكر المزمّري.

03/ توفير مادة علمية تجمع عُصارة النّحو في منطقة توات الجزائرية ، وخاصة التفكير النحوي عند شخصية محمّد المزمّري.

04/ إنصاف التُّراث النحوي ، وبعث النخوة في الباحثين لإحياء الكنوز المغمورة التي تحتاج إلى التنقيب والاهتمام ، لكسر هذا الجدار .

05/ التوصل إلى النتائج التي خلّفها الدرس النحوي في إقليم توات الجزائري ،بفضل جهود المزمّري .

ولست مع ذلك أجحد الدِّراسات التي سبقت بحثي هذا ، والتي أفدت منها كثيراً ، لذلك أعترف بادئ ذي بدءٍ بأنني لم أجلب هذا الموضوع من العدم ،وغياهب النسيان،وأضفت عليه من حُلل التهذيب والبيان ، ولكن هناك من سبقني في إخراج شخصية العالم محمّد بن أُبَّ المزمّري إلى النور، وكشفها للعيان ،كالشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله، الذي كشف بعض أعمال المزمّري، وتمثل ذلك في شرحه لمنظوماته الثلاث على مقدمة ابن آجروم ، كما سيأتي ذلك لاحقاً ، ناهيك عما قام

به الدكتوران :"مختار بوعناني" الذي حقّق مخطوطاً لابن أُبَّ بعنوان: "نيل المراد من لاميّة ابن المجراد في الجمل وإعرابها".والدكتور:"أحمد جعفري"الذي أصدر أحد أعمال المزمري في كتابه الموسوم بـ:"محمَّد بن أبّ المزمِّري حياته وآثاره ،ويليه مخطوط شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، تحقيق ودراسة".ذ

وانطلاقاً من هذا لايستطيع أحد أن ينكر ما قام به هؤلاء ،باذلين ما في وسعهم قاصدين خدمة لغتهم ،ودينهم ،وإحياء تراثهم المنسي ، وقد بلغوا الغاية واستحقوا التقدير والاحترام .

وفي خضّم هذا المضمار ، ثمة أمر لم يلق العناية اللائقة، والدراسة من قبل ، وهو الجهود النحوية عند شخصية محمِّدبن أُبَّ المزمِّري ، الذي كان الحديث عنه حديثاً إشارياً وإيماء غامضاً دون تفصيل أوتوضيح ، هذا ما يدفعنا – وبالاستفادة من تلك الجهود– إلى أن نُسلِّط شيئاً من الضوء على هذا التراث النحوي ،في هذا العمل إن شاء الله .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في : مقدمة ، ومدخل ، وفصلين ، وخاتمة .

أما المقدمة ؛ فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياري له ، وطبيعة المنهج المتبع ، إلى غير ذلك من متطلبات مقدمة كل بحث .

وأما المدخل ؛ فأشتمل على إسهام بيئة محمّد بن أُبَّ (منطقة توات) في الدرس النّحوي .

وأمّا الفصل الأول ؛ فقد جاء بعنوان : محمّد بن أُبَّ المزمّري ، حياته وآثاره النّحوية ، واشتمل على مبحثين :

تناولت في المبحث الأول حياة الشيخ المزمِّري ونشأته وثقافته ، وأما في الثاني فقد قُمت بقراءة في آثاره النحوية – المتوفرة لدينا– من حيث العنوان ، والطريقة ، والموارد ، والمحتوى ، والأهمية .

وأما الفصل الثاني ؛ فقد حمل عنوان : بوادر المزمِّري الاجتهادية في النّحو وأصوله، واشتمل هو الآخر على مبحثين :

تطرّقت في الأوّل منهما إلى مصادره في الاستشهاد النحوي ، من قرآن وحديث شريف ، وكلام العرب شعره ونثره ، وفي المبحث الثاني رصدت منهجه في الدرس النّحوي ، بدءاً بتوظيفه للمصطلح النحوي ، ومروراً بموقفه من أصول النحو ، ووقوفاً عند موقفه من آراء النحاة الموافقة للبصريين، والموافقة للكوفيين ، فضلاً عن الاختيارات التي أختص بها ، لنُدلي في الأخير بخلاصة تبين لنا منهج محمد بن أُبَّ في النحو العربي .

وأما الخاتمة ؛ فقد اشتملت على أهم النتائج التي أسفر عنها البحث .

كما أن طبيعة الموضوع تفرض علينا استعمال المنهج الوصفي بإجراء تحليلي ، فأمّا الوصفي الذي يُعنى بوصف الظاهرة النحوية ، ورصد مظاهر إيرادها ، فتمثل في إبراز شخص العالم محمّد بن أُبّ في مجال الدراسات النحوية ، وموقفه من الأصول النحوية في ضوء ما ورد في مؤلفاته ، وأمّا التحليل فقد اعتمدت عليه في توضيح بعض المسائل ، ومناقشة بعض الآراء التي وردت في مصنفات الشيخ .

ولا شك أني واجهت عقبات وتحديات ككل باحث ، إذ وجدت نفسي بين شعور القلق والحيرة وأنا أقدم على هذا العمل ، وهذا لأن الموضوع صعب جداً ، يفتقر إلى بحث دقيق ، ويتطلب المراجع الصحيحة ، وهي قليلة بالنسبة لحياة وجهود هذا الرجل ، وعلى أقليتها فهي في معظمها لا تزال مخطوطة ،فضلاً عن بعض مؤلفات محمّد بن أُبَّ نفسه ، التي هي الآن في صراع نحو رحلة البقاء ، وما أصعب انتقاء المادة العلمية للبحث من كتب لا تزال قيد خط اليد ، ورغم كل ذلك ، وقلة البضاعة ، واعتماداً على قاعدة ما لا يُدرك كله لا يُترك جلُّه ، فإنّ ذلك ما كان ليصمد طويلاً ، فرُحت أجمع ما استطعت جمعه من آراء لتتضح شخصية النّحوي محمّد المزمّري ، وتكتمل صورته العامة ، ولسان حالي يقول :

لأسْتَسْهِلَنَّ الصّعْبَ أوْ أدْرِكِ المنَى فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إلاّ لِصَابِرِ

أمّا عن المصادر و المراجع المعتمدة ، فقد اعتمدت على ثلاثة أصناف من المصادر :

– ما يتعلق بحياة الشيخ محمّد بن أُبَّ وآثاره ، واعتمدنا فيه على كتب التراجم للأعلام التواتية ؛ كالدّرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، وجوهرة المعاني في التعريف بلعلماء الألف الثاني ، ومحاضرة في التعريف بحياة محمد بن أُب المزمّري ، وقطف الزهرات من أخبار علماء توا ت ، وغيرها .

– ما يتعلق بجهوده ومكانته ، واعتمدنا فيها على مؤلفاته ؛ مثل منظوماته على مقدمة ابن آجروم، ونيل المراد من لامية ابن المجراد ، وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة كما سنرى .

– ما يتعلق بالدراسات النحوية عامة ، واعتمدنا فيها على جملة صالحة من المصادر والمراجع ؛ مثل الكتاب ، والمقتضب ، والخصائص ، كتب أصول النحو في معظمها ، إلى غير ذلك من الكتب النحوية المعروفة .

وفي النهاية ... وبعد هذا العرض الموجز ، فما أجمل أن يُنسب الفضل إلى أهله ، فالفضل والمنّة لله جلّ وعلا أولاً وأخيراً ، ثمّ لأستاذي المشرف ، الأستاذ الدكتور : أبوبكر حسيني ، الذي كان لي نعم المرشد الوفي ، يخلص في نصحه ويرعى الأمانة في توجيهه وإرشاده ، كما أتقدم بشكري للأستاذ الدكتور : أحمد جلايلي ؛ الذي عرفته عالماً جليلاً ذا قريحة نادرة ، وعلم فياض ، فجزاه الله عن طلاب العلم خيراً ، و إلى كل أساتذتي في قسم اللغة والأدب العربي ، في الكلية ، كما لا يفوتني أن

أقدم وافر شكري لكل من مدَّ لي يد العون والمساعدة ، بتقديم نُصح أو دعاء أو تيسير مرجع ، وأخص بالذكر كلاً من الدكتور أحمد جعفري ، والأساتذة : عبد القادر بقادر، ومحمد بن عبو ،و محمّد بن يوسف ، و سليمان لعلى ، وغيرهم ، كما أُجمل شكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمها عناء قراءة هذا البحث .

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ... إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الطالب : عبد الله عمّاري .

المدخل

منطقة توات وإسهامها في الدّرس النّحوي

توات هي اسم بربري أُطلق على الواحات[1]، وهي منطقة عريقة تقع في الجنوب الغربي للجزائر ، ويُعرف عنها أنها " أرض ذات سباخ[2]، كثيرة الرمال والرياح ، لاتحيط بها جبال ولا أشجار"[3].

لُقبت بهذا الاسم من حوالي سنة 518هـ[4]، حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري لتأخذ الاسم المعروف حالياً بأدرار[5]،كما أن عدد قصورها يناهز المائتي قصر[6] ،موَّزعة في ثلاث مناطق هي قورارة[7]، وتوات الوسطى ، وتيديكلت[8]،

أما الحديث عن شأن التسمية ، فقد أختُلف في تسمية توات بهذا الاسم ،فهناك من يرى أنها أخذت هذا الاسم ،لأنها أرض مليئة بالأتوات ، أي الخيرات ، لذلك سُمي أهلها قديماً بأهل الأتوات أي الفواكه والخضر[9]، وآخر يرى في سبب التسمية أن هذه الأرض بقعة تواتي- من المواتاة- لعبادة الله تعالى[10] ، في حين أن هناك من يرجع تسميتها إلى مرض معروف في مالي يصيب الرجلين يقال له "توات" ،ورواية ذلك أن قوم من مالي مرُّوا بهذه الديار ، قاصدين بيت الله الحرام لأداء فريضة

---

[1] - توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850إلى 1902م ، أحمد العماري ، منشورات كلية الآداب بفاس ، المغرب ،ط1 ، 1988، ص11 .

[2] - سبخ : أي ذات ملح ، مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط1 ، 1993 ، ص199.

[3] - نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعلماء العالمين الثقات، ومعه حديث جابر ، ، أحمد الطاهري، طبعة حجرية ، ص04.

[4] - الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، محمد باي بلعالم ، دار هومة ، دط، دت ، ج1 ، ص09 .

[5] - أدرار : كلمة بربرية تعني الجبل . الصحراء الكبرى وشواطئها ، إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط ،1983 ، ص188 .

[6] - تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون ،تح : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، 2000، ج7 ، ص 76 .

[7] - قورارة : نسبة إلى السبخة التي توجد في المنطقة تدعى بتيجورارين و منطقة قورارة تطلق على ضواحي تيميمون. يُنظر، توات والأزواد ، محمد الصالح حوتية ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دط ، 2007 ، ج1 ، ص28 ،و توات في مشروع التوسع الفرنسي ، ص18 .

[8] - تيديكلت : كلمة بربرية تعني كف اليد أو اليد المفتوحة ، و منطقة تيديكلت تقع مابين منطقة رقان وعين صالح. صفحات من تاريخ منطقة آولف ، عبد المجيد قدي ، أبحاث للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2007 ، ص18 .

[9] - ينظر ،- نسيم النفحات، ص05 . و درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، محمد بن عبد الكريم ، ص06 ، نقلاً عن النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، عبد الحميد بكري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر،ط2 ،2007 ، ص16 .

[10] - نسيم النفحات ، ص05 .

الحج، فأُصِيب بعضهم بمرض معروف عندهم باسم "توات" ، فوجدوا هذه الأرض مخضرة ، وذات بساتين، وواحات ، فمكثوا بها واستقروا حتى سموها بالمرض الذي أصابهم[1].وهذا السبب مستبعد أن أن يكون صحيحاً ، لان المنطقة حينها لم تكن مهجورة من السكان ، فعمارتها "ترجع إلى ما قبل الإسلام"[2]، فكيف يمكن أن تبقى هذه الأرض المخضرة ، المليئة بالبساتين والخيرات ، الكثيفة السكان مدة طويلة دُون اسم ليأتي غرباء من أرض مالي فيسمونها بهذا المرض .

وبمجيء الإسلام ،حظيت المنطقة بهذا الدين على يد عقبة بن نافع الفهري[3] ،سنة 46هـ[4] ،حينها ،حينها اتسمت المنطقة بحركة عالية من الحركة العلمية ،وتمثل ذلك في عكف أهلها على حفظ كتاب الله تعالى ، وتنشيط حركة العلم في الزوايا المنتشرة انتشار سكانها وعلمائها ، الذين حملوا راية العلم في سائر أقطارها تدريساً ،وتأليفاً في شتى العلوم والمعارف ، وإن دلَّ هذا فإنما يدل على حرص التواتيين وحبهم للعلم والقرآن الكريم .

أضف إلى ذلك أن المنطقة لم تخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم الأقاليم الجزائرية والعربية ، مما جعل اللغة العربية فيها تسلم من مزاحمة اللغة التركية[5]، وهذا ما مكّن علوم العربية — و و بخاصة النحو– من أخذ قسطها الأوفر من العناية والدراسة ، وذلك بمعالجة مواضيع
علوم اللغة من نحو ،وصرف، وبلاغة، وعروض ، إما بالشرح أو التعليق على النص ، أولتجديد في طريقة العرض ؛بوضع النص على شكل أرجوزة ليسهُلَ حفظها ، تماشياً مع أساليب
التعليم والحفظ المتّبعة عندهم وقتذاك[6] .

والجدير بالذكر هنا ، أن المنطقة شهدت حركة نحوية أسهمت في الحياة الثقافية للإقليم ، ونشطت هذه الحركة بفضل عدة عوامل منها :

---

[1] – تاريخ السودان ، عبد الرحمان السعدي ، طبعة هوداس ، باريس ، دط ، 1964 ، ص07 .

[2] – ينظر ، سلسلة النوات في أبرز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات ، مولاي التهامي غيتاوي ، المطبعة الحديثة ،2005 ، ج1 ،ص10 ،والرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 09 .

[3] – هو عقبة بن نافع الفهري ، من مواليد السنة الأولى قبل الهجرة ، وفي خلافة يزيد بن معاوية ،ولاّه سنة 62هـعلى إفريقيا ، توفي رحمه الله بمدينة بسكرة الجزائرية . معجم مشاهير المغاربة ، أبوعمران الشيخ وآخرون ، جامعة الجزائر ، 1995م ، ص365- 366 .

[4] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها ،ص20 .

[5] – إقليم توات خلال الفرنين الثامن عشر والتا سع عشر الميلاديين ، فرج محمود فرج ، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ ، جامعة الجزائر ،دط ،1977 ، ص85 .

[6] – إقليم توات خلال الفرنين الثامن عشر والتا سع عشر الميلاديين ، ص92 .

1- توافد العلماء على المنطقة : لقد ساهم الدين الإسلامي الذي اعتنقه المجتمع التواتي قلباً وقالباً في غرس مبادئ الود والتراحم ،والعطف والتآخي فيما بينهم ؛ هذه المبادئ التي ارتقت بهم إلى ما يُسمى بالاستقرار الاجتماعي ، لذلك وُصف إقليم توات بأنه أرض "أمان واطمئنان"[1] ، وفي هذا الشأن يصف الرّحالة الألماني جيرهاردر رولف[2] أهل المنطقة بـ:"أنهم قومٌ مُسالِمون يُحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين"[3] ، وكذلك الفرنسي ديبورتر[4] الذي يُقر بتمسك أهل توات بدينهم وكرمهم مع الغرباء وبالمسالمة مع جيرانهم[5] ، الأمر الذي جعل الأجنبي – بحكم أنها منطقة عبور وتواصل بين مختلف الشعوب في شمال إفريقيا وجنوبها[6]- يتجوّل في هذه الديار "ذات المناخ الحار"[7]، دون أن يجد يجد أدنى شيء من الضيق أوالحرج، وهو ما يفسر لنا الكرم والسخاء الذي كان يتسم به أهل المنطقة . وكل ما يُرغبُ في إضافته هنا ، أن المنطقة كانت بعيدة عن مراكز الصراع السياسي ، مما جعلها تتميز بالهدوء الذي أتاح المجال للنشاط العلمي ،وجعل الإقليم مركز جذب للعلماء الفارين من مناطق الصراع السياسي[8].

ومن خلال ما سبق ، فلا غرابة أن تكون أرض توات ، منطقة أمان واستقرار ،وهو ما كان دافعاً في توافد كثير من العلماء ، فأنشأوا بها المدارس التي كان من مبادئها نشر الإسلام والعربية ،مما ساهم في بث الروح الثقافية في المنطقة،كما عمل هؤلاء العلماء الوافدون على تدريس المنظومات الفقهية والنحوية ،وتفسير كتاب الله تعالى
بلغة تفهمها الخاصة والعامة من الناس[9] ، فضلاً عن تأثرهم وتأثيرهم في من حولهم .

---

[1] – يُنظر ، النبذة في تاريخ توات ، ص 72 . و محمد بن أبّ المزمّري حياته وآثاره ،ويليه مخطوط شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، تح ، أحمد أبا الصافي جعفري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط03 ، 2008 ، ص28 .

[2] – ولد في بلدة فيجاك قُرب بريما في 14 أفريل 1831م ، وتخرّج طبيباً وكان يعمل في الجزائر كطبيب مع الجيش الفرنسي ، وقام برحلات كثيرة شملت المغرب العربي والأسكندرية والسودان الغربي ، إقليم توات ،ص 08 .

[3] – Rolfs a Touate et Ibn Salah , Malte Brum, P101. نقلا عن م ن ، ص 14 .

[4] – ديبورتير في ذلك الوقت كان برتبة قوميدان ، م ن ، ص 07 .

[5] – La question du Touate Sahara Algérien , Deporter , P34 . نقلاً عن م ن ، ص 14 .

[6] – يُنظر ،تاريخ ابن خلدون ، ج6 ، ص 80 . و ج7 ،ص 77 .

[7] – نسيم النفحات ، ص 05 .

[8] – ينظر ، إقليم توات ، ص05 .وتوات والأزواد ، ج1 ، ص274 . و التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11ه إلى القرن 14ه ، الصديق حاج أحمد، مديرية الثقافة لولاية أدرار،ط01 ،2003 ،ص 155.

[9] – ينظر ، النبذة في تاريخ توات ، ص 52-53 . و محمد بن أب المزمري ، ص 28-29 .و الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج1 ،ص66، و التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص52 .

وبهذا كان لوفود هؤلاء المشايخ دور ايجابي انعكس على واقع المنطقة، تمثل في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم ، بالإضافة إلى تنشيط الحركة اللغوية داخل القطر بفضل دور العلم والزوايا التي كانوا يشرفون عليها .

2- الزوايا العلمية : تزخر المنطقة بهذا المِعْلم الفكري الموّجه والمربي للنفوس وتزكيتها، فهي وسيلة ناجعة في أداء الرسالة العلميّة ، كما تعتبر نموذجاً إسلامياً في التعليم والإرشاد لما لها من دور في خدمة الحركة الدينية، وذلك بتعليم القرآن الكريم ، وعلوم الشريعة لجميع الشرائح الثقافية،والفئات والأعمار، الذين يتوافدون عليها من أماكن مختلفة – يستفيدون من نظامها الداخلي بحكم بُعدهم عن مقارِّ سُكناهم – للجلوس إلى الشيوخ المؤسسين لهذه الزوايا والاستماع إليهم .

هذه الزوايا التي غلب عليها الطابع الديني لم يمنع ذلك من وجود حركة نحوية بداخلها ، فقد كانت هذه المعارف الدينية تتخللها وقفات لغوية ، كدراسة علامات الإعراب مرة كل أسبوع[1] ، بالإضافة إلى تحفيظ بعض المتون النحوية[2] ك:الآجرومية ،ولامية الأفعال ،والألفية ، وملحة الإعراب ، وقطر الندى ، حيث كان يعمد الطلاب إلى حفظ أجزاء من هذه المتون ،فتعرض على الشيخ ليقوم بشرحها ، مع إعطاء الشواهد المتعلقة بكل بيت ، وتبيين الخلاف النحوي في المسألة إن وُجد[3].

ولا يظنّن أحد أن هذه الزوايا اقتصرت في تدريسها للنحو على المختصرات المتأخرة وشروحها ، فالأمر لم يقتصر على ذلك ، لأن تبيين الخلاف في المسائل النحوية التي كان يغوص فيها هؤلاء الشيوخ أثناء التعليم تتطلب منهم- وبدون شك- الحديث عن البذور الأولى لهذا الخلاف ، وكيف نشأ؟، وما هي أطرافه؟، وأسبابه؟، وماذا نتج عنه؟، وغالباً ما يدفع ذلك إلى التعمق والبحث،ومراجعة كتب المتقدمين بهدف رفع المستوى ، ومن هنا يتضح لنا أن هذه المجالس العلمية التواتية تطرقت لأهم الأصول النحوية ،وأقطاب المدارس النحوية بآرائهم المختلفة.

وقد يكون واضحاً الآن أن هذه الزوايا العلمية أدّت دوراً هاماً في مكافحة الأمية ، مع خدمة الشريعة الإسلامية ، فضلاً عن أنها ساعدت على نشاط الحركة النحوية داخل الناحيّة التواتيّة .

---

[1] – الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجروم ، ص116 .

[2] – ينظر، توات والأزواد، ج1 ،ص245 ،254 ،259 . و النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص54 .و التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص48.

وصفحات من تاريخ منطقة آولف ،ص216 ، وسلسلة النوات ، ص11 .

[3] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص55 .

3- الرحلات: وتتمثل في الانتقال بين البلدان للقاء المشايخة ومناقشتهم ، إذ تعدُّ هذه الرحلات وسيلة بارعة من وسائل التكامل الثقافي في المنطقة ، ويمكن أن تكون تقريراً يعكس إلى حدٍ ما الحركة العلمية لدى العلماء[1] .

ولقد كان هذا الانتقال أوّل الأمر داخل المنطقة بين الشيوخ للمناقشة والتكوين وكذا الاستزادة والتبحر في علم النحو وسائر العلوم الأخرى ، حتى دعموا هذا التكوين بالتجوال وشدّ الرّحال إلى سائر الأمصار الجزائرية ، كتوجههم إلى تمنراست،و ورقلة، وسعيدة ،ومتليلي ، وتيارت ، وتلمسان وغيرها من الجهات[2] ، بل حتى إلى خارج الوطن ، ويكثر ذلك أثناء السفر لأداء فريضة الحج ، فأثناء العودة من هذه البقاع المقدّسة يمرُّون ببعض الديار المصرية،والليبية ،والتونسية والمغربية[3] ،وكل ذلك رغبة في ارتياد مراكز العلم للتلمذة على أيدي كبار العلماء ، ومناظرتهم ، كما فعل الشيخ محمد المغيلي[4](ت909ﻫ) في مناظرته
مع السيوطي[5] (ت911ﻫ) في القرن 09ﻫ[6] ، بالإضافة إلى تنقلاتهم إلى بعض الدول المجاورة من الجهة الجنوبي كمالي والنيجر[7]،وتمبكتو ،وأرض السودان الإفريقي[1].

---

[1] – الرحلة المغربية ، محمد العبدري البلنسي ، تق:سعد بوفلاقة ، منشورات بونة ، الجزائر ، ط2 ،2007 ، ص12 .

[2] – ينظر ،الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1، ص79، 250 ، 394 . وإقليم توات ، ص15 .

[3] – ينظر التاريخ الثقافي لإقليم توات،من ص157 إلى ص 161.إقليم توات ص15،صفحات من تاريخ منطقة آولف،ص 113

[4] – هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن ، المعروف بابن عبد الكريم المغيلي ، ولد سنة 831ﻫالموافق لـ1427ﻡ بمدينة مغيلة التلمسانية وبها نشأ وتعلّم مبادئ العلوم ، ليغادر تلمسان لرسم الدعوة إلى الله والدفاع عن إقامة الحدود ، فأحط بتوات عام 856ﻫ، فكان من أبرز العلماء الوافدين على المنطقة ، ومن آثاره شرح المفتاح في البلاغة ، شرح الجمل للخونجي في المنطق ، الرد على المعتزلة ، منح الوهاب في المنطق، ، راسل السيوطي في المنطق وانتصر لآراء أرسطو ، توفي عام 909ﻫ- 1503ﻡ وقُبر بالزاوية التي أخذت اسمه من ذلك الحين إلى حد الآن (زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي) ،ينظر ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 505 . وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ، ج1 ، ص38 وما بعدها ، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص 99 .

[5] – هو عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري جلال الدين السيوطي ، ولد سنة 849ﻫ ، وهوإمام حافظ ومؤرخ ، أديب نشأ في القاهرة ،ألف كتباً كثيرة منها : الاقتراح ،والأشباه والنظائر ،وبغية الوعاة ،توفي سنة 911ﻫ،ينظر الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ،الزّكلي،دار العلم للملايين، بيروت ،ط15 ،2002 ، ج3،ص150 ، و المختار المصون من أعلام القرون ، من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر ، محمد حسن بن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط1 ،1995ﻡ ، ص222 .

[6] – يُنظر المناظرة في: سلسلة النوات في أبرز علماء توات، ج1 ، ص47 .

[7] – الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1 ،ص79 .

يتبين لنا من خلال ما ذكرنا، أن مشايخ المنطقة أهل ترحال ،إذ قلّما عُرف عنهم الاستقرار في موضع معين ، وذلك كله من أجل التعرف على العديد من العلماء للاستزادة في اكتساب المعرفة،لأن هذه الرحلات –كما يراها ابن خلدون[2](ت808ھ)- " لابدّ منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[3].

يتضح من كلام ابن خلدون أن لقاء المشايخ يساعد على علو الكعب وغناه بالمعارف العلمية، التي يعود بها العالم ، ليفيد بها من يجالسهم بعد رجوعه من هذه الرحلة.

وفي الأخير يمكن القول إن هذه الرحلات تعد إحدى الوسائل التي مكنت منطقة توات، وهيأت لها القدرة على امتلاك قسط من هذا الصيت النحوي الذي كان منبعه العراق .

وتأسيساً على ما سبق ، يبدو جلياً أن منطقة توات شهدت نشاطاً خصباً وازدهاراً واسعاً في العلوم اللغوية ، وفي مقدمتها علم النحو الذي حظي بشيوخ خلّفوا بصمات على سجل تاريخ المنطقة، لكن ظلّوا _ ولفترة طويلة _ في طي النسيان على الرغم من وفرة الإبداع والأعمال التي تحمل في طياتها بوادر الاجتهاد ، ومن هؤلاء الشيوخ نجد :

– الشيخ عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي (ت1042ھ-1632م) :ولد عام 994ھ الموافق لـ1585م بتمنطيط[4] التي اجتمع فيها العلم والإمارة والدين والرياسة[5]،وكذا العُمران[6]، وفيها نشأ وتعلّم ، وقد كان رحمه الله "قاضياً جامعاً بين الحقيقة والشريعة"[7]،بالإضافة إلى كونه نحوياً

---

[1] – ينظر ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص 15 ، و محمد بن أبّ المزمري ، ص43 .

[2] – هو عبد الرحمان بن خلدون ولد بتونس سنة 732ھ/ 1232م ، نشأ في بيت علم وسياسة ، حفظ القرآن بالقراءات السبع ،ودرس الفقه المالكي على يد أبي عبد الله محمد بن برال ، و العربية على يد والده ، كان كثير الترحال والتنقلات ، ومن مؤلفاته ،مقدمته المشهورة التي تعتبر الجزء الأول من كتابه : العبر في ديوان المبتدأ والخبر، مات في 25 من رمضان عام 808ھ، الموافق لـ 27 مارس 1406م ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 192 وما بعدها .

[3] – المقدمة ، ابن خلدون ،نسخة محققة لونان بإخراج جديد، دار الفكر ، بيروت ،دط ، 2004 ، ص560 .

[4] – تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات ، وهي قريبة من عاصمة الولاية ادرار، وهي كلمة بربرية تعني بالعربية الجبهة والعينان . الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج1 ، ص20 .

[5] – القول البسيط في أخبار تمنطيط ، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم ، تح: فرج محمود فرج ، تابع لأطروحة الدكتوراه ، الجزائر 1977م ، ص13-14 .

[6] – تاريخ بن خلدون ، ج 7 ،ص 76 .

[7] جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي ، مخطوط بخزانة المطارفة ، أدرار، ص29 .

بارعاً ،ونحريراً جامعاً لعلوم مختلفة ، لذلك قال عنه الشيخ البكري بن عبد الكريم[1]: " هو الشيخ الإمام العالم الهمام اللغوي النحوي البياني الحسابي الفرضي الأصولي العروضي الفقيه المحدث الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية "[2]، فهذه الترجمة توحي بأن الشيخ كان رحمه الله موسوعة فكرية لعدة علوم جعلته متوجاً بتاج العلم والعمل بين الناس .

أخذه الفضول لتعلُّم علم النحو الذي كان لايفهمه فهماً دقيقاً ، ويظهر ذلك من قوله في كتابه الرحلة في طلب العلم "إن أول كلمة أستفدتها من أبي كانت قوله : لم حرف جزم ، فحفظتها ولم أفهم معناها"[3]، هذا ما دفعه للتتلمذ على النحوي سعيد بن إبراهيم[4] الذي جعل منه إماماً متبحراً في علم النحو ، تاركاً وراءه مؤلفات نحوية من بينها كتاب غاية الأمل في إعراب الجمل[5] .

– عبد الرحمان بن عمر التنيلاني (ت1189هـ -1775م): هو عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن أحمد ، ولد بتنيلان[6] ، ويعتبر من العلماء الأعلام الذين جمعوا بين العلوم الإسلامية واللغوية والنحوية والشعر ، بالإضافة إلى فنون علمية كثيرة[7]، فقد كان رضي الله عنه على حد

قول أحدهم "عالم العصر"[8]،ومن آثاره المخطوطة في النحو العربي مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم [1].

---

[1] – هو البكري بن عبد الكريم البكري ، من مواليد الثاني عشر من رمضان عام 1042هـ بتمنطيط ، وبها تعلّم عدداً من المقدمات في الفقه والنحو وغيره حتى صار عارفاً عالماً في فنون شتى ، توفي سنة 1133هـ عن عمر يناهز 93 سنة .يُنظر م ن ،ص 20 ،و النبذة في تاريخ توات وأعلامها ،ص 160.

[2] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص153 .

[3] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص148 .

[4] – هو سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري المسكن ، التونسي الأصل ، التقى به الشيخ في مدينة بني عباس التابعة لولاية بشار. م ن ، ص150 .

[5] – هذا الكتاب هو شرح للامية ابن المجراد ، وهو لايزال مخطوطاً ، ينظر ، سلسلة علماء توات ، عبد الحميد بكري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزائر، دط، دت ، ج2 ، ص48 ،و النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص155 ، وجوهرة المعاني ، ص30 .

[6] – الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني ، محمد باي بلعالم ، دار هومة ، الجزائر،دط،2004م ، ص 03 -04 .

[7] – الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج2 ، ص160

[8] – الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينلاني ، مخطوط بخزانة بن الوليد وليد ،(ص ب 73) أدرار ، ص02 .

– محمد بلعالم الزجلوي (ت1212هـ) : هو أحد علماء المنطقة من مواليد قصر زاجلو[2] في القرن الثاني عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، نشأ مولعاً بعلوم الفقه والنحو والتفسير والمنطق ، حتى صار عالماً متضلعاً في الفقه والخلاف، أخذته المنية عام 1212هـالموافق لـ1798م تاركاً وراءه عدة مؤلفات لغوية منها ألفية في غريب القرآن[3] .

– مولاي أحمد الطاهري(ت1399هـ-1978م) : أحد العلماء البارزين في منطقة توات الجزائرية، كان رضي الله عنه نحوياً ، بليغاً ، منطقياً ، مفسراً ،ولغوياً ، ذا علم بالقراءات[4]، ومن آثاره في علم النحو كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم[5] .

– محمد باي بلعالم : هو محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم الفلاني ، المشهور بالشيخ باي ، من مواليد 1348هـ الموافق لـ1930م بقرية ساهل التواتية ،وبها تعلّم مبادئ الفقه واللغة ، ليتتلمذ بعد ذلك على يد الشيخ مولاي أحمد الطاهري[6]، الذي جعل منه منارة في العلم والعمل بين الناس ، إذ يعدُّ من المكثرين من التأليف في شتى المعارف والعلوم ، ومن إسهاماته في الثقافة النحوية نجد[7] : اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم[8] ، وكفاية المنهومشرح اللؤلؤ المنظوم[9] ،والرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم[10] ،والتحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة[11]، ومنحة الأتراب على ملحة الإعراب[12] ، وعون القيوم على كشف الغيوم[13]، انتقل إلى رحمة ربه صباح يوم

---

[1] – الكتاب مخطوط بخزانة باعبد الله ، أدرار ،محمد بن أب المزمري ، ص36.وخزانة الشيخ باي بآولف بعنوان : مختصر السمين في إعراب القرآن ،الغصن الداني،ص 53 .

[2] – هي تابعة لمنطقة توات ،وهي كلمة بربرية تعني قطع اللحم (زم أقلي) ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 13 .

[3] – ألفية الغريب ، الزجلوي ، دراسة وتحقيق ، عبد القادر بقادر ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة أدرار ، 2009/2008م ، ص 11 وما بعدها.

[4] – الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم ، أحمد الطاهري ، مطبعة الواحات ، غرداية ، دت ، ص06 .

[5] – هذا الكتاب هو شرح لنظم الأجرومية لمحمد بن أب المزمري .

[6] – صفحات من تاريخ منطقة آولف ، ص112 .

[7] – ينظر، صفحات من تاريخ منطقة آولف ، ص113-114 ،و قبيلة فلان في الماضي والحاضر ، محمد باي بلعالم ، دارهومة ، دط ، دت ، ص273 .

[8] – هو نظم على مقدمة ابن أجروم .

[9] – هو شرح لنظم مقدمة ابن آجروم الذي وضعه بن أبّ .

[10] – شرح لنظم نزهة الحلوم لمحمد بن أبّ المزمري .

[11] – شرح لأرجوزة في النحو العربي .

[12] – هو شرح لملحة الإعراب للحريري .

[13] – شرح كشف الغموم لمحمد بن أب المزمري .

الأحد الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة ، الموافق لـ التاسع عشر من شهر أفريل من العام التاسع بعد الألفين للميلاد ، وشُيعت جنازته في اليوم الثاني من الوفاة بمقبرة الجديد بمدينة آولف .

- محمد بن أُبَّ المزمّري (ت1160هـ- 1747م): وهو الشيخ الذي اخترناه لموضوع هذا البحث ، الذي سنسلط من خلاله الضوء على هذا الاسم ، فمن يكون إذن محمد بن أُبّ ؟ ، وماهي مكانته بين علماء عصره وبيئته ؟ ، وماهي إسهاماته المبذولة في الدرس النحوي ؟، وهل في مؤلفاته مايؤكد هذا الإسهام نظرياً - على الأقل - ،وعملياً - ولو إلى حدٍ ما -؟ وما هو المنهج الذي سار عليه لتحقيق ذلك ؟، هذه الأسئلة وأخرى سنسعى للإجابة عنها من خلال هذا العمل إن شاء الله .

الفصل الأول

محمّد بن أُبَّ المُزمِّري حياته وآثاره النحوية

المبحث الأول :حياة محمّد بن أُبّ المزمري

01/ اسمه ونسبه

02/ مولده ونشأته

03/ شيوخه وتلاميذه

04/ طريقته في التدريس

05/ علمه وأخلاقه ورحلاته

06/ آراء العلماء فيه

07/ آثاره

08/ مظاهر ثقافته من خلال آثاره

09/ وفاته

1- اسمه ونسبه :

هو أبوعبد الله[1]، محمّد بن أُبّ بن أحْمِيدْ،وفي رواية بن أحمد[2] ،بن عثمان بن أبي بكر[3].

---

[1] – ينظر ،جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ،ص30 ، ودرة الأقلام ،نقلاً عن قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، محمد عبد العزيز سيدي عمر ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2002 ، ص111 .

[2] – مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أبّ لآجروم ، محمد بن بادي ، طبعة حجرية ،ص01 ..

[3] – ينظر ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ،ص108 ، وقطف الزهرات من أخبار علماء توات ،ص111 ، ومحمد بن أبّ المزمري ، ص41 ، وصفحات من تاريخ منطقة أولف ، ص81 .

فالشيخ كان يُكنى بأبي عبد الله ، وأما محمّد فهو اسمه ،وهو من أجلِّ الأسماء لأنه أشهرُ أسماء المصطفى ﷺ.وأُبّ(بضم الهمزة وتشديد الباء) هو اسم أبيه المتوفى في عام 1125ھ الموافق لـ1713م [1]. أما عن بقية الأسماء الواردة في الترجمة مثل: أحمد أو أحْميدْ ،وعثمان ،وأبي بكر فقد جاءت لمعرفة آبائه وأجداده .

أما عن نسبه فمعظم الروايات التأريخية[2] تنصُّ على أنه مُزمِّري بميمين بينهما زاي(بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مع الكسر) ،نسبة إلى قرية زمورة من أرض البرابر المخزومي القرشي[3] ، وزمورة التي ينتسب لها ابن أُبّ هي قرية تقع في المغرب الأقصى ،وهي المعروفة بسوس الأقصى التابعة لعمالة تردانت[4] .

وبعد معرفة القرية التي ينتسب إليها الشيخ يتضح جلياً أن الأدق في النسبة إلى زمورة أن نقول زَمُورِيّ بدل مُزمِّري ، لأن النسب يتم بزيادة ياء مشددة في آخر الاسم،وكسر ماقبلها لتدل على نسبته[5] ،كأن نقول بصريٌّ نسبة إلى البصرة ،وكوفيٌّ إلى الكوفة، لكنه – أي المُزمِّري – الاسم الذي اشتهر به بين أقرانه في المنطقة ، وهو المتداول في جميع مؤلفاته ، ومن أمثلة ذلك ماجاء في بداية إحدى رسائله :" قال الأديب المحقق اللغوي العروضي النحوي أبو عبد الله سيدي محمّد بن أُبّ **المُزمِّري** رحمه الله آمين "[6]، وفي كتاب آخر نجد : " ... نظم الشيخ الإمام الفقيه سيدي محمد بن أُبّ بن حْمِيدْ[7] بن عثمان بن أبي بكر **المُزمِّري** رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين"[8]، ونقرأ كذلك : " للعبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن أُبّ بن حْميدْ[9] بن عثمان بن أبي بكر **المُزمِّري** نسباً التواتي مولداً

---

[1] – محمد بن أُب المزمري ، ص41 .

[2] – ينظر ، جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص30 ، وقطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص111،والنبذة في تاريخ توات وأعلامها ، 108 .

[3] – ينظر ، محاضرة حول التعريف بحياة الشيخ الإمام محمد بن أب المزمري ، محمد باي بلعالم ، مخطوطة بخزانة الشيخ باي ، أولف ، أدرار ، ص02 ، وجوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص30 ،ومحمد بن أب المزمري ، ص41 .

[4] – محمد بن أُبّ المزمري ،ص41 .

[5] – يُنظر ، شذا العرف في فن الصرف ، الحملاوي ، تح محمد بن عبد المعطي ، دار الكيان ، الرياض ، ط1 ، 2005 ، ص181 ، والمقتضب ، المبرد ، تح حسن حمد وإميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص232،والمفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري ، تح علي بوملحم ، دار الهلال ، لبنان ، دط ، 2003 ،ص99 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، محمد بن أب المزمري ، مخطوط بخزانة ابن الوليد ،(ص ب 73) ، أدرار ، ص01 .

[7] – هكذا مكتوبة في المخطوط ، والصحيح أحميد بالهمزة .

[8] – كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، محمد بن أب المزمري ، مخطوط بالخزانة السابقة ، ص01 .

[9] – هكذا وردت ،والأصح أحميد بالهمزة .

مولداً وداراً "[1] ،ويقِرُّ ذلك بنفسه في آخر كلامه على مسألة الخمّاس[2] في الفقه بقوله :"... وأنا أسأل من هو لي صديق أن لا ينسني إذا تصفح ما رسمت أن يدعو لي ، وكتبَ عبيد ربه تعالى ... **المُزمِّري** محمّد بن أُبّ بن حْميدْ[3] بن عثمان ... **المُزمِّري** نسباً التواتي مولداً ومنشئاً وموطناً رزقه الله رضاه آمين"[4] ، وسوى ذلك من المؤلفات الكثيرة التي تعجُّ بها الخزائن المنتشرة في أقاليم المنطقة الثلاث المذكورة في مدخل هذا البحث .

وفي ضوء هذا المنظور، أُفضِّلُ الالتزام بمصطلح (المزمِّري) بدل (الزَّمُوري) في ثنايا هذا البحث ؛ وذلك بناءً على أنّه الاسم الذي اشتُهر به في المنطقة .

2- مولده ونشأته :

الشيخ محمّد بن أُبّ من مواليد 1094هـ الموافق لـ 1683م، ويظهر ذلك من الرِّحلة التي كتبها ابنه ضيف الله[5] القائل فيها عن والده:"ولد لست سنين بقيت من القرن الذي قبل هذا "[6]، وهو هنا هنا يقصد القرن الحادي عشر ، لأن ضيف الله -كما سيأتي- عاش في القرن الثاني عشر وتوفي في أواخره[7].

وكان مولد محمد بن أُبّ في أحضانِ قرية أولاد الحاج[8] ،التابعة لمدينة أولف الواقعة جنوب شرق أدرار ، وبها – أي أولاد الحاج – نشأ مولعاً بالعلم ، فتلقى بها مبادئ علومه الأولى ، لينتقل بعدها إلى مدينة زاوية كُنْتة[9] لينهل من بحورها العلمية التي جعلت منه منارة في العلم والعمل بين الناس إماماً ومربياً ، فاتخذها – ولفترة طويلة – مسكناً[10] ، فظل هناك دارساً ومدرساً ، ليشدَّ بعدها

---

[1] – دُرر النحور في فك البحور ، محمد بن أب المزمري ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار، ص01.

[2] – الخماس هو الخادم الي يقوم بالاهتمام بالبستان والمزارع ، مقابل أجر يُعطى له من طرف صاحب الأرض ، وغالباً ما يكون هذا الأجر من المنتوج أو الغلّة المحصودة من هذه الأرض كالتمر ، أو القمح ، أو الشعير ...

[3] – الأصح فيه أحميد بالهمزة .

[4] – تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخماس (مخطوط بخزانة المطارفة) ، نقلاً عن محمد بن أب المزمري ،ص52 .

[5] – هو ابن الشيخ المزمري ، وهو كذلك عالم نحوي وفقيه كما سنرى في سطور عملنا هذا .

[6] – رحلة إلى الديار التواتية لزيارة قبر الوالد ، ضيف الله بن محمد بن أُبّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، ص70 .

[7] – محمد بن أُب المزمري ، ص34 .

[8] – ينظر ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص111 ، والنبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص108 ، وقبيلة فلان،ص297 ، ومحمد بن أُبّ ، ص41 ، وصفحات من تاريخ منطقة أولف ، ص81 ، و الرحلة العلية ،ج1 ، ص89 ، ومحاضرة في التعريف بحيا ة محمد بن أب ،ص02 ، والتاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص63 .

[9] – هي مدينة تتوسط بين إقليمي تديكلت وقرارة ، ولذلك أُطلق عليها توات الوسطى أو توات .

[10] – نسيم النفحات ، ص75 .

الرِّحال إلى عدة أصقاع عربية وإسلامية طلباً للعلم والمعرفة ، حتى استقرَّ به الطواف والجولان بمدينة تيميمون الواقعة شمال أدرار ، التي كان بها لحده ومضجعه الأخير[1] .

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الشيخ محمّد بن أُبّ هو تديكلتي بحكم مولده ، وتواتي بحكم مسكنه وتعليمه ، وقراري بحكم مضجعه الأخير . وهذا مايؤكد لنا أنه ربط بين مناطق توات الثلاث (تديكلت ،توات ، قرارة) ، وعليه يصْدُقُ وصفُ أحد العلماء له بقوله :" هو التواتي منشأً وموطناً ووفاةً "[2].

3- شيوخه وتلاميذه :

أ / شيوخه :

تتلمذ المزمري في أحضان الزوايا العلمية التي كانت معْلماً زاخراً تفخر به المنطقة، وبها تلقى العلم على يد صفوة العلماء والمشايخ ، ومن أبرز أولئك الشيوخ نجد :

01- **محمّد الصالح بن المقداد** (ت،ق12ﻫ): يعدّ أحد المشايخ التواتية ،وقد تتلمذ على يديه عدد من المشايخ والعلماء ، ومن بينهم الشيخ المزمّري الذي أخذ عنه علم الفقه المالكي[3] .

02- **أحمد التوجي** (ت،ق 12ﻫ): هو أحد المشايخ التواتيّة ،عاش في القرن الثاني عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد) ، أخذ عنه محمد بن أُبّ علم النحو ، ويظهر ذلك من خلال الرواية التي أوردها ابنه في رحلته ،وهي أن ابن أُبّ مرَّ بقرية تَسْفاوت[4] فلقي في طريقه الشيخ أحمد التوجي ، ، فطلب منه ابن أُبّ أن يُقرِأ له أبياتاً من الألفية ففعل ، لكنه لم يكمل،ونهض قائماً ينظر يميناً وشمالاً،فتعلق محمد بن أُبّ بطرف الشيخ ، وألّح عليه تكميل الإقراء ، حينها طلب منه الشيخ أحمد

---

[1] - ينظر،محمد بن أب المزمري ، ص41 ،42 ،43 ،وصفحات من تاريخ منطقة أولف،ص81 ،82 ،والرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج1 ص89.وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ، ج1 ، ص106 .

[2] - قطف الزهرات في أخبار علماء توات ،ص111 .

[3] - ينظر ، جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص31 ، وقطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص112،والنبذة في أخبار توات وأعلامها ، ص 110، ومحاضرة حول التعريف بحياة المزمري ، ص05 و 09 ، محمد بن أب المزمري ، ص41 . وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ، ج1، ص 106 .

[4] - تسفاوت هي قرية تابعة لمنطقة توات،وهي كلمة بربرية تعني الحاجة الشهباء ، حيث أن أرضها شهباء بها صخور تافزا ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ،ج1، ص20 .

التوجي أن يشتري منه النحو ، فناوله المزمّري درهمين ثم ذهب وتركه[1]، ومن ثم " لم يسبقه غيره فيه"[2].

03- **عمر الكنتي (ت1157هـ):** هو عمر بن محمّد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي ، نسبة إلى مدينة زاوية كُنْتة ، كانت له تقاييد كثيرة ،فكان لايسمع شيئاً إلاّ كتبه ، حتى جمع من ذلك ديواناً ضخماً ، فضلاً عن كونه متواضعاً حسن الخلق ، فصيحاً فقيهاً نحوياً لغوياً أديباً شاعراً محفوظ اللسان وجيهاً نبيهاً ، توفي رحمه الله ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين ومائة وألف للهجرة ،الموافق لـ الرابع من شهر جوان عام أربعة وأربعين وسبعمائة وألف من الميلاد ، لازمه محمد بن أُبّ للتبحر والاستزادة في علم الفقه[3].

04 – **ابن إبراهيم السجلماسي**(ت،ق 12هـ) : هو أحد علماء مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى ، أخذ عنه محمّد المزمّري علم النحو ، فقد ذكر ذلك ابنه ضيف الله في الرواية السابقة بقوله إن أباه بعد ما تركه أحمد التوجي ، سافر إلى سجلماسة لحضور مجلس أبي إسحاق بن إبراهيم في الألفية أياماً ، ليرجع بعدها للانشغال بالنظر والمراجعة لشروح الألفية ، وغيرها من كتب النحو[4].

هذا ،وتذكر إحدى الدراسات النحوية ، التي صنفت المزمّري ضمن أعلام النحو في الجزائر إن له بعض الشيوخ في المغرب الأقصى ،أخذ عنهم النحو[5] .

ب/ تلاميـذه:

لقد عاش محمّد بن أُبّ حياة مليئة بالأحداث العلمية ،ومن ذلك ارتياده للمجالس العلمية للاستطلاع واكتشاف المجهول ،وكذا مكوثه _ ولفترة طويلة _ بالزاوية دارساً ومدرساً للطلبة ، ورغم كل ذلك النشاط إلاّ أن هناك ندرة في الترجمة له ضمن سلسلة الأشياخ ، حيث لم تسجل كتب التأريخ والتراجم غير تلميذين اثنين ورد إدراجهما في جل التصانيف التي تحدثت عن خريجي مدرسة المزمّري ،وهما :

---

[1] – رحلة ضيف الله ، ص 72.

[2] – جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص30 .

[3] – ينظر ، النبذة في تاريخ توت وأعلامها ،ص110 ، ومحمد بن أب المزمري ، ص41 ، وتوات والأزواد ، ص277 ، و قطف الزهرات من أخبارعلماء توات ،ص112 ،ومحاضرة حول التعريف بحياة المزمري ، ص05 ،09 ،10 ،وجوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني،31 .

[4] – رحلة ضيف الله ، ص 72 .

[5] – الدرس النحوي في الجزائر بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (دراسة في الأعلام والمناهج) ،بن دحان شريف ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، المركز الجامعي بشار ، 2006/2005 ، ص 71 .

01- **عبد الرحمان بن عمرالتنيلاني (ت1189ﻫ)**: هو أحد الأعلام المعروفة في المنطقة كما عرفنا في مدخل هذا البحث ، ويعتبر من النوابغ الذين تلقوا العلم على يد محمد بن أُبّ حتى أجازه[1] ،وقد أدرج ذلك بنفسه ضمن سلسلة أشياخه بقوله :" لقيته في صغري وأنا في المكتب بزاوية عَمِ والدي بتنيلان ،مرّ بها متوجهاً لبلاد تجارين[2] ،فحضرت إقرائه للمرشد المعين فأعجبني تدريسه ،فواعدته إن رجع لبلاده أن أرحل إليه للأخذ عنه، فلم يقدر لي ذلك ثم لقيته مراراً بعد ذلك ،واستفدت منه فوائد في النحو واللغة وغيرهما ...، وحضرت دروسه فيهما"[3].

02- **ابنه ضيف الله** : هو ضيف الله بن محمد بن أُبّ بن أحْميد أو أحمد بن عثمان بن أبي بكر المزمّري ، ولد ظهر يوم السبت السادس عشر من شوال سنة 1122ﻫ الموافق لـ السدس من ديسمبر من عام 1710م ، برز في النحو وعلوم العربية ،والشعر ، ومن مظاهر ذلك إجابته على لغز أبيه في النحو ، نصه مايلي[4]: (الخفيف)

صَاحِ سلِّمْ على النُّحاة وسَلْهُمْ حبّذا حبّذا هُمُ إن أجابُوا
ما مُضافٌ إليه أُعْرِبَ بالرَّفـ ـع صريحاً وذا لَعمرِي عجابُ

فأجابه ضيف الله بقوله :

جَوابُ ما سَألتَ عنهُ قرِيبٌ فِي حزبِ الأنبيَاء هدَاكَ الله
بعْد إلاّ ولفظهِ لفظُ رفعٍ ذا الجوابُ والعَجْبُ مِن مبْداهُ

4- طريقته في التدريس :

لقد عكف محمد المزمّري(ت1160ﻫ) كغيره من المشايخ التواتية المشهود لهم بالكفاءة في آداب اللغة العربية وأصول الدين ، على الاشتغال بالتدريس في المساجد والزوايا ، حيث اتخذ من مدينة زاوية كنتة مرفأً له في هذه المهنة[5].

وكانت فُرص التعليم في ذلك الوقت مُتاحة أمام كل الفئات حسب اختلاف الأعمار والأجناس ، حيث يُعلِّم الشيخ التلميذ مبادئ القراءة والكتابة أولاً ، ثم حفظ القرآن ثانياً ، ثم بعد ذلك تأتي

---

[1] – الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، ص 37 .

[2] – بمعنى منطقة قرارة .

[3] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني ، ص40 ،نقلاً عن محمد بن أب المزمري ،ص44 .

[4] – رحلة ضيف الله ، ص 64 .

[5] – نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص 75 .

مرحلة تعليمية أرقى من سابقتها ، وفيها يقوم الشيخ بإلقاء المواد الدينية واللغوية على الطلبة ، مع المطالبة باستيعابها وحفظها قصد تعميم الفائدة[1].

وسار المزمِّري على هذا النهج في طريقته التدريسية ، إلاّ أنه كان يتميز بصفة الضجر على الطلبه[2] ،وذلك كله لحرصه على مستقبلهم ،حيث كان يُراعي القُدُرات العلمية والمكتسبات القبلية لهؤلاء المتعلمين ومستواهم وأعمارهم ، وهذا ما يتطلب انتقاء المادة العلمية كلٌّ حسب مستواه وقدراته ، وهي طريقة مفيدة لمراعاتها التدرج في تلقين المادة التعليمية ، وعنها يقول ابن خلدون :"اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدَّرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، تُلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن ، هي أصول ذلك الباب ويُقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ،ويُراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه،حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ...وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ...هذا وجه التعليم المفيد "[3].

ومن الشيوخ الذين يشهدون للمزمِّري بهذه القدرة على امتلاك هذا الأسلوب التعليمي ، تلميذه عبد الرحمان التنيلاني (ت1189هـ) ، الذي يقول :"... حضرتُ إقراءه المرشد المعين فأعجبني تدريسه ، فواعدته إن رجع لبلده أن أرحل إليه للأخذ عنه ،... وحضرت دروسه في الفقه والنحو واللغة والتفسير ، وكان متقناً مجيداً فَطِناً يُباحثُ الشُّراح في مجلسه بأحسن بحث"[4].

كما كان يقوم بتسهيل الصعب في مؤلفاته التي كانت تصبُّ في قالب تعليمي محض ، وذلك عندما يستشكل الأمر على طلابه ، ويظهر لنا ذلك من قوله في بداية شرحه للأبيات المعكوسة:"والباعث على ذلك ما قد بلغني عن بعض الطلبة ممن يُعانيها أنه كان يستشكلها ، حتى أفضى به الحال إلى القدح في معانيها ، فلما بلغني ما من القدح أنالها تعيَّنَ عَلَيَّ تنزيهها عن ذلك فقلت أنا لها ، فشرعت في تفصيل شرحها بيتاً بيتاً"[5]، هذا فضلاً عن أنه كان يعمد إلى التيسير في تصانيفه بالإكثار من الأمثلة ، وفي ذلك تراه يورد عدة عبارات توحي لهذه السهولة ،منها

---

[1] – إقليم توات ، ص 86 .

[2] – يُنظر : قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص 117 ، ومحمد بن أُبّ المزمري ، ص 43 .

[3] – المقدمة ، ص551 ،552 .

[4] – يُنظر : قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص 116- 117 ، ومحمد بن أُبّ المزمري ، ص 43 .

[5] – الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 109- 110 .

قوله:"فافهم ما ذكرت لك حال كونه مُسهّلاً بالأمثلة"[1] ، وقوله أيضاً :" فافهم ما فصَّلتُ لك حال كونه مُكمّلاً بالأمثلة"[2].

5- علمه وأخلاقه ورحلاته

لقد كان محمّد المزمّري متصفاً بكل ما يتصف به العلماء والشيوخ ، فقد كان ورعاً في الفتوى ، حيث كان يفتي في العديد من النوازل لفك الكثير من العُقد و الطلاسم ، لكنه قبل أن يصدر فتواه يحيل ذلك على غيره ولو كان أدنى منه عمراً وعلماً ، لأنه غلب على حياته طابع الأدب والاحترام ، كما كان كثير المطالعة ، إذ لا تجد كتاباً بتوات إلاّ وتعثر على خطه فيه ، أضف إلى ذلك إتقانه للضبط وعدم التساهل فيه ،مع اتصافه بالزهد في نعيم الدنيا، فضلاً عن كونه نوراً مشعاً ، قلقاً على مستقبل طلبته[3]، هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل عل حرصه وحبه للعلم والمعرفة ، وهو ما يوحي لنا بأن الشيخ كان صالحاً دمث الخُلق ، عفواً سمحاً ، وشبه ذلك من الصفات الحسنة التي تحسب له، وهو الشيء الذي جعل الأقلام تترجم الأحاسيس،وتزكي هذه الخصال بدهشة وإعجاب .

والجدير بالذكر هنا أن الرجل كان يُعرف بصاحب الأسفار والجولان ، وذلك رغبة في ارتياد مراكز العلم والمعرفة ، لملاقاة العلماء والأعلام ، فلقد جال رحمه الله في أقاليم توت الثلاث بدءاً من مسقط رأسه ، إلى زاوية كُنتة ، ليشُدّ بعدها الرحال إلى مدينة تمْنطيط ،ومنها إلى زاوية تنلان ، بل امتد ذلك إلى خارج الوطن بين مالي ، وتمبكتو ، وأرض السودان الإفريقي ، والمغرب التي عاد منها إلى أرض توات ليحُطَّ رحاله بمدينة تيميمون التي قضى بها بقية حياته[4].

ومن مناقبه كذلك كثرة المراسلات مع الشيوخ في أرجاء المنطقة كمراسلاته مع الشيخ أبي الأنوار التنلاني[5] ، بالإضافة إلى كونه معتزاً بنفسه ، معتداً بعلمه وثقافته في علم العروض ، ويظهر ذلك من خلال قوله في عنفوان شبابه[1] : (طويل)

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 07 .

[2] – م ن ، ص 08 .

[3] – ينظر ، صفحات من تاريخ منطقة أولف ، ص87 . والرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص99 ، ومحمد بن أب المزمري ، ص43 .

[4] – ينظر ، قبيلة فلان ،ص297 ، ومحمد بن أب المزمري ،ص43 ،والرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1،ص90 ، وصفحات من تاريخ منطقة أولف ، ص83 . وقطف الزهرات من أخبار علماء توات ،ص116-117 .

[5] – هو أبو الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنِلاني ، ولد سنة 1077ﻫ الموافق لـ 1667م ،بتنِلان ، كان رحمه الله عالماً ومحدثاً وفقيهاً ومفتياً ، توفي عام 1168ﻫ الموافق لـ1755م بضواحي مدين أولف ، ينظر ، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، ص06 ، صفحات من تاريخ منطقة أولف ، ص87 -89 ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص89 .

إذا سَادَ بالإقدام عَمْرو وبالذَكا تَفرَّد إياسٌ وبالجودِ حاتِمُ

فإن شعارِي صنعةَ الشعرِ فالذي ينُازِعُنِي فيها فذَلِكَ ظَالِمُ

والمقصود من هذين البيتين ، أنه إذا تفرّد الشاعر الجاهلي عمْرو بن كلثوم(ت40ق هـ- 584م) بصفة الإقدام والشجاعة ، والقاضي إياس بن معاوية(ت222هـ-837م) بصفة الذكاء والحِلم، والفارس حاتم الطائي(ت46ق هـ) بصفة السماحة والجود ، فإني اتخذت صناعة الشعر صفة لي ، ومن ينافسني في ذلك فهو ظالم .

ومن اعتزازه بعلمه كذلك قوله عن نفسه[2]: (طويل)

فَخَذْ بِنْتُ فِكرِي مُنْبِئاً دُرّ عِقدِها بأني نحويٌّ فصيحٌ ومُعْرِبُ

فَهَذِي قَوَافِي الشّعرِ في طيِّ مَقْوُولِي ومُختارُها عنْ فِكرتِي ليس يعْزِبُ

وإني لَحَمْدُ الله أحْرزْتُ فضْلَهُ سِوايَ خلا منهُ وإن كانَ يدْأَبُ

ولكنَّما حمْدِي وشُكري لمنْ بهِ حَبانِي وشُكْرُ الله للزّيدِ أوْجَبُ

والأمر نفسه يتضح من الأبيات التالية التي يقول فيها[3]: (طويل)

وفُزْتُ بِدُرِّ الشّعرِ إذْ غُصْتُ بحرَهُ ومِثلِي لِنيْلِ الدُّرِ من بحرِهِ أهْلُ

فَحازَ نِظامِي فِيهِ أبْدعُ صنعتِي من الله لامن غِيره ذلِك الفضلُ

وأمْرِي سلم الاتصالِ ومن يَرِمْ تصالِي فإن الخطبَ في شأنِهِ سَهْلُ

فالقارئ للأبيات السابقة يلمس وبجلاء ثقة الرجل بنفسه واعتداده لِما حصله من علم ومعرفة، ولعل هذا ناتج عن الإلمام بالثقافات العامة التي جعلت شيخنا يُخلِّف وراءه مؤلفات كثيرة انتفع بها تلاميذه ،والناس من بعده ، وقد امتازت هذه المصنفات بمميزات صاحبها ، حيث اتسمت بوضوح أفكارها وسلاسة عباراتها، مع دقة التصنيف والإيجاز وكذا الاختصار الذي شهدته في معظمها ،وهي مصنفات يمكن الركون إليها لمعرفة منهجه ، ومذهبه الذي يصدر عنه، كما سنرى في سطور هذا البحث إن شاء الله .

5- آراء العلماء فيه :

---

[1] - رحلة ضيف الله ، ص70 .

[2] - يُنظر : رحلة ضيف الله ، ص 70 ، و النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص108 .

[3] - رحلة ضيف الله ، ص 70 .

لقد قدّر علماء منطقة توات محمد المزمِّري حق قدره وأشادوا بعلمه ونبوغه وعبقريته التي بلغ بها الغاية بين أقرانه في علوم اللغة ، حتى أخذوا يلهجون بالثناء عليه بتمجيده وتوقيره ،وذلك اعترافاً بفضله وعلمه وأدبه ، فلم يتردد ذكر اسم المزمَّري على لسان أحد منهم إلاّ بالثناء عليه والإشادة بعلمه ،والتعجب من ذكائه ونفاذ بصيرته في شتى العلوم الدينية والمعارف اللغوية والنحوية ، وسعة علمه وفطنته.

فهذا تلميذه عبد الرحمان بن عمر التِنِلاني(ت1189ﻫ) يقول عن شيخه المزمَّري مايلي :" هو الفقيه الأديب النحوي اللغوي ، العروضي ، أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ المزمري ، كان رحمه الله فقيهاً أديباً نحوياً لغوياً عروضياً ، فائقاً كل من لقيه من الفنون الثلاثة الأخيرة ، رائق الخط ، شاعراً مجيداً مفلقاً لا يُباري فيه ولا يجُارى من صغره حتى الآن"[1] ، كما أثنى عليه مرة أخرى بقوله:" نظم قصائد ومقتطفات لو جُمعت لكانت ديواناً كبيراً ، وكان رحمه الله مشتغلاً بما يعنيه من مطالعة وتقييد وإقراء منذ عرفته حتى توفي ، متجرداً عن أشغال الدنيا غالباً ،موليا غيره فيها، وحضرت دروسه في الفقه والنحو واللغة والتفسير ، وكان مجيداً فطناً عارفاً ، يُباحث الشُّرَاح في مجلسه بأحسن بحث "[2].

وقد قال عنه محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق[3] (ت1374ﻫ):" هو شيخ النحو اللغوي الصيرفي ، الشاعر الأديب، أبو عبد الله تبرع رحمه الله في العلوم اللسانية ، وأفاد أبناء جنسه"[4] .

أما مولاي أحمد الطاهري(ت1399ﻫ) فيرى فيه بأنه العلاَّمة ، والبحر الفهّامة ، ويعتبره قاعدة من قواعد توات ،وله نظم في النحو في غاية الحسن والكمال[5] .

ويزكي ذلك باي بلعالم(ت 1430ﻫ)بقوله :" الشيخ محمد بن أُبّ كان من العلماء الأعلام والعباقرة البلغاء الكرام "[6] .

---

[1] – ينظر ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات ،ص116 ، ومحاضرة في التعريف بحياة المزمري ،ص04 ، النبذة في تاريخ توت وأعلامها ،ص108 ، والرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ،ص98-99 .

[2] – قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، ص 116- 117 .

[3] – هو القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري ، من مواليد 1300ﻫ الموافق لـ1883ﻡ ،بتمنطيط ، حفظ القرآن عن ظهر قلب ، تولى مهنة القضاء بتوات سنة 1354ﻫ- 1935ﻡ ، فكان في الناس إماماً مفتياً وقاضياً عادلاً ،ومن آثاره كتاب جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، وهو كتاب نفيس في التراجم والأعلام ، توفي رحمه الله في يوم الأحد الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1374ﻫ ، الموافق لـ الثالث عشر من شهر أوت عام 1955 للميلاد ، ينظر ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ص90 ، والتاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص83 .

[4] – جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص30 .

[5] – الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجروم ، ص16 .

[6] – ينظر ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ،ص، 89 ، وقبيلة فلان ، ص297

وهذا التقدير والإعجاب الذي حَظِيَ به المزمِّري لم يقتصر على علماء منطقة توات فقط ، بل امتد ذلك إلى أقطار أخرى ، ومن ذلك التمجيد الذي لقيه من أحد الشيوخ الماليين ، وهو الشيخ محمد بن بادي[1](ت1388هـ) بقوله : "كان رحمه الله أديباً لغوياً تصريفياً ، عروضياً رائق الخط، وشاعراً مجيداً"[2].

كما أشار صاحب فتح الشكور إلى رسوخ قدم المزمَّري في علوم العربية ، ويظهر ذلك من خلال وصفه له بأنه "الفقيه النحوي الصرفي"[3].

فمن خلال هذه الآراء الدالة على منزلته العلمية لم نجد من يَرُدُّ على المزمِّري علمه ، أو يغضُّ من شأنه ، أو ينال من قدره ، وهذا ما يوحي دائماً بضريبة الشُّهرة والنجاح ، ولذلك عبّر تلميذه الشيخ عبد الرحمان ، كما رأينا آنفاً بمدح إحدى نظمه على مقدمة ابن آجروم بقوله[4] :

إذا رُمْتَ نظماً يزرِي بالدُّرِ في سَلْكٍ فلاَزِمْ ذرى الشيخ ابن أُبّ أخ النَّسْكِ
بَدَا فيهِ فرْداً بين أعلامِ عصرِهِ وحَازَ بِهِ سَبْقاً و فضْلاً بِلا شَكِ
فَما انْفكّ مُذْ أزمان يُبدِي عجائبا يصوغُ قريضاً مُحكمَ النّظمِ والسّبكِ
وفي نُزْهةٍ[5] من المحاسِنِ ما ترى يَقِرُّ بها المصغي إليها ومن يَحكِي
فَقَدْ حَوَتْ مَعْ إيجازها لُبّ أصلها أدامَ بها نفْعاً إلَهِي وما لِكِي
وَأوْلى الذِي أبْدَاهَا خيْر آلائِهِ فقدْ سهَّلَ الصَّعْب الذِي كُنا نشْتكِي

6- آثاره :

لقد خلّف الشيخ محمد المزمِّري وراءه آثاراً جمّة ،في شتى المعارف والعلوم ،والفنون التي حذقها وأتقنها ،وتبحّر فيها حتى وصل إلى درجة الإتقان التي أهلته إلى أن يُصنف هذه المصنفات.

---

[1] – هو محمد بن المختار الملقب بادي بن أحمد باي بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي القرشي ، ويلقب بسيدي حم ، من مواليد1315هـ الموافق لـ 1897م ، بكيدال التابعة لجمهورية مالي ، وله مؤلف في النحو بعنوان مقدم العي المصروم ،وهو شرح لإحدى نظم بن أُب على مقدمة ابن آجروم ، توفي رحمه الله عام 1388هـ الموافق1969م . الشيخ محمد بن بادي الكنتي حيلته وآثاره ، الصديق حاج أحمد ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، دط ، 2007 ، ص 35 وما بعدها .

[2] – مقدم العي المصروم ، ص01 .

[3] – فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الولاتي ، تح : محمد إبراهيم الكتاني– محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1981م ، ص 124 .

[4] – الأبيات مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار .

[5] – هو اسم النظم الممدوح ،واسمه كاملاً هو : نزهة الحلوم في نظم منثور ابن أجروم .

هذا اللون من النشاط الذهني الذي تجلّت فيه براعة الشيخ جعله وجهاً من أوجه المنطقة التواتيّة التي تشابكت فيها روافد الثقافة العقلية ،واللغوية ، ولعلّ خيرُ دليلٍ على ذلك أن هذه الأعمال التي خلّفها صارت فيما بعد محلّ اعتبار العلماء والدارسين في داخل القطر التواتي وخارجه .

ونمضي في طريقنا لِنُلِمّ بهذه الآثار مع كشف خباياها للعيان ، ولا نبالغ إذا قلنا إنها كثيرة _ وإن كانت في معظمها شعراً _ ، عُجّت بها رفوف خزائن المخطوطات بالمنطقة ، لكن وللأسف ظلّت _ ولفترة من الزمن _ تحت جدار الصمت المُخيّم ، رغم نطقها بلسان حالها، فكيف بالناطق أن يُغمر ؟؛ ولذلك آن الأوان للإسهام في كسر هذا الجدار ، وبعث النَّخوة في الباحثين لإحياء هذه الكنوز ، وإماطة اللثام عن سجل هذا التاريخ الذي دوَّن فيه ابن أُبّ المزمِّري ما يلي :

01_ العلوم الدينية :

أ/ قصائد في الوصف والمدح والدعاء:لقد ترك المزمَّري أعمالاً قيّمة في هذا الميدان تكمن في:

*** أبيات في حقِّ الله عزّ وجل**[1] .

يقول في مطلعها :(بسيط)

رَعَى الإلَهُ أمْراً يُخْشى الإلَهُ لَهُ إنْ هَبّ لِلْخيْرِ أهْلُ الخيرِ ناموسُ[2]

نعَمْ وإنْ خاضَ أهْلُ الشَّرِ فيهِ فلاَ يَلْقَى لَهُ لِطُلاّبِ الشَّرِ جامُوسُ[3]

وختمها بقوله :

ولا جَوابَ لَهُ إنْ غابَ ذو سَفَهٍ ولاَ سماعَ لَهُ إنْ نَمَّ قانُوسُ[4]

ذاكَ الذِي حَقّ أنْ يُهْدى لَهُ شَرَفٌ عِينٌ وخِيلٌ وآبالٌ وجَامُوسُ[5]

***دعاء**[6]**على حروف قوله تعالى**﴿ادْعُونِي أسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[سورة غافر ، الآية 60 ،ومطلعها:(رجز)

الله رَبِي لاَ إلَه سِوَاهُ مَاخَابَ مُضْطَرٌ دَعَا مَوْلاَهُ

---

[1] – الأبيات مخطوطة موجودة بخزانة الشيخ باي أولف،وقد تفضل الشيخ بالوقوف على هذه الأبيات كاملة مع شرح بعض مفرداتها ، في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ص97 – 98 .

[2] – ناموس : أي سر الخير وكتمه ،و الناموس هو صاحب السر ، يُنظر ، القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، تح : أبو الوفا نصر الهوريني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 2007ْ ص602 ، ومختار الصحاح ، ص456 .

[3] – جاموس : صاحب سر الشر ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص97 .

[4] – قانوس : هو النّمام ، م ن ، ص 97 .

[5] – الجاموس : قطعة من الأبل ، القاموس المحيط ، 560 .

[6] – الدعاء مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار، وعندي نسخة منه .

* **تخميس قصيدة ما للمساكين لأم هانئ**[1] **في التوسل**: وهو مفقود، لكن ذكره الشيخ عبدالرحمان التنيلاني، أثناء الترجمة له[2].

ومطلع قصيدة ما للمساكين هو[3] : (بسيط)

مَا لِلمساكِين مِثلي مُكْثر الزَّلَلِ إلاّ شفاعَة خير الخَلْقِ والرُّسُلِ

يَا مُذْنِبِينَ قِفُوا بِبَابِهِ وسلُوا به المفازَ تَنالُوا غَايَة الأَمَلِ

* **قصيدة**[4] **في مدح النبي**ﷺ : ومطلع القصيدة هو:(مضطرب)[5]

صَلِّ يا إلهِي ثُـمَّ سَلِّـمْ دَائِماً عَـلى خيرِ الأنَـامِ

ما دَعَاكَ أوْ لَبَّاكَ مُحْرِمْ قَاصِداً إلى البيتِ الحرَامِ

* **الذخائر الكنزية في حلّ ألفاظ الهمزيّة** [6]: وهي شرح على همزية البوصيري[7] في مدح الرسول ﷺ ،وقد ذُكر هذا المصنّف ضمن بعض الدراسات الإحصائية للمؤلفات الجزائرية[8].

يقول المزمّري في بدايتها بعد الحمد والدعاء : " ... وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه ، محمد بن أُبّ بن حْميد[9] بن عثمان المزمري نسباً التواتي مولداً ومنشئاً وموطناً ، هذه **ذخائر كنزية** قصدتُ بنشر طيبها في هذه الأوراق حل ألفاظ الهمزية " ، وختمها بقوله :" ... والله المسؤول أن يجعله لكل من حصّله نافعاً وأن يجعل هذا الممدوح الكريم للجميع يوم الحشر شافعاً ، صلى الله عليه وعلى آله

---

[1] – أم هانئ هي أخت الإمام علي كرّم الله وجهه، كانت تحت هُبيرة بن عمرو المخزومي ، أسلمت يوم الفتح ، وهي الصحابية التي سألت الرسولﷺ بقولها: أنتزاور إذا مُتنا ويرى بعضنا بعضاً ؟، عاشت إلى بعد سنة خمسين ، يُنظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1988،ج2 ، ص77، و نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، تح : محمد حسين عقيل ، دار الأندلس ، جدة ، دط ، 1991ْ ، ج1 ، ص 154 .

[2] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ، ص41 ، نقلاً عن محمد بن أب المزمري ، ص64 .

[3] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ، ص41 ، نقلاً عن م ن ، ص64 .

[4] – القصيدة مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار

[5] – هو بحر جديد اكتشفه المزمّري وسماه بهذا الاسم . وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً .

[6] – مخطوط موجود بخزانة الشيخ باي ، أولف ، أدرار .

[7] – هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ، ناظم القصائد المدحية للرسولﷺ ، أصله من قلعة بني حماد الجزائرية ،توفي سنة 695ْ ، وقيل 696ْ ،وقيل 697ْ ،كتاب الوفيات ، ص 336 وما بعدها .

[8] – يُنظر ، المؤلفات الصوفية في الجزائر ، عبد المنعم القاسمي الحسني ، تق: عمار جيدل ، دار الخليل ، بوسعادة ،الجزائر، ط1، 2005 ، ص82 ، والمصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون ، مختار بوعناني ن دار هومة ،الجزائر ، دط ، 2001، ص 78 .

[9] – هكذا وردت ، والصواب أحميد بالهمزة .

وأصحابه الأكرمين ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأقول مُخاطباً لكل من له معقول :(بسيط)

كتبتُ شرحي ذَا والزمانُ كُلُ لَهُ تصرُّفاتٌ وصُولاتٌ وعدْوانُ

فإنْ تَجِدْ خطئاً بِهِ فلا عجَب بَلِ الصّوابُ إذاً فيه لَهُ شَانُ ".

* **قصيدة في مدح مولاي عبد المالك الرقاني[1] وتعدد أشياخه[2]** : بدأ الشيخ المُزمِّري هذه القصيدة بالحمد والشكر لله عز وجل، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، ثم بعد ذلك عمِد إلى مدح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني ، مع تعداد شيوخه السبعة والثلاثين في سِلْسِلة عِقْدُها الأوّل والده مولاي عبد الله الرّقاني[3]،والعِقْد الأخير كان خِتامُ المِسْك نبينا المصطفى ﷺ،وكان كل ذلك بطلبٍ من الشيخ مولاي عبد المالك ،والقصيدة معروفة في المنطقة باسم السلسلة[4].

و هذه مُقتطفات منها : (رجز)

الحمدُ لله المُجِيب السَائِلِ إذا دَعَى بِأعْظَمِ الوَسَائِلِ

ثمَّ الصّلاَةُ والسلامُ مَعَها على الذِي حوى العُلاَ أجْمَعها

مِنْ جُملةِ الأقْطابِ والأشْرافِ والعُلماء السَّنِيةِ الأوصافِ

مولايَ عبد المالِكِ الرّقانِي صَالِحُ هذا الوقْتِ بِالعَيانِ

وشيخِهِ والده الذِي ظَهَرْ لِكُلِ داعٍ بِالتّوسُلِ اشْتهرْ

وشيخِه البصْري أعْنِي حَسَنا ذَاكَ الذي حازَ المقَام الحَسَنا

عنْ شيخِهِ سيدنا علِي ابنُ أبي طالِب القُرشِي

---

[1] – هو مولاي عبد المالك بن مولاي عبد الله الرّقاني بن مولاي علي بن مولاي الزين بن سيدي حم بن الحاج الحسني ،كان كثير القدر وافر الحُرمة ، صالحا مُتعهدا ، توفي بعد صلاة الصبح من يوم السبت الثاني عشر من شوال ودفن عند الضُحى عام 1207ﻫ ، المافق لـ الواحد والعشرين من شهر ماي سنة 1793ﻡ ،رحمه الله .يُنظر ،الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ،ج1 ، ص34 .

[2] – القصيدة موجودة بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار .

[3] – هو مولاي عبد الله ، والد مولاي عبد المالك المترجم له سابقاً ، كان عابدا زاهدا ،طالع كتب الفقه والنحو والصرف،متعلقا بالسيرة النبوية ، منكبا على علم التصوف حتى ظهرت عليه أسراره وأنواره ، أشتهر رحمه الله باسم الرقاني ، وقبره موجود بقرية زاوية الرقاني التابعة لمدينة رقان ، توفي رحمه الله عام 1148ﻫ الموافق لـ 1736ﻡ ، سلسلة النوات في أبرز علماء توات ،ج1 ، ص21 وما بعدها .

[4] – نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص 14 .

عنْ سيِّدِ الوُجُودِ أهْذِنا إلَى حضرةِ فاطِرِ السَّماواتِ العُلَى
سيِّدِنا محمّدٌ خير الوَرى صَلَى عليهِ الله ما بَدْر سرَى
يا ربنا بِجَاهِ هَـؤلاءِ عِنْدَكَ نَجِنا مِنَ البلاءِ
واسلُك بِنا مسَالِكَ السّلامة فِي الدِّين والدُّنْيا وفي القيامة
والآلِ والصّحْبِ الكِرَام مَا دَعا داعِي إلَهي بِحَبِيبِك اشْفَعا

* **الدُّروع الفارسيّة** : وهو شرح على اللاَّمية الشقراطسية[1] في مدح الرسول ﷺ وهذا الشرح من الآثار التي جاء ذكرها على لسان تلميذ المزمّري ، عبد الرحمان بن عمر في ترجمة شيوخه[2] ، كما ذُكر هذا الشرح ضمن شروح القصيدة الشقراطسية المخطوطة، باسم **الدُّروع الفارسية في حل ألفاظ الشقراطسية ،لمحمد بن أُبَّ بن حْميد بن عثمان بن أبي بكر المُزمِري التواتي**[3] .

و مطلع القصيدة الشقراطسية هو[4] :(بسيط)

الحمدُ لله منَّا باعِث الرُّسُلِ هُدى بِأحمدَ منَّا أحْمدَ السُّبُلِ
خيرُ البَرِيةِ من بَدْوٍ ومِنْ حَضَرٍ وأكْرَمِ الخَلْقِ منِ حَافٍ ومُنْتعلِ

* **أرجوزة**[5] **في مدح المصطفى ﷺ متضمنة أشطاراً من ألفية بن مالك**[6] : في هذه الأرجوزة كان الشيخ المزمّري يأتي بصدر البيت من عنده والعجز من ألفية بن مالك ،حتى جعل من ألفية بن مالك مدحاً للمصطفى ﷺ، وللإشارة فإن هذه الأرجوزة قد صُنفت ضمن بعض الدراسات الإحصائية للمؤلفات الصوفية في الجزائر[1].

---

[1] – صاحب القصيدة يُدعى بالشقراطسي ، نسبة إلى (شقراطس) قرية من عمل توزر ، وهو أبو محمد عبد الله بن يحي بن علي بن زكرياء الشقراطسي ،من مواليد سنة 415ﻫ الموافق لـ 1025م ، وهو فقيه على المذهب المالكي ن، له مجموعة أسئلة في الفقه ، وأرجوزة في مناسك الحج ، توفي رحمه الله عام 466ﻫ الموافق لـ 1073م ، كتاب الوفيات ، ص 253 .

[2] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ، ص41 ، نقلا عن محمد بن أب المزمري ، ص64 .

[3] – محاضرة حول منظومات السيرة النبوية ، جلال شوقي ، جامعة قطر ، دط ، دت ، ص1 .

[4] – م ن ، ص 1 .

[5] – الأرجوزة مخطوطة موجودة بخزانة الشيخ باي ، وقد دونها الشيخ بالتمام في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 115 وما بعدها .

[6] – هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيانيي النحوي اللغوي ، من مواليد سنة (600ﻫ – 1204م) ، من مؤلفاته في النحو الخلاصة المشهورة بالألفية ، وشرح الكافية ، والشافية ، توفي عام (672ﻫ 1273م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط2 ، 1979، ج1 ، ص 130 وما بعدها .

ومطلعها هو :(رجز)

صَلاَةُ رَبي لَمْ تَزَلْ مُتّصِلَة على الذِي اسْتَقَرّ أنّهُ الصِّلة

ب/ العقيدة : ومن مؤلفاته في هذا المجال نجد:

* **منظومة في صغرى الصغرى** : تحتوي المنظومة على اثنين وستين بيتاً ، وهي من المخطوطات المفقودة في خزائن المنطقة ، إلاّ أن القارئ لتراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر[2]، يجده ضمن مصنفات ابن أُبَّ .

* **معونة القُرَّاء** : وهو شرح للقصيدة السابقة ، إذ يُعتبر كذلك من الأعمال المذكورة للشيخ المزمِّري[3].

ج/ الفقه: من مؤلفاته الفقهية ما يلي:

* **تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخمَّاس**[4] : وهي رسالة تحتوي على رد لسؤال ورد عليه في الفقه ، يقول فيها : " ... فقد ورَد عَليّ سؤال من ناحية الفقيه العالم العلامة الوجيه الفاضل الجليل ،القدر الأصيل ، سيدي عمر بن سيدي محمد المصطفى الكُنتي[5] ، يطلب الجواب عن مسألة خماميس بلادنا هذه ، فاعتذرتُ له بأن يقْرَ بِجهْلٍ وإنّ ما رَامَ لستُ من رجاله ولا من أهله ، فلّما ألَحَّ عليّ ولم يصْرِفهُ اعتذارِ عن إخبار ، رأيتُ ألاَّ لَوْمَ على من أُلقِيَ في بَحْرٍ وهو لا يُحسِنُ العومَ، فأجِبُ سؤاله عائذاً بِذي العزّة والجلال ألاَّ يجْعلني مِمنْ يحْسَبُ أنّه على هُدى وهو يسري ..." ، وختم الرسالة بالقول الذي سبق أن ذُكر أ ثناء الكلام عن نسبه.

* **نظم العبقري**[6] : وهو نظم في حكم السهو في الصلاة ،ألّفه سنة 1128هـ - 1716م وقد نظمه الشيخ المزمِّري من مختصر الأخضري[7] في العبادات على مذهب الإمام مالك ،وجاء في بداية هذا المختصر: " أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه ، ثم معرفة ما يُصْلِحُ به فرض عينه ، كأحكام الصلاة ، والطهارة ، والصيام ويجب عليه أن يُحافظ على حدود الله ، ويقف عند أمره ونهيه

---

[1] – المؤلفات الصوفية في الجزائر ، ص151 .

[2] – محمد بن أبّ المزمري ، ص64 .

[3] – م ن ، ص64 .

[4] – مخطوط موجود بخزانة المطارفة ، (م ن ، ص 51) .

[5] – وهو أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم المزمري ، وقد سبقت ترجمته في شيوخ المزمري

[6] – الكتاب مطبوع بمطبعة المعارف بتيميمون ، أدرار .

[7] – هو عبد الرحمان الأخضري ، من مواليد 919هـ الموافق لـ 1513م ، بضواحي زاوية بنطيوس ببسكرة ، ومن مؤلفاته الجوهر المكنون في البلاغة ، وشرح السلم ، والمختصر في العبادات ، وتوفي عام 953هـ أي 1546م ، معجم مشاهير المغاربة، ص 31 .

..."[1] ، ومن هذا المختصر قام الشيخ المزمّري بعملٍ فقهي نفيس ، وهو حكم السهو في الصلاة ، وسماه **بالعبقري** ؛ وهو الاسم الذي اشتُهر به شيخنا في كامل أقطار منطقة توات ، إذ يقول في بدايته[2] :(رجز)

الحَمْدُ لله الجَزِيلِ النِّعَمِ مُرْشِدِ مَنْ عَنْ سُبُلِ الحقِّ عَمِ
ثُمّ صَلاةُ اللهِ يَتْلُوها السَّلام علَى رَسُولِ الله سَيِّدِ الأنامْ
وبَعْدُ فاعْلَمْ أنَّنِي قَصَدْتُ إنْجَازَ مَا كُنْتُ بِهِ وعَدْتُ
من نَظْمِ سَهْوِالشّيخِ الاخْضَرِيِّ مُعْتَذِراً لِكُلِّ لوذَعَيِّ
من فَرْطِ جَهْلِي وقُصُورِ فهْمِي وخَطَرَاتٍ لاَ تَزَالُ تَهْمي
بِرَجَزٍ سميتُهُ وهْوَ حَرِي بِالعَبْقَرِي في نَظْمِ سَهْوِ الأخْضَرِي
فَالله حَسْبِي وبه أعْتَصِمُ مِنْ كُلِّ ما يَشينُهُ أوْ يَصِمِ
ثُمّ أقُولُ وإلى الرّحمانِ أرْغَبُ في قَبُولِ هَذا الشَّانِ

وبعد هذا التقديم تطرّق المزمّري إلى باب سجود السهو في الصلاة ، وقدم فيه المفيد الذي يُحاكي فيه أمهات المصادر ،والمراجع الفقهية ، حيث كان النظم سهلاً موجزاً ، بعيداً كل البُعد عن التعقيد والإطناب الممل ، ليختم ذلك بقوله :

واغْفِرْ لنا واغْفِرْ لِوالِدِينا واغْفِرْ لِمَنْ علَّمنَا آمِينَا
واغْفِرْ لِكلّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمة واغْفِرْ لِمنْ دَعا لَنا بِالمِرْحَمة
بِجاهِ أحْمدِ الوجِيه المصْطَفى ذِي المجْدِ والقَدْرِ العَظِيمِ والوَفا
صلَى وسَلّم الإلهُ ذُو الجَلالْ عَلِيهِ و الأزواجِ والصَّحْبِ والآلْ

وقد حظي هذا النظم بشرح بالغ الأهمية ، من طرف نجل العلاّمة الشيخ عبد الرحمان بن عمر، الذي سماه **بالمورد العنبري لمعاني العبقري**، حيث يقول فيه :"...وبعد فهذا تعليق بحسب ما يسرّ الله تعالى ، على منظومة العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن أبّ المسماة بالعبقري في نظم سهو

---

[1] – مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك ، عبد الرحمان الأخضري ، دط ،دت ،ص02 .

[2] – كتاب العبقري في حكم سهو الأخضري ، محمد بن أبَّ المزمري ،جمع : عبد الجليل أبو أحمد ، مكتبة المعارف ، تيميمون ، دط ،دت ، ص 03

الأخضري ، ... وسميته بالمورد العنبري لمعاني العبقري ، ومن الله ارتجي القبول واسترشده في القول والمقول ..."[1]

د/ علم الكلام : ومن آثاره في هذا المجال نجد:

♣ **اللّهنة المُعْجلة** [2]:وهي أرجوزة في علم الكلام ، تحتوي على اثنين وستين بيتاً ، بدأها بقوله:(رجز)

حَمْداً لِمنْ في مُلْكِه تَوحَّدا وجَلّ عَن تعْطِيلِ منْ قَدْ فقدا

ثمّ صلاةُ الواحِدُ الحيِّ الصّمدْ على الرَّسُولِ المصْطفى بِلا أمَدْ

وختمها بقوله:

وآلِهِ وصَحْبِه الأفَاضِلِ ذَوِي التُّقى والفَخْرِ والفواضِلِ

وآخِرُ الدّعْوى أنِ الحمْدُ لِمنْ تَفضّلاً بِنعْمةِ الإكْمالِ مِنْ

02_ العلوم اللغوية والأدبية :

أ/ العروض والموسيقى : لقد تبحّر في هذا العلم وأتقنه إتقاناً ، الأمر الذي ساعده على تصنيف ما يلي :

♣ **روائق الحُللْ في ذكر ألقاب الزِّحاف والعلل**[3] :وهي أرجوزة تطرق فيها لأهم الزحافات والعلل العروضية، ألّفها سنة 1126هـأي 1714م، وقد جاء ذُكرها ضمن المصنفات اللغوية في الجزائر[4] ، و جاء في مطلعها : (رجز)

قالَ عَبِيدُ رَبِه مُحْتَسِباً محمّدُ المُزمّرِيُّ نَسَباً

الحمدُ لله الذِي قَدْ مَهدَّا لَنا عرُوض دِينِه وأرْشدا

وختمها بقوله:

ثُم صّلاةُ الوّاحِدِ العَلِيِّ معَ السَّلامِ الطّيِّبِ الزَّكي

على الرَّسُول الهاشِمِي المرْتَضَى وآلِهِ والصَحْبِ ما صَبْحٌ ضَحا

---

[1] – المورد العنبري لمعاني العبقري ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن باعومر ، جمع و تح : عبد الجليل أبو محمد ، مطبعة المعارف ، تيميمون ، دط ،دت ، ص02 .

[2] – مخطوطة بخزانة الشيخ باي ، أولف ، وقد عرضها الشيخ كاملة في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص91 وما بعدها .

[3] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار .

[4] – المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون ، ص81 .

* **دُرَرُ النُّحور في فك البحور**[1] :وهي قصيدة بيّن فيها كيفية فكِّ الدوائر العروضية ، بدْءاً بدائرة المُختلف ، ثم المُؤتلف، و المُشتبهْ ، بعدها المُجْتثْ ، وصولاً إلى دائرة المُتقنْ ، ألّفها سنة 1116ﻫ الموافق لـ 1705م.

يقول في مطلعها: (طويل)

بدأتُ بِحَمْدِ الله ربِّي مُصلِياً عَلى أحْمَدَ الهَادي الرِّضا عَلَمَ الهُدى

وأصْحابِهِ والأكْرمِين وآلِهِ وبَعْدُ فَخُذْ فَكّ البُحورِ على الوَلاء

وقد نالت القصيدة إعجاب أحد العُلماء ، حتى قال فيه أبياتاً[2].

* **أسماء البحور وأوزانها**[3] : وهي قصيدة عقد فيها أسماء البحور، مع تعداد الأوزان الأصلية لكل بحر، والقصيدة بكاملها هي :

بَدا **للطَويل** الطِيب الذّوق تمْثِيلُ فعولُن مفاعيْلنْ فعولُنْ مفاعلُنْ

و**المدِيدُ** العَرْبُ فِيه يَقولُ القائلُ فاعلاتن فاعِلنْ فاعلاتنْ فاعِلُنْ

وزِنِ **البسيطَ** الذي تهْواهُ يا فاضِلُ مسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُن فاعِلُن

و **وافر**ها لهُ النّغماتُ قابِلةٌ مُفاعلَتُنْ مُفاعلَتُنْ مُفاعلَتُنْ

وبِهذِه اللّفظاتُ يُوزن **كامِلٌ** مُتفاعِلُن مُتفاعِلُنْ مُتفاعِلُنْ

و **هَزْجُ** الشِّعْرِ أبْدَتْهُ أقَاوِيلُ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ

اسْمعْ **لِرَجْزٍ** وَزْنُهُ لاَ يُشْكَلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ

رَمْلُها فِيه الأغاني مُطّرِباتُ فاعِلاتُن فاعِلاتُنْ فاعِلاتُ

بَحْرٌ **سرِيعٌ** أحْرُفٌ منْظوماتُ مُسْتفْعِلُن مُسْتفْعِلُنْ مفْعوُلاتُ

ذُو **الانْسِراحِ** اسْتَحْلاهُ منْ يَعْقِلُ مُسْتفْعِلُن مَفْعُلاتُ مُسْتفْعِلُ

خُذْ **خفِيفاً** قد قالَ فيهِ الثِّقاةُ فاعِلاتُنْ مُستَفْع لُنْ فَاعِلاتُ

لِبَحْرٍ مَهْمى **يُضارِعْ** تَفاعِيلُ مفَاعِيلن فاعِ لاتُنِ مَفاعِيلُ

قُلْ ذُو **اقْتِضابٍ** لِمنْ قَدْ يَسْألُ مفْعُولاتُ مُسْتفْعِلُنْ مُسْتفْعِلُ

---

[1] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار .

[2] – الأبيات مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار ، وجاء في بداية هذه الأبيات : ولما وقف العلامة الفقيه النحوي المحقق الأديب النحرير ، سيدي عبد الواحد القدوسي على هذه الأبيات– أي قصيدة فك البحور– قال : لقد أحْكَمَ ابْنُ أُبّ فَكِّ دوائرا لِخَفْشَلَقٍ بَدتْ نُجوماً زواهِرا .

[3] – مخطوطة بالخزانة السابقة .

كَلْماتٌ **مُجْتثُها** مُسْتَعْذِبَاتُ مُسْتَفْعِ لُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلاتُ

زِنِ **المُتقارِب** بما قد أقُولُ فعُولُنْ فعُولُنْ فعُولُنْ فَعُولُ

♣ **مفاتيح البحور**[1] : وهي منظومة في بحور الشعر يقول في مُسْتهلِها :

وبِهذِهِ الأجْزاءُ تَمّ **الكَامِلُ** مُتَفاعِلُنْ مُتَفاعِلُنْ مُتَفاعِلُنْ

إنّ سَعْيي في رِضاكُمْ **أرمَلُ** فاعِلاتُنْ فاعِلاتُنْ فاعِلاتُنْ

وفي أجْزاءِ **وافِرِ**هُمْ تقولُ مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

♣ **أوزان البحور السبعة المُهملات**[2] : وهي قصيدة عرض فيها البحور المهملات ،مع إعطاء وزن كل بحر من هذه الأبحر السبعة المهملة ،وفحوى القصيدة مايلي:

شَجانِي **مُسْتطِيلُ** لَهُ نَفْسِي تَمِيلُ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ

أنْفُسُ القومِ **لِلْمُمْتَدِ** تَمِيلُ فاعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فاعِلُنْ فاعِلاتُ

صَاحِ في **مُتَوَفِرٍ** رَغِبَتْ رُواتُكَا فَاعِلاَتُكَ فَاعِلاَتُكَ فاعِلاتُكَا

حَبّذَا بَحْرٌ **جَدِيدٌ** مُسْتسْهِلُ فَاعِلاتُنْ فَاعِلاتُنْ مُسْتفْعِ لُ

غَرِيبٌ لاَ تُسامِيهِ المُهْملاَتُ مَفَاعِيلُنْ مفَاعِيلُن فَاعِلاَتُ

فِي عَرُوضِ **المُشَاكِلِ** لاَحَ تَمْثِيلُ فَاعِ لاَتُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُ

هَاكَ مَا **دَارَكُوا** بَعْدُ يَا فَاضِلُ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُ

♣ **أبيات في البحور المهملات ودوائرها**[3] : وهي نظم في دوائر هذه البحور السبعة المُهملات، قال فيها : (رجز)

بَيْتَانِ قدْ تَضَمَنا مَا يَاتِي مِنْ أبْحُرٍ في الخَمْسِ مُهملاَتِ

فالمُسْتطِيلُ بَعْدَهُ المُمْتدُ والمُتوفِرُ الجَدِيدُ يَبْدُو

ثُمّ الغَرِيبُ بعْدَهُ المُشَاكِلُ والمُتَدَرِكُ فَخُذْ يَا سَائِلُ

فَالأَوّلاَنِ لَهُمَا **المُخْتَلِفُ** والمُتوَفِّرُ لَهُ **المُؤْتَلِفُ**

ومَا سِوى الأخِيرِ **للمُجْتَلِبِ** وهْوَ لَهُ مُتَّفقٌ بِهِ حُبِي

وخُصِصَتْ دائِرَةُ **المُشْتَبِهِ** بِأنْ خَلَتْ مِنْ مُهْمَلٍ فَانْتَبِهِ

---

[1] – محمد بن أب المزمري ، ص63 .

[2] – مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار .

[3] – مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد .

ب/ النحو : أسهم الشيخ محمد المزمّري في هذا العلم بما يأتي :

* **نظم مقدمة ابن آجروم**[1] :وهو نظم قصد به تسهيل حفظ منثور ابن آجروم[2]، ألّفه سنة 1120ﻫ،الموافق لـ 1708م .

يقول في مطلعه : (رجز)

قَال ابْنُ أُبّ واسْمُهُ محمّدُ الله في كُلِّ الأُمُورِ أحْمَدُ

مُصَلِياً عَلى الرَّسُولِ المُنْتَقى وءالِهِ وصَحْبِهِ ذَوِي التُّقى

وبَعْدُ فَالقَصْدُ بِذَا المَنْظُومِ تَسْهِيلُ مَنْثُور ابْن أجرُومِ

لِمنْ أرادَ حِفْظَهُ فَعُسِّرا عَليهِ أنْ يَحْفَظَ مَا قَدْ نُثِرَا

الله أسْتعِينُ في كُلِّ عَمَلْ إلِيه قَصْدِي وعَليهِ المُتَّكَلْ

وختمها بقوله :

قَدْ تَمّ مَا أُتِيحَ لِي أنْ أُنشِئهْ فِي عَامِ عِشْرين وألْفٌ ومِائه

بِحَمْدِ رَبِنَا وحُسْنِ عَوْنِهِ ومَنِّهِ ورَفْدِه وصُونه

قصِيدَةٌ رائقَةُ الألْفاظِ فَكُنْ لِما حَوتْهُ ذا اسْتَيقاظِ

* **كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم**[3] :وهو نظم شعري يحوي في طياته لبّ منثور الآجرومية ،ألّفه سنة 1157ﻫأي 1744م ، وقال في مطلعه مايلي :(رجز)

لَكَ الحمْدُ يَا الله يَا مَنْ تَفَضَّلا ومَنَّ عَلَيْنَا بِالبَيانِ وأجْمَلاَ

وأُهْدِي صَلاةً مَعْ كَرِيمِ تَحيّةٍ إلى مَنْ أتى بِالحقِّ للخَلْقِ مُرْسَلاَ

مُحمّدٍ الهَادِي الأمِينِ وءَالِهِ وأصْحابِه والتّابِعِينَ عَلى الولاَ

وختمه بقوله :

وذا مُنْتهى المَرْمَى وفي عَامِ سَبْعةٍ وخمسين بعْدَ الألفِ والمائةِ انْجَلاَ

---

[1] – مخطوط بخزانة الشيخ باي بلعالم ، أولف ، أدرار . وقد حظي هذا النظم بشرحين ، أحدهما للشيخ مولاي أحمد الطاهري، سماه بـ (**الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم**) ، والكتاب مطبوع عن مطبعة الواحات غرداية ، والشرح الآخر للعلامة محمد بن بادي ، سماه بـ (**مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أُبّ لآجروم**) ، وهو في طبعة حجرية ، وعندي نسخة من هذا الشرح .

[2] – هو محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي المغربي النحوي ، المشهور بابن آجروم ، ولد بفاس المغربية ، له مقدمة في النحو تسمى الآجرومية ، توفي عام (623ﻫ- 1226م) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج1 ، ص 238 .

[3] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار ، وقد تقدم الشيخ باي بشرح هذا النظم ، سماه بـ (**عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم)** ، والكتاب مخطوط بخزانة الشيخ باي .

* **لغز في قوله تعالى:**﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء الآية 22] .

وهو اللُّغز الذي فكّ قيده ابنه ضيف الله ،ونصّ هذا اللُّغز هو :(رجز)

صَاحِ سلِّمْ على النُّحاةِ وسَلْهُمْ حبّذا حبّذا هُمُ إن أجابُوا

مَا مُضافٌ إليه أُعْرِبَ بالرَّفـ ـعِ صريحاً وذَا لَعمرِي عُجَابُ

فأجابه ضيف الله بقوله :

جَوابُ ما سَألتَ عنهُ قريبٌ فِي حزبِ الأنبيَاء هدَاكَ الله

بعْد إلاّ ولفظهُ لفظ رفع ذا الجوابُ والعَجْبُ مِن مبْداهُ

وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات ،فإن هناك ما يلفت الانتباه ويدعو إلى التأمل، ومن ذلك:أن نصَّ السؤال الذي تقدّم به محمد المزمّري لأقرانه من أهل النحو، فحواه مايلي : ماهو المضاف إليه الذي أُعرب بالرفع صريحاً ؟ ، فكان الجواب من ضيف الله بقوله : في حزب الأنبياء هداك الله ، أي أن هذا المضاف إليه ،موجود في سورة الأنبياء ،وهو بذلك يومئ إلى قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء الآية 22].

فلفظ اللهُ في الآية جاء بعد أداة استثناء بمعنى **غير**،وعليه يكون تقدير الآية كما يلي : لو كان في الوجود آلهة غير اللهِ لفسدت السماوات والأرض[1]، ومعلوم عند النحاة إن الاسم بعد **غير** يكون مجروراً بإضافته إليها[2] ،وهو ما يحدث مع اسم الجلالة في هذه الآية لكنه جاء مرفوعاً،وهو اللغز الذي يبتغيه الشيخ بن أُبّ .

---

[1] – ينظر ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، إشراف :محمد بنيس ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 2006 ،ج3 ، ص1211.والجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمان الثعالبي ، تح :أبي محمد الغماري الأدريسي الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1996 ، ج2 ، ص263-264 .و إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء العبكري ، تح : نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط1 ،2002 ، ص378 .و معاني القرآن ، الفراء ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2002 ، ج2 ، 113 . والمفصل في صنعة الإعراب ، ص99.

[2] – ينظر ،الكتاب ، سيبويه ،تح : إميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1،1999، ج2 ، ص361.و المقتضب ص619 .وشرح شذور الذهب ، ابن هشام ، تح: محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،لبنان ،دط ،2002 ، ص287. وأسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، تح: بركات يوسف هبود ، دار الأرقم ،لبنان ،ط1 ،1999 ،ص160،و شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام ، تح: إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص232 .

* **نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم**[1] :وهو نظم أراد به تبسيط منثور ابن آجروم ، ألّفه سنة 1144ھ الموافق لـ 1732م،وقد أخذ رتبته ضمن المؤلفات اللغوية في الجزائر[2]،بدأه بقوله :(رجز)

نَحْمَدُكَ اللّهُم يَا منْ أنْعَمَا وعَلّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَا

وبِكَ أسْأَلُكَ أنْ تُصَلِيا عَلى النَّبَي بِالبهَاءِ حُلِيا

سَيّدُنا مُحمّدٌ خَيْرُ البَشَرْ وَءَالِهِ مَا لاَحَ فَجْرٌ وانْتَشَرْ

وبَعْدُ أيُّها الحبِيبُ الصَّافي المُتلقِي الحقّ بِالإنْصَافِ

فَذَا كِتَابُ نُزْهَةِ الحُلُومِ في نَظْمِ مَنْثُور ابنِ آجرُوم

وختم نزهته بقوله :

وَقدْ اتتْكَ في حُلاَهَا النُزْهة حَائِزَةٌ منَ الجَمال كُنْهة

سَنَةُ أرْبَعٍ وأربعينا لِلْخَمسِ والسِتِ مِنَ المِئينا

في مِائةٍ وأرْبَعِينَ بَيتا فَنِعْمَ حُرّاً أنْتَ إنْ أغْضَيْتَا

فأحْمَدُ الله مُنِيلَ الأرَبِ مُصَلِياً عَلى الرّسُولِ العَرَبِي

وءالِه ذَوِي النّوالِ الجمِّ وصَحْبِهِ الغرّ بُدُورِ التَّمِ

وقد حظيت هذه النُّزْهة بمدحٍ من لدن تلميذه عبد الرحمان بن باعومر ، في أبيات يقول فيها[3]

إذا رُمْتَ نظماً يزرِي بالدُّرِ في سَلْكٍ فلاَزِمْ ذرى الشيخ ابن أُبّ أخ النَّسْكِ

بَدَا فيهِ فرْداً بين أعلامِ عصرِهِ وحَازَ بِهِ سَبْقاً و فضْلاً بِلا شَكِ

فَما انْفكّ مُذْ أزمان يُبدِي عجائبا يصوغُ قريضاً مُحكمَ النّظمِ والسّبكِ

وفي **نُزْهةٍ** من المحاسِنِ ما ترى يَقِرُّ بها المصغي إليها ومن يَحكِي

فقد حوت معْ إيجازها لُبّ أصلها أدامَ بها نفْعاً إلَهِي وما لِكِي

وَأوْلى الذي أبْداها خيْر آلائِهِ فقدْ سهَّلَ الصَّعْب الذِي كُنا نشْتكِي

* **منظومة في أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرّد**[4] :

جاء في مطلعها قوله : (رجز)

---

[1] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار، وعندي نسخة منه ، وهو أيضا حظي بشرح من طرف الشيخ باي ، سماه بـ (الرّحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم) ، والكتاب مطبوع .

[2] – المصنفات اللغوية الجزائرية عبر القرون ، ص128 .

[3] – الأبيات مخطوطة بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار .

[4] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار، وعندي نسخة منها .

أمثِلةٌ مِنْ فَعْلَلَ المُعَدّى عَشَرَةٌ غُرٌّ تُعَدُّ عَدّا

قَرْطَبَهُ بالطَّاءِ أي صَرْعَدَهُ قَرْضَبَهُ بالضَّادِ أي فَطَحَهُ

وختم نظمه هذا بقوله :

هَذْرَمَ أي أسْرَعَ في التَّكَلُمِ بَهْذَلَ خَفَّ في المسِيرِ فَاعْلَمِ

عَرْبَدَ أي أساءَ خَلْقَهُ عَلى نَدِيمِهِ وبِيسَ مَا قَدْ فَعَلاَ

♣ **نظم على معاني بعض حروف الجر**[1] : تطرّق فيه لحروف الجر مع إعطاء معنى لكل حرف ،ولم يُقيده بتاريخ، واستهله بقوله :(رجز)

حَمْداً لِمَا مَنحَ أسْرَار الكَلامْ ثُمّ على الرَّسُولِ أفْضَلُ السّلامْ

وبَعْدُ فالقَصْدُ بِهَاذِي القِطْعة نَظْمُ معَانٍ لِحُرُوفٍ سَبْعة

أعْنِي بِها يا ذَا النُّهى مِنْ وإلى وَعَنْ وَفِي واللاّمُ والبَا وَعَلَى

♣ **النّفحة الرّندية بشرح التحفة الورديّة**[2] : وهو شرح على تحفة ابن الوردي[3] النحوية . بدأه بقوله : " الحمد لله الذي لا يُخيّب من أمّ نحو باب كرمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي رفع الله له ذكره وكلمه ، وعلى آله وصحبه وكل من آوى إلى ظل كنفه وانضمّ له ،

وبعد ... هذا تقييد على منظومة الشيخ عمر بن الوردي رحمه الله في النحو ، سميته بالنفحة الرندية بشرح التحفة الوردية ..." وختم شرحه هذا بقوله :" ... ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون ،وغفل عن ذكره الغافلون ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين".وللإشارة أن هذا الشرح مُصنف ضمن المؤلفات اللغوية في الجزائر[4].

♣ **نيل المُراد من لاميّة ابن المجراد**[5] :وهذا الكتاب هو شرح على لامية بن المجراد المغربي[1] (ت778هـ- 1377م) في إعراب الجمل ،ومطلع هذه اللاميّة هو[2] :(طويل)

---

[1] – مخطوط بخزانة الشيخ باي ، أولف ، أدرار .

[2] – مخطوط بخزانة الشيخ باي ، أولف ، أدرار.

[3] – هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس زين الدين بن الوردي المصري ، كان إماماً بارعا في الفقه والنحو والأدب ، ومن مؤلفاته النحوية شرح ألفية بن مالك ، وضوء الدرة على ألفية بن معطي ، ونظم تذكرة الغريب ، توفي في 17 ذي الحجة عام 749هـ أي 15 مارس 1349م ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج2 ، ص 226 -227 .

[4] – المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون ، ص89 .

[5] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار .وهو محقق من طرف د/ مختار بوعناني في طبعة خاصة ومحدودة. م ن ،ص132.

حَمَدْتُ إلَهِي ثُمّ صَلَّيتُ أوّلاً عَلى سيّدِ الرُّسْلِ الكِرام ذَوِي العُلاَ

وقد شرحها بفضل الله شيخنا المُزمِّري ، وبدأ ذلك بقوله :"نحْمدُك يا من منحنا من علم العربية جُملة كُبرى ، ونصلي على سيدنا محمد الذي نصّبته ظرفاً لِكُلِّ عارفة دُنيا وأخرى ، وعلى آله وأصحابه ومن أخذ أخذهم من كل جارٍ ومجرور إلى المحجة الغرّاة ، وبعد ... هذه ورقات قصدتُ بها نيل المراد من لامية ابن المجراد ..." ،وختم هذا النيل بقوله :" ... وكذا قولهم والله أعلم عند التمام ".

* **في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح** : وهي أبيات قالها في إعراب بعض الكلمات من الدعاء الذي يُقال بعد صلاة التراويح في المنطقة[3]

وهذه الأبيات هي[4] : (طويل)

إذا كُنْتَ يا ذا اللُّبِ في الحَقِّ ترْغَبُ وفي الحقِّ ما يُصْغى إليهِ ويُطْرَبُ

فَقُلْ يا قَرِيبُ وابْنِهِ في ندائِهِ على الضّمِّ واقْفِي نحوه فهْوَ أصْوَبُ

ولا تسْتَبِحْ تَنْوينَهُ يا أخَ الحجَا فَتَصْحِي إذاً مِمّن إلى الحَقِّ يُنْسَبُ

ومهْمى أتى في الشِّعْرِ فَهْوَ ضرُورةٌ وَكَمْ قَدْ أبَاحَ الحظْرُ في الشِّعْرِ مَأْرَبُ

وقولُهُمْ يا حَاضِراً لاَ يَغِيبْ جَا بِوجْهينِ مَرْويينِ والنصْبُ أقْرَبُ

كذلِكَ يَا فَعّالُ حيثُ أتَى هُنَا مُضَافاً لِمَا يُرِيدُ بالنصْبِ يُعْرَبُ

كذلِك موصُوفاً أتَى قَبْلُ بِالكَمَا لِ شِبْهُ مضَافٍ دُونَ خَلْف فَيُنْصَبُ

وقُلْ يَا عَظِيمُ ذَا الجلاَلِ بِنَصْبِ ذَا ... بِمقَالِ ربهِ لا يثْرِبُ

فتَابِعُ ذَا الضَّمِ المضَاف بِدُونِ الـ لَدَى كُلِّ نحوِي لَهُ النصْبُ يُوجَبُ

---

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي الشهير بابن المجراد ، من أهل سلا(جوار الرباط) ، من مؤلفاته : لامية في إعراب الجمل ،و ايضاح الأسرار والبدائع ، وشرح الدرر ،توفي بسلا بأرض المغرب سنة 778ھ ، ويعرفه أهل المغرب الآن بسيد الإمام السلاوي ، ينظر ترجمته في : الأعلام ، ج7،ص 44، ومحمد بن أُب المزمري ،ص 61 .

[2] – نحو الجمل ، تح : مختار بوعناني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، دط ، 1995 ، ص138 .

[3] – هذا الدعاء هو إلى الآن يُقرأ بعد صلاة التراويح في منطقة توات ، ونصه ما يلي :

سُبْحانَكَ يا قَرِيبُ يا مُجِيبْ يا مُولاَنَا سُبحَانَك يَا حَاضِراً لاَ يَغِيبْ يَا مُولانَا

سُبْحانَكَ يَا فَعَّالاً مَا يُرِيدْ يَا مُولاَنَا سُبْحَانَكَ يَا مُوصُوفاً بِالْكَمَالْ يَا مُولاَنَا

سُبْحَانَكَ يَا عظِيمُ ذا الجَلاَلْ يَا مُولاَنَا سُبْحانَكَ يَا كَرِيمُ ذَا الإحْسَانْ يَا مُولاَنَا

سُبْحانَكَ يَا مَعْرُوفُ بِالمعْرُوفْ يَا مُولاَنَا سُبْحانَكَ يَا إلَهِي لَكَ الحَمدْ يَا مُولاَنَا

لكَ الحَمْدُ في السِّرِ لَكَ الحَمْدُ في الجَهْرِ لَكَ الحَمْدُ دائِماً لَكَ الشُّكرُ أبدا

[4] – محمد بن أب المزمري ، ص62 -63 .

ومَنْ يَعْتَمِدْ عَكْسَ الذي قَدْ شَرَحْتَهُ فَذَاكَ لَهُ عَنْ مذْهَبِ الحَقِّ مَذْهَبُ

♣ **في التوابع** : حيث يقول[1] :(بسيط)

إنَّ التوابعَ حُكْمُها إذا اجْتَمعَتْ كَمَا تَرَاهُ مِنَ الترْتِيبِ في المثَلِ

قَوْلُ جَاءَ الغُلاَمُ الهاشِمِيُ أبُو مُحمّدُ نفْسُهُ أخُوكَ ثُمّ عَلِي

ج/ الصرف : وترك في هذا العلم ما يلي :

♣ **روضة النَّسْرِين في مسائل التمرين**[2] : وهي منظومة عرض فيها مسائل التمرين الواردة في شافية بن الحاجب[3] ،حيث اسْتهلها بقوله[4] :(رجز)

الحمدُ لله الخَبِيرِ المُلْهِمِ مَنْ شَاءَ للتَّعْلِيمِ والتَّعلُمِ

ثمّ على نبيِّهِ أُصَلِّي والآلِ والأصْحابِ أهْلِ الفضْلِ

وبعْد فاعْلَمْ أنّ هَذَا نَظْمُ يَرُوقُ كُلُّ مَنْ لَدَيهِ فَهْمُ

سَميتُهُ بِرَوضَةِ النَّسْرِينِ لِجَمْعِهِ مَسَائلَ التمرِينِ

مِمَّا حَوَتْ شافِيةُ ابْنِ الحاجِبْ العَالِمِ النَّحريرِ ذي المواهِبْ

وختمها بقوله :

وأدِمِ الصّلاَةَ والتسْلِيما على النّبي الحائزِ التّعْظِيما

مُحمّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وكُلِّ بَرٍ قَانِتٍ لِربِهِ

ونوِّرَنْ قَلْبِي بِنُورِ العِلْمِ وارْزُقْنِيَ الفَوزَ بِحُسْنِ الخَتْمِ

♣ **شرح روضة النَّسْرِين في مسائل التمرين**[5] : وهو شرح للأرجوزة السابقة ، وقد أخذ رقم 571 في سلسلة المؤلفات اللغوية الجزائرية عبر القرون[6]،حيث يقول الشيخ المزمّري في بدايته ، بعد الحمد لله

---

[1] – م ن، ص63 .

[2] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد، أدرار ، وهو مطبوع كاملاً داخل كتاب محمد بن أبّ المزمري ، ص171 وما بعدها .

[3] هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي ، الدوين الأصل الإسناني المولد بسنة 570ﻫ أي 1175م ، أخذ اسم ابن الحاجب لأن أباه كان جندياً كردياً حاجباً للأمير عز الدين الصلاحي ، كان فقيها نحوياً لغوياً ، ومن مؤلفاته الشافية وشرحها ، والكافية وشرحها ، توفي عام (646ﻫ– 1249م) بالأسكندرية ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج2 ، ص 134 – 135 .

[4] – محمد بن أبّ المزمري ، ص 171 .

[5] – مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ،أدرار ، وهو مُحقق في كتاب : محمد بن أب المزمري حياته وآثاره ، بداية من ص 67 إلى ص 217 .

[6] – المصنفات اللغوية الجزائرية عبر القرون ، ص88 .

لله ،والصلاة على رسولهﷺ:" لّما منّ الله تعالى عليّ بنظم مسائل التمرين رأيت أن أضع عليه شرحاً وجيزاً يُبين المراد من ألفاظه ، وييسر محاولة معناه على حُفّاظه"[1] .

* **أرجوزة في شافية ابن الحاجب** : وهي قصيدة عقد بها شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط ، وأبطأ عن تجريدها ثم بدا له ، فمزّقها بعد أن جرّد منها نحو كُراسين[2] .

* **شرح للمقصور والممدود لابن دُريد**[3] : ويعد هذا الشرح كذلك من المصنفات التي جاء ذكرها في تراجم شيوخ عبد الرحمان بن باعومر[4].

د/ الأدب : ومن أدبياته نجد :

* **نفث القلم** : وهو شرح لقصيدة لامية العجم التي يقول صاحبها في أول بيت منها:

أصالةُ الرّأي صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ وحِلْيةُ الفَضْلِ زانَتْنِي لَدَى العَطَلِ[5]

ويعتبر هذا النفث كذلك من التراث الذي لم نعثر له على أثرٍ ، غير أن الشيخ عبد الرحمان التينيلاني يدرجه ضمن مصنفات شيخه محمّد ا المزمّري[6] .

* **قصيدة عارض بها أبيات الحريري**[7] **في المقامات** : وهي من الأعمال التي ذكرها له تلميذه عبد الرحمان بن باعومر[8] ، وهي قصيدة في عشرة أبيات في القلب عارض بها أبيات الحريري في المقامات ، بدأها بقوله : " اشْ ارْمُلاَ إذَا عَرَى"[9]

---

[1] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين،تح:أحمد أبا الصافي جعفري،تابع لمحمد بن أب المزمري حياته وآثاره ، ص 83 .

[2] – محاضرة حول التعريف بحياة المزمري ، ص06 .

[3] – بن دريد هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد بالبصرة عام 322ﻫ في خلافة المعتصم بالله العباسي،و من مؤلفاته الشهيرة ، كتاب الجمهرة في اللغة ، توفي عام 321ﻫ ،يُنظر ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج1 ، ص76 –77 .وكتاب الوفيات ، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ، تح : عادل نويهض ، دار المعارف ، بيروت ، ط4 ، 1983ﻡ ، ص 207 .

[4] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ، ص 41 ، نقلا عن محمد بن أُبَّ المزمري ، ص 64 .

[5] – محمد بن أُب المزمري ، ص 64 .

[6] – محمد بن أب المزمري ، ص 64 .

[7] – هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري ، المعروف بالحريري ،ولد سنة 446ﻫ، كان أحد أئمة عصره في علوم اللغة ، بارعاً فصيحاً صنّف كتباً حسنة منها كتاب المقامات ، ودر الغواص فيما تلحن فيه الخواص ، وملحة الإعراب ، توفي بالبصرة عام(516ﻫ– 1122ﻡ) ، يُنظر، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،الأنباري ، تح : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط3 ، 1985ﻡ، ص 278 وما بعدها ، وكتاب الوفيات ، ص 269 .

[8] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ،ص41 ،نقلاً عن ، محمد بن أب المزمري ، ص64 .

[9] – محاضرة حول التعريف بحياة المزمري ، ص07 .

♣ **شرح للقصيدة السابقة** : وقد شرحها شرحين ، أحدهما كبير ،والآخر صغير[1]، وهما من آثار الشيخ المفقودة التي أدرجها تلميذه ضمن مؤلفاته[2] .

هـ/ البلاغة والبديع :

♣ **قصيدة في الجناس**[3] : وهي قصيدة ختم كل أبياتها بكلمة **النّوا** ، يقول في بدايتها:

يَا ويحَ مبْتاع الضلالةَ بالهُدَى فَلسوْف يندَمُ يومَ يُؤخذُ بِ**النَّوا**

♣ **قصيدة في البديع المقلوب**[4] :وهي قصيدة تحويرية ، تُقرأ من اليمن إلى اليسار أو العكس ، كقوله تعالى :﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ،وَ ...﴾[المدثر ، الآية 03].

جاء في مُستهلها :

إِدْرِ كَلامَ كَابِرٍ ربَّاكَ مَا لَكَ رِدّا

♣ **شرح لقصيدة البديع المقلوب**[5] : وهي ورقات ،حلّ فيها ألفاظ ومفردات قصيدته المقلوبة ، بعد بعد أن بلغه أن هناك من يستشكلها ويقدح في معانيها .

♣ ولما كان بأروان من أرض مالي قال مُسلياً نفسه[6] :(طويل)

وَقَائلَةٍ لِي يَابنَ أُبَّ مُحَمَّدا أرَى النَّاسَ طُرّاً هَاهُنَا فِيك زُهَّدا

فَلاَ مُذْهِباً مِنْ أُنْسَةٍ لَكَ وَحْشَةً وَلاَ سَامِعاً مَنْ ذَا يَقُولُ مِنَ الهُدَى

وَبَعْضٌ يَكَادُ إنْ ذَهَبْتَ لِتَبْتَغِي مُصَافَحَةً أنْ لاَ يَمُدّ لَكَ اليَدَا

فَوَ اللهِ لاَ أَدْرِي أذَلِكَ مِنْهُمُ تَجَاهُلُ أوْ جَهْلٍ بِقَدْرِكَ قَدْ بَدَا

فَقُلْتُ جَهِلْتِ الأمْرَ لَوْ جِئت تَاجِراً أسُوقُ حَمَالَةً وأبْرِزُ عَسْجَدَا

لَكُنْتَ لَدى أبْنَاءَ جِنْسِي وَغَيرِهِمْ حَبِيباً إلَيْهِمْ بَلْ أمِيراً وَسَيِّدَا

يَسِيرُونَ نَحْوِي بُكْرَةً وَ عَشَيَّةً سِرَاعاً إلى مَثْوَايَ مَثْنَى وَمَوْحِدَا

---

[1] – م ن ، ص07 .

[2] – تراجم شيوخ عبد الرحمان بن عمر ،ص41 ،نقلاً عن ، محمد بن أب المزمري ، ص64 .

[3] – القصيدة مخطوطة ، وموجودة بخزانة الشيخ باي ، أولف . وقد قام الشيخ بعرضها في محاضرة حول التعريف بحياة المزمري ، ص 21

[4] – القصيدة مخطوطة موجودة بخزانة ابن الوليد وليد ، أدرار . وخزانة الشيخ باي بلعالم ، أولف ، أدرار .

[5] – مخطوط موجودة بخزانة الشيخ باي ، أولف ، وقد أدرج صاحب الخزانة الشيخ باي الشرح كاملاً في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات،ج1، ص109 وما بعدها .

[6] – يُنظر : الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 90 ، و محمد بن أُبّ المزمّري ، ص 45 ، و سلسلة النوات في أبرز علماء توات ، ج1 ، ص 106 ، و صفحات من تاريخ منطقة آولف ، ص 83 -84 .

فَمَنْ قَائلٌ مَهْمَا بَدَتْ لَكَ حَاجَةً فَقُلْ يَا فُلاَنٌ آتِي عَبْداً مُعبَّدَا

ومَنْ قَائلٌ مَنْ شِئتَ فَاخْطُبْ فَإِنَّنَا جَعَلْنَا لَكَ التَّفْوِيضَ فَاحْلُلْ وأَعْقِدَا

وَمَنْ قَائلٌ أَوْصَى أَبِي عِنْدَ مَوتِهِ بِحَجْرِكَ لِي حَتَى أَكُونَ مُرَشِّدَا

وَمَنْ قَائلٌ حَاكَيْتَ فِي الفِقْهِ مَالِكَاً وَمِثْلِي غَبِيٌّ جَاهِلٌ غَيْرُ مُقْتَدَى

وفي ضوء هذا الزَّخم الفكري الذي حظيَ به الشيخ المزمِّري ، فقد غلب على إنتاجه كما رأينا، الاهتمام بأعمال القدماء وتقريبها إلى الأذهان والعقول ، وذلك بطابع النظم والمختصرات والشروح ؛ الذي تناول فيه معظم العلوم الدينية والمعارف اللغوية والأدبية ، وهي سِمة طغت على ذاكرته تُجاه مؤلفاته ، والتي قصد بها التلقين والتعليم اللذين يقتضيان السُّهولة والتيسير على الطلاب والدارسين .

7- مظاهر ثقافته من خلال آثاره :

لقد أنصب اهتمام الشيخ المزمِّري بالثقافة الدينية الواسعة ليُولي بعد ذلك اهتمامه بالعلوم العربية التي تشمل الأدب واللغة والنحو ، فأعطى له لها عظيم جُهده و كرّس لها وقته ، فكان يتمتع بفطنة جبارة لاقطة ، وموهبة ألمعية مبتكرة ، ومن ذلك براعته في الموسيقى وإلمامه بأنواع النغم .

ويقتضي البحث أن نتحدث عن دلائل هذه البراعة التي تكمن فيما يلي :

1 / الابتكار في بحور الشعر : لا يستطيع أحد أن ينكر أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو مكتشف هذه البحور ، ولا حاجة إلى إعادة تلك الروايات التي تعجُّ بها الكتب والمصادر في نسبة علم العروض للخليل ، لأنها ليست موضوع الدراسة، ويمكن الاكتفاء بالقول إن الفراهيدي مكتشف بحور الشعر الخمسة عشر المعروفة[1] ، لكنّ تلميذه الأخفش[2] استدرك عليه بحراً سماه **المتدارك**[3]،

وبذلك أصبح مجموع البحور ستة عشر بحراً جُمعت في قول أحدهم :(طويل)

طَويلٌ يَمُدُّ البَسْطَ بِالوَفْرِ كَامِلُ ويَهْزِجُ في رَجْزٍ ويَرْمِلُ مُسْرِعاً

---

[1] – هذه البحور هي : الطويل – المديد – البسيط – الوافر – الكامل – الهزج – الرجز – الرمل – السريع – المنسرح – الخفيف – المضارع – المقتضب – المجتث – المتقارب.

[2] – هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي مولى بني مجاشع ،يُكنى بأبي الحسن الأخفش وهو نحوي من نحاة البصرة،تتلمذ على سيبويه رغم كبر سِنه ،وكان معلما لوليد الكسائي ، وقرأ عليه كتاب سيبويه فوهبه سبعين ديناراً ، ألّف عدة كتب منها معاني القرآن ، المسائل الكبير ، توفي عام 215ھ أي 830م ، يُنظر ، طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،مصر ، ط2 ،1973، ص 72 وما بعدها ، و نزهة الألباء ، ص 45 .

[3] – يُنظر ، كتاب العروض ، الأخفش ، تح : سيد البحراوي ، مراجعة : محمود مكي ، فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، دط ، 1986 . ص 04 ، و علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2006، ص20 .

فَسَرِّحْ خَفِيفاً ضَارِعاً تقْتضِبْ لَنا مَنِ اجْتُثَ عنْ قُرْبٍ لِتُدْرِكَ مَطْمَعاً

وهي البحور المعروفة والمتداولة منذ عهد الخليل إلى يومنا هذا ، لكن إذا مضينا إلى القول فإنّ ثمّةَ ملْحظٌ ينبغي الإشارة إليه ، وهو أن محمّد المزمّري وبفضل عبقريته ونجاعته في هذا العلم تمكّن من إيجاد بحرٍ جديدٍ، سماه بحر **المضطرب**[1] ،ونظم عليه قصيدة في مدح النبيﷺ من تسعة وثمانين بيتاً ، ومطلعها كما رأينا سابقاً هو :

صَلِّ يا إلَهِي ثُمَّ سَلِّمْ دَائِماً عَلى خيرِ الأنَامِ
ما دَعَاكَ أوْ لَبَّاكَ مُحْرِمْ قَاصِداً إلى البيتِ الحرَامِ
أحْمدُ رسُولُ الله أحمدْ سيُّد الوَّرى طَهَ المُمجَدْ

وتفعيلات هذا البحر ، تظهر لنا من خلال تقطيع أحد أبيات القصيدة ،ولنختار على سبيل المثال لا الحصر ،البيت الأخير من القصيدة الذي يقول فيه :

يَا إلَهَنَا حَمْداً وشُكْراً إذْ هَدَيْتنا سِراً وَ جَهْرَا

0/ 0 / / 0 /0/ 0// 0// 0/ 0 / 0 / / 0/0/ 0// 0// 0/

فاعلن فعولن فاعلاتن فاعلن فعولن فاعلاتن

2/ ونستطيع أن نمضي فنضرب أمثلة أخرى عن هذه الثقافة الفذّة – لامُجاملة– التي كان يتمتع بها الشيخ الإمام المزمّري، الحافظ لكتاب الله الذي ساعده على نظم قصيدة في التوسل إلى المولى عزّ وجل، ومحلّ الشّاهد في ذلك أن القارئ للحرف الأوّل من كل بيت في القصيدة ، وبعد جمع هذه الحروف ، يتبين له قوله تعالى : ﴿ادْعُوْنِي اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر ، الآية 60] .

والقصيدة كاملة هي: (رجز)

الله رَبِي لاَ إلَه سِوَاهُ مَاخَابَ مُضْطَرٌ دَعَا مَوْلاَهُ
دَعْوايَ مَهْمَا بَرَّحَتْ بِي كُرْبَةٌ الله لِي حيْثُ الكَرُوبُ الله
عَوَّدْتُ إلحاحاً بِذلك لَهْجتِي فظَلِلْتُ ما عُمِّرْتُ لاَ أَنْسَاهُ
وإليه أمْري في الحَوادِثِ كُلِّها فَوّضْتُ جَزْماً أنّنِي أُكْفاهُ
نِلْتُ المُنى وكُفِيتُ ما أخْشَاهُ مُذْ نادَيتُ وَا رَبَّاهُ وا غَوْثَاهُ

[1] – ينظر ،محمد بن أب المزمري ، ص54 ، وصفحات من تاريخ منطقة أولف ،ص82 ،وقبيلة فلان ، ص 300 ، و قطف الزهرات من أخبار علماء توات ،ص115 ،ومحاضرة في التعريف بحياة المزمري ،20 ،وتوات والأزواد،ج1،ص278 ،والرحلة العلية إلى منطقة توات،ج1 ،ص95 ،وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ،ج3 ، ص31 .

يَا عُمْدَتِي يا عُدّتِي فِي شدّتِي يا مُحْسِناً عَمَّ الأنَامُ رَحْمَاهُ
أُلطف بِعبْدٍ قَدْ دَعاكَ تَضَرُعاً وَارْحَمْهُ فِي هَاذِي وأُخْرَاهُ
ساءَتْ نَتَائِجُ فِعْلِهِ لَوْلاَ الرَّجا وَرِدَاءُ سِتْرٍ مِنْكَ قَدْ غَشَّاهُ
تُبْ واعْفُ واخْتِمْ بالسّعادَةِ والهُدَى فضْلاً ووَفِّقْنَا لِمَا تَرْضَاهُ
جُدْ واسْتَجِبْ فَلَقَدْ أجَبْتَ تَفَضُلاً أيُّوبَ حِينَ دَعَاكَ مِن بَلْوَاهُ
بَلِّغ مُرَادِي عَاجِلاً مِنْ كُلّ مَا أرْجُوهُ يَا مَنْ ليسَ لِي إلاَّهُ
لَكَ ضَارِعاً وجَّهْتُ وَجْهِيَ سَائِلاً مِنْكَ الرِّضَى يَا ربِّ فَارْزُقْنَاهُ
كُنْ ذَا الجَلاَلِ مُصَلِياً أبَداً عَلى خَيْرِ الوَرَى وعلَى ذَوِي قُرْبَاهُ
مَالاَحَ بِرُّ اليُسْرِ فِي لَيْلِ الأسَى فأزاحَ عَنْ ذِي غُمَّةٍ غُمَّاهُ

3/ ومن طرائف مناقبه الفكرية القصيدة التي رأينا كيف أنها تُقرأ من اليمين إلى اليسار،ومن اليسار إلى اليمين، وهي:

إِدْرِ كَلامَ كَابِرٍ ربَّاكَ مَا لَكَ رِدّا
أدِّبْ وكَفَّ أرْسُناً إِنْ سَرَّ إفكٌ وبَدا
أُدْعُ صَلاحَ بَائِنٍ نِئا بِحَالٍ صَعِدَا
إِدْمَغْ تَقَوُّلَ خَنَا أنِخْ لِوقْتٍ غُمِدا
أُدْنُ لِرَسْمٍ فَرَطٍ طِرْفٍ مُسِرٍّ لِنَدَا
إِدْرأ جِدَالَ باسِرٍ رَّسَا بِلا دُجَى رَدّا
إِدْفأ بِحُرِّ هَادِنٍ نَّدَاهُ رَحبٌ أفِدَا
أُدْلُجْ لِصَوْبِ جَنّةٍ تَنْجُ بِوصلٍ جَلَدا
إِدْأبْ لِكُلِّ عِدّةٍ تَدْعُ لِكُلِّ بَأْدا
إِدْفِنْ إهانَةَ أذى إذا تناهى نَفَذَا

ولعلّ القارئ لهذه الأبيات، يجد نفسه أمام زخمٍ من الأسلوب التحْويري ، الذي يعكس الضوء في عين قارئه، وذلك من شدة جمال ورونق مصطلحاته ومفرداته، والتي قد يراها المرءُ أنها بحاجة إلى شرح وتوضيح لتيسير هذا الإشعاع السَّاطع ، لكن الشيخ بن أُبّ ولإدراكه ذلك ،لم يبخل بوضع شرحٍ لهذه الأبيات المقلوبة ،والذي قال في بدايته :" ...هذه كلمات شرحتُ بها أبياتي العشرة التي نظمتها فيما يستحيل بالانعكاس المُسمى عند أهل البديع بالمقلوب ، فأوضحتها بها إيضاحاً لم يبق معه إشكال ولا التباس ، ليزداد بها كلفاً وإعجاباً كل من يتعاطى الخوض في هذا المقلوب ، والباعث

على ذلك ما قد بلغني عن بعض الطلبة ممن يُعانيها أنه كان يستشكلها ، حتى أفضى به الحال إلى القدح في معانيها ، فلما بلغني ما من القدح أنَالَهَا تعَيَّنَ عليّ تنزيهها عن ذلك ، فقلت أنا لها ، فشرعت في تفصيل شرحها بيتاً بيتاً ، مُلتمساً ممن يقف عليه أن يشكُر لي ما أتحفته به حياً كُنت أو ميِّتاً ..."[1].

4/ ومن الجميل كذلك، أن الشيخ المُزمِّري مُحِبٌّ ومتمسِكٌ بسيرة وسنة النَّبيﷺ، وهو ما ساعده على نظم أرجوزة أخرى في مدحهﷺ،في سبعة وخمسين بيتاً، لكن الواقع أن هذا المدح قد تخللته وقفات نحوية ، حيث كان بن أُبّ في كامل القصيدة يأتي بالشطر من عنده ،والعجز من ألفية بن مالك على سبيل التضمين ، حتى جعل من ألفية ابن مالك النحوية مدحاً للمصطفىﷺ، هذا فإن دلّ على شيء فإنما يدل على ثقافة المزمِّري الدّسمة القابلة لالتصاق شتى العلوم والمعارف بها .

ويجب أن نَمرّ مراً سريعاً ، لكن هذا لا يمنع من الوقوف على بعض هذه الأبيات النحوية المادحة لرسولناﷺ. (رجز)

01 - صَلاَةُ رَبِي لَمْ تَزَلْ مُتّصِلَة على الذِي اسْتَقَرّ أنّهُ الصِّلة [2]

02 - نَبَيُّنا الذِي فَخَارِه أتَى في النَّظْمِ والنثْرِ الصحيحِ مثْبتا [3]

05- لله مَا أجَلَّها مِن فَائِدة فالله بَرٌّ والأيادِي شَاهِده [4]

08- وإنْ تُحاوِلْ فِيهِ نَظْم المِدْحِ فَمَا أُبيحَ افْعلْ ودَعْ ما لَمْ يُبِحْ [5]

14- محمّدٌ ليسَ يُدانِيهِ أحَدْ مَعْنًى وأوَّلْ مُوْهِماً إذا وَرَدْ [6]

23- وكَمْ رَوَيْنا أنّهُ قَدْ أخْبَرا عَنِ الذي خَبرهُ قدْ أُضْمِرا [7]

37- واعْلَقْ بِهِ تُرْفَعْ فَمنْ قدْ عَلِقا بِالرَّافِعِ النّصبُ لَهُ مُحَقِقا [8]

---

[1] – الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ،ص109 .

[2] – جاء في الألفية : واخصص بفاء عطف ما ليس صلة **على الذي استقر أنه الصلة** ، متن ألفية ابن مالك ، ابن مالك، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط2 ، 2007 ، ص107 .

[3] – قاال صاحب الألفية : وليس عندي لازماً إذ قد أتى **في النظم والنثر الصحيح مثبتا** ، م ن ، ص109 .

[4] – قال ابن مالك : والخبر الجزء المتم الفائدة **كالله بر والأيادي شاهده** ، م ن ، ص29 .

[5] – يقول ابن مالك : و الرفع في غير الذي مر رجح **فما أبيح افعل ودع ما لم يبح** ، م ن ، ص55 .

[6] – في الألفية نجد : ولا يضاف اسم لما به اتحد **معنى وأول موهما إذا ورد** ، ألفية ابن مالك ، 79 .

[7] – جاء في الألفية : وقبل حال لايكون خبرا **عن الذي خبره قد أضمرا** ، م ن ، 32 .

[8] – قال ابن مالك : وما سوى النائب مما علقا **بالرافع النصب له محققا** ،م ن ، ص53 .

47- هَاك رَسُولَ الله مِنِي جُمْلة حَاوِيةً مَعْنى الّذِي سِيقَتْ لَهْ [1]

49- قَدّمْتُها أرْجُو بها نيْلَ القرُى وجَوّزُوا التّقديمَ إذْ لا ضَرَرَا [2]

51- وهْيَ لِكوْنِها غرِيبَةُ الصِّفة تُلْزَمُ بِالرَّفْعِ لدى ذي المعْرِفة [3]

57- فلاَ أرى بُؤساً ولا أرى ضَرَرْ ولاَ أرى منْعاً إدا القَصْدُ ظَهَرْ [4]

5/ ومن ملامح هذه الثقافة ،والتفرّد، إتقاله التعبير بالمحسنات البديعية، حيث أنشأ في ذلك قصيدة في النصح والإرشاد تحمل في طياتها محسن الجناس ، إذْ تُختم كل أبياتها بكلمة (**النَّوا**) لكن الغريب في الأمر أن هذه الكلمة تؤدي في كل بيت معنى معين ، ولتوضيح الصورة لابُدّ من عرض هذه القصيدة التي يقول فيها : (كامل)

يَا ويحَ مبْتاع الضلالةَ بالهُدَى فَلسوْف يندَمُ يومَ يُؤخذُ بِ**النَّوا**

مَا هَمُّهُ الإلقاء للكواعِبِ عربٌ تَمِيسُ كأنّها القَضْبُ **النَّوا**

لا النّقص في الدُّنْيا يُساءُ وإنّما حسناته عندَ الحِسابِ هي **النَّوا**

لَمْ يَدْرِ أنْ لاَ بُدّ يوماً أنْ يُرى في آلةٍ حدْباءَ تنْدِبُهُ **النَّوا**

لَكِنّ مِن ذِي حَالِهِ لَمْ يَنتفِعْ بِبُكا البَّوَاكِي ولاَ نُوحَ **النَّوا**

فَدَعِ التّكاسُلَ واسْتَعِدْ مُحاذِراً بَغَتِ المنُون وما يَنُوب من **النَّوا**

واذْكُرْ إلَهَكَ بكْرَةً وعَشيّةً واشكُر لِمُوصِلِ الفرائضِ ب**النَّوا**

واعْبُدْهُ واتقِهِ ولاَ تشْرِكْ بِهِ وافْعَلْ اوامِره ولا تَأتِ **النَّوا**

واسألْهُ لا تَسْألْ سِوَاهُ فإنّهُ مِن فِيضِ أبْحُرِ جُودِهِ يُرْجي **النَّوا**

وارْغَبْ فِيهِ وعُذْ بِهِ مُتوَقِعاً فَرَجاً إذا نزَلَتْ بِسَاحَتِك **النَّوا**

وبعد عرض هذه الأبيات ، حريٌّ بنا أن نُبين معنى كلمة **النَّوا** الواردة في كل بيت ، ففي البيت الأوّل يقصد بها **النَّواصِي** ،ونجد ذلك في قوله تعالى :﴿**يُعرفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُم فَيُوخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالاقْدامِ**﴾[سورة الرحمان الآية 40]، والمقصود من الآية أن الفجرة والكُفار يوم القيامة تُجمع نواصيهم بأقدامهم ،ويُلقون في نار جهنم[5]، والنواصي جمع ناصية ، والنُّصَةُ هي القصَّة من شعر

---

[1] – ورد في ألفية ابن مالك : ومفرد يأتي ويأتي جملة **حاوية معنى الذي سيقت له** ، م ن ، ص29 .

[2] – قال صاحب الألفية : والأصل في الإخبار أن تؤخر **وجوزوا التقديم إذ لا ضررا** ، م ن ، ص30 .

[3] – قال ابن مالك : وأيها ، مصحوب أل بعد صفة **يلزم بالرفع لدى ذي معرفة** ، م ن ، ص114 .

[4] – جاء في الألفية : في باب ظن وأرى المنع اشتهر **ولا أرى منعا إذا القصد ظهر** ، م ن ، ص53 .

[5] – يُنظر ، تفسير ابن كثير ، ج4 ، ص1813 ، و تفسير الثعالبي ، ج3 ،ص276 .

الرأس[1] . وفي البيت الثاني تعني **النَّواعِمْ** ، وهي سِمة من سمات الغُرور بالنفس ،والقَضْبُ النَّواعم الواردة في البيت تعني الأشجار الطويلة المرفوعة القامة[2] ، و لاشك أن ثمة فائدة ، وهي أن الشيخ بن أُبّ بهذه العبارة يُحذّر من صفة التكبر والتعالي .وكلمة النَّوا في البيت الثالث إشارة إلى **النَّواقِصْ** ، وهي عكس الزيادة ، والشاعر هنا يريد أن يُخبِرنا بأن التقصير في عبادة الله تعالى يؤدي إلى النقص في الحسنات ، لأن الذنوب تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . أما في البيت الرابع فتعني **النَّوادِبْ** ، وهم الذين يخرجون مع الميت يستغفرون له ،ويثنون عليه ، فتقول نَدَبَتْ الميت النادبة والنَّوادب[3]، والندب المغفرة وحسن الثناء[4]، والبكاء و تعديد المحاسن[5] . وفي البيت الخامس يقصد **النَّوائِحْ** ،وقد جاء في المحكم والمحيط الأعظم : "ناحت المرأة تنوح نوحاً ،ونواحاً ونياحاً ،والنواح : النساء يجتمعن للحزن "[6]، والنواح هو مقابلة النساء للبكاء على الميت ، والتناوح هو التقابل[7] ، ولذلك سميت النساء بالنَّوائح لتقابلهن بعضهن البعض[8]، ويُقال "جبلان يتناوحان أي يتقابلان"[9]. وفي البيت السادس يقصد بها **النَّوائِبْ** ،وهي نزول المصائب مرة بعد أخرى، وجاء في مختار الصحاح :" النَّوائب تكرار المصائب "[10] ، وكلمة النَّوا في البيت السابع هي بمعنى **النَّوافِلْ** ،والنَّوافل هي عبادة التطوُّع من أجل كسب الأجر ،والتقرّب **إلى** المولى عزَّ وجل ، كنافلة الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والذِّكر، إلى عير ذلك من النوافل التي تعدُّ حمداً وشكراً لله على نعمه الكثيرة على عباده . أما في البيت الثامن فكانت إشارة إلى **النَّواهِي** التي أمرنا الله ورسولهﷺ بالابتعاد عنها، وفي البيت الموالي تعني **النَّوال** ،أي تنزُّل الرزق والرَّحمات من المولى عزَّ وجل عند السؤال والطلب .أما التي ختم

---

[1] – يُنظر ،مادة(نوص)في : معجم المقاييس في اللغة ، بن فارس ، تح : شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، دط،دت ، ص998 ، والقاموس المحيط ، ص655.

[2] – القاموس المحيط ، ص152 – 1173 .

[3] – أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، 2004 ،مادة (ندب) ص625 .

[4] – يُنظر ،مادة(ندب) في: معجم المقاييس في اللغة ، ص1021 القاموس المحيط ،ص163 ،.

[5] – مختار الصحاح ،مادة(ندب)، ص438 .

[6] – المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ابن سيدة ، تح : عبد الستار أحمد فرّاج ، ط1 ، 1985 ، ج4 ، ص 16 .

[7] – يُنظر ،مادة(نوح) في : معجم المقاييس في اللغة ، ص1003 ،والقاموس المحيط ، ص271 ،و إصلاح المنطق ، ابن السكيت ، تح : عبد السلام هارون – محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، دت ، ص 87 ،.

[8] – مختار الصحاح ، مادة(نوح) ، ص 459 .

[9] – إصلاح المنطق ، مادة(نوح) ، ص 87 .

[10] – إصلاح المنطق ، مادة(نوب)ص459 .

بها قصيدته فهي **النَّوازِلْ** بمعنى الأقدار والمصائب ، حيث يدعو الشاعر إلى التحلي بالصبر واللجوء إلى الله عند نزول هذه المصائب والأقدار ، لأنه لا رادَّ لقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى .

فمن خلال هذه الدلائل الخمس السابقة ، قد يكون واضحاً أن ثقافة المُزمِّري بَحرٌ لا يُشقُّ لُّجَهُ ، حيث كان بذلك أمراً عجيباً ، وهو ما جعل أقرانه وتلاميذه يتحيرون في أمره .

8- وفاته:

شهدت مدينة تيميمون التابعة لمنطقة قرارة التواتية تشييع جنازة الفقيد الشيخ محمد المزمِّري ، في ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الآخر سنة ستين ومائة وألف للهجرة(1160هـ) ، الموافق لـ الثامن عشر من شهر جوان عام سبعة وأربعين وسبعمائة وألف من الميلاد(1747م) ، وهناك شبه إجماع من المؤرخين على صحة هذا التاريخ[1].

وكان هذا التشييع بمقبرة سيدي عثمان[2] ،الواقعة وسط مدينة تيميمون ،وبها دُفن رحمه الله وأسكنه وأسكنه فسيح جنانه إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقبره الآن يُعرف باسم إحدى مؤلفاته الشهيرة في كامل أصقاع منطقة توات ، وهو كتاب **العبقري** الذي تحدثنا عنه آنفاً .

هذا القبر الذي اتخذ اسم العبقري عنواناً له ، كان التوافد عليه بكثرة من أجل الترحُمِ والدُّعاء على روح الفقيد المزمِّري ، حتى جعل الشيخ الحاج محمّد بن لكبير[3] من يوم الخميس يوماً لزيارة قبر محمد بن أبّ المزمِّري رفقة تلاميذه[4] .

ولقد رثاه ابنه ضيف الله في رحلته التي خصصها لزيارة قبره بقوله[5] :

---

[1] – ينظر ، رحلة ضيف الله ، ص 72 ، و جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، ص31 ، والنبذة في تاريخ توت وأعلامها ، ص113 ، ومحمد بن أب المزمري ، ص66 ، وتوات والأزواد ،ج1 ، ص278 ، ومحاصرة في التعريف بحياة المزمري ،ص02 ، وصفحات من تاريخ منطقة آولف ،ص85 . وقبيلة فلان ،ص302 .والتاريخ الثقافي لإقليم توات ، ص64، وسلسلة النوات في أبرز علماء توات ، ج1 ،ص106 .

[2] – هو عثمان بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن الطيب بن عبد السلام ، ويرتفع نسبه إلى إدريس بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ، ولد بمكة المكرمة ، ونشأ عالماً فقيهاً زاهداً ، زار عدة مدن وأقطار ، حتى حط به الرحال بمنطقة توات ، فاستقر بمدينة تيميمون ، وبها وافته المنية رحمه الله في القرن 8 هـ ، ودفن بالمقبرة التي أخذت اسمه من ذلك الوقت إلى يومنا هذا . سلسلة النوات في أبرز علماء توات ،ج3 ، ص29- 30 .

[3] – هو من أشهر علماء المنطقة ، أسس زاوية بوسط مدينة أدرار ، خرّجت عدداً من الائمة والمشايخ ، من مواليد سنة 1330هـ- 1911م ، وافته المنية رحمه الله يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الآخر سنة 1421هـ ،الموافق لـ الخامس عشر من سبتمبر عام 2000م . الرحلة العلية إلى منطقة توات ، ج1 ، ص 343 وما بعدها .

[4] – محمد بن أب المزمري ، ص66 .

[5] – رحلة ضيف الله ، ص 70 .

توفي الشيخُ فِيها عن قريبٍ بأهونِ من جمادى بغيرِ لُبْسِ
بِيومِ عَاشِرٍ مِنْهُ بِعامٍ مِنَ السِتِين في تَحْقِيقِ حَدْسِي
وفي ذا العامِ غارتْ عيونٌ[1] كصوفي[2] وجنْتُوري[3] بحسي
سَقَى الله ثَراهُمْ كُلّ وَبْلٍ مِنَ الرّحَمَاتِ فِي نَرْدٍ وَأَوْسِ

[1] – بمعنى أن هذه السنة 1160ﻫ شهدت وفاة عدد من العلماء ، ولمعرفة هؤلاء العلماء الذين ماتوا في هذا العام ، ينظر محمد بن أب المزمري ص66

[2] – يقصد محمد بن الصوفي البادرياني ، وهو أحد علماء المنطقة الذين أخذتهم المنية بهذا العام رحمهم الله ،م ن ، ص66 .

[3] – يقصد عبد الرحمان الجنتوري ، وهو كذلك من العلماء الذين لفظت أنفاسهم في هذا التاريخ رضي الله عنهم ، م ن ، ص66 .

المبحث الثاني :آثاره النحوية (قراءة في : العنوان ،و الطريقة ،والموارد ، والمحتوى ،والأهمية

)

01/ نيل المراد من لاميَّة ابن المجراد

02/ نظم مقدمة ابن آجرُّوم

03/ نزهة الحَلُوم في نظم منثور ابن آجرُّوم

04/ كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجرُّوم

05/ روضة النّسرين في مسائل التمرين

06/ شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين

لقد دأب النّحاة الأوائل – بعد القرن 02هـ– إلى التأليف بعد انبهارهم ،و إعجابهم الشديد بكتاب سيبويه (ت180هـ) ، الذي ظلّ – ولا يزال – أعجوبة الدّهر الخالدة ، وكأنّما كان ذلك صدى أكيداً لِما ذهب إليه المازني[1](ت249هـ) قديماً حين نظر في هذا الكتاب فقال : " من أراد أن يُصنِّف كتاباً واسعاً في النّحو بعد سيبويه فليستح"[2]، وبعد فترة الدهشة والإعجاب هذه ظهرت حركة تأليفية عالية المحتوى في التقعيد والتأصيل النحويين ، استمرت في التداول على مرِّ العصور في سائر أقطار المشرق العربي ، حتى تضخم النحو بفضل هذه المصنفات التي أصبحت مصدر شكوى من الدارسين ، وصارت له صورة تعُجُّ بالألغاز والغموض ، حينها بذل العلماء جهوداً كبيرة ، تمثلت في تصنيف كتب الإيضاح والتسهيل والشروح وكذا الحواشي .

نُرْجِئُ هذا قليلاً لنسأل عن حال التأليف النحوي في المغرب العربي ؟ ، فإذا كان لي أن أُلخِص الجواب فإني أقول ، إن المغرب، وبحُكم بربريتها ، وغياب فصاحة لغتها، يقتضي من مؤلفيها في ميدان النحو إتباع الاتجاه التعليمي ، قصد التيسير والتسهيل في محتوى المصنفات ، من أجل تقريبها للأذهان وبلوغ الهدف المنشود .

وندعم هذا التلخيص للجواب بكلام ابن خلدون الذي يقول : " فأهل إفريقية والمغرب لَما كانوا أعرَقَ في العُجمة ، وأبعد عن اللسان الأول ، كان لهم قُصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم"[3].

ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا أن التيسير الذي اتسمت به هذه المؤلفات المغربية مردّهُ إلى الاختلاط الموجود بين العرب والبرابر العجم ، الذي أدى إلى عجمة اللسان العربي الأول.

وفي خِضَمِ هذا المضمار ، ينبغي ألاّ يغيب عن الأذهان أن منطقة توات الجزائرية هي إحدى أصقاع المغرب العربي ، ولكونها كذلك ، فقد شهدت هي الأخرى حركة نحوية في التأليف تُحاكي نظيراتها في المغرب، حيث كانت تآليف علمائها امتداداً وترديداً لِما صُنِّف قبلهم من المقدِّمات والشروح والتعليقات، وهلُّم جراً من المختصرات النحوية المتأخرة ، مع الالتزام في ذلك بقالب التبسيط والتيسير ؛ الأمر الذي جعلها محجّ المتعلمين والمبتدئين .

---

[1] – هو بكر بن محمد بن بقية بن حبيب الإمام أبو عثمان المازني البصري ، كان إماماً في العربية متسعاً في الرواية ، أخذ عن الأخفش ، ومن تصانيفه كتاب في القرآن ،و علل النحو ، وتفاسير كتاب سيبويه ، توفي سنة 249هـ ، يُنظر ، طبقات الزبيدي ، ص 87 وما بعدها ، و بغية الوعاة ، ج1 ، ص 463 .

[2] – نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، دار المنار ، دط ، 1991م ، ص 61 .

[3] – المقدمة ، ص 583-584 .

وعن طريق هذا الفهم ، اتّجه الشيخ المزمّري التواتي إلى مطالعة ما خلّفه العلماء قبله من تراث ضخم، حينها أدرك أن ليس لديه زيادة علمية على ذلك ، كما أن طلاب زمانه يصعب عليهم استيعاب هذا التراث ، وهو ما أدى به إلى الاختصار ، إذْ عَمدَ في ذلك إلى وضع هذه المختصرات داخل نُظم شعرية ، أو اللّجوء إلى شرحها وتبسيط معانيها قصد تيسيرها وتسهيل حفظها، بعد أن رأى أن ساحة الابتكار قد ضاقت به ولم يعد له أي مكان يحتله فيها، ومن تلك الآثار التي دفعه الفضول إلى التعامل معها نجد ما يلي :

01/ **لاميّة ابن المجراد (ت778ﻫ)**: وهي منظومة في إعراب الجمل تحتوي على واحدٍ وسبعين (71) بيت ، موّزعة على الشكل التالي[1] :

- تمهيد ،وبه خمسة أبيات .
- فصل في بيان الجمل ، وبه خمسة أبيات .
- بيان الجمل الكبرى ، وبها ثلاثة أبيات .
- أقسام الجملة الكبرى ، وبه ثلاثة أبيات .
- الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب ، وبه سبعة أبيات .
- الجمل التي لها محلّ من الإعراب ، وبه اثنا عشر بيتاً .
- حكم الجملة بعد النكرة والمعرفة ، وبه ثلاثة أبيات .
- بيان حروف الجر وما يتعلق بها وما لا يتعلق ، وبه سبعة أبيات .
- حكم المجرور بعد النكرة والمعرفة ، وبه بيت واحد .
- ما يتعلق به المجرور إن وقع حالاً أو صفة أو خبراً أو صلة ، وبه أربعة أبيات .
- في رفع الفاعل بعد النفي والاستفهام وفي غيرهما ،وبه ثلاثة أبيات .
- خاتمة ، وبها ثلاثة أبيات .

ولقد بدا للشيخ المزمّري أن يُعالج هذه اللاّميّة ، بشرحها وتبسيط كل ما ورد فيها قصد تعميم الفائدة ،وسمى معالجته هذه بالعنوان التالي :

* **نَيلُ المُراد مِن لاَمِيّة ابن المجرَاد** : إن المتصفح في المعاجم اللغوية للبحث عن مفردات هذا العنوان ، يكاد يحظى بأن كلمة(النيل) في اللغة هي من نَالَ يَنَالُ نَائِلاً ونيْلاً ومَنالاً والنيل هو

[1] - نحو الجمل ، ص 138 .

الإصابة ، ونقول نلتُ من العدو ؛ أي هزمته[1].

أما كلمة (المراد) فهي بلوغ الغاية من الشيء[2]، وهي "أصل صحيح يدل على تجريد الشيء من قشره أو ما يعلوه من شعر"[3]، ونقول مرّد البناء أي ملّسهُ وحسَّنهُ[4] .

ويتضح جلياً بعد هذه القراءة اللغوية ، أن المبتغى من عنوان المزمِّري هو إصابة الغاية من لاميّة المجرادي ، و تجريدها من الغموض ووضعها في حُلّة حسنة .

وسرعان ما نكشف عقب ذلك ، أنه حاكى في عنوانه هذا عدّة مصنفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : نيل المراد في تخميس بانت سُعاد[5] ، للآثاري(ت828هـ)، ونيل المراد في معرفة رجال الإسناد[6]، لأبي عبد الله محمد الحجوحي(ت842هـ) .

الطريقة المتبعة في الشرح:

إن من أعظم التوفيق أن يُسخِّر المرء قلمه ،ويبذل جهده في سبيل خدمة الدين واللغة ، ومن أهم تلك الخدمة تيسير العلوم ،وتسهيل المعارف ، وتقريب المصادر والتعريف بها ، وتأسيساً على ذلك فقد أقدم المزمِّري على تسخير وقته لشرح لاميّة ابن المجراد المغربي في إعراب الجمل .

وبما أن هذا الشرح جاء تابعاً وممتداً حسب عنوانه لمنظومة المجرادي ، فإنه من المناسب أن يُحاكيه المزمِّري في النهج والترتيب ، ومن معالم هذا المنهج ما يلي :

1/ استهلّ عمله هذا بالبسملة، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ ،على غرار جلِّ مصنفات التراث العربي الإسلامي ،ثم بعد ذلك عرّف بنفسه قائلاً:

"... فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه ، المشفق على سربه من حيث كسبه ، محمد بن أُبّ بن أحميد بن عثمان المزمِّري نسباً ، التواتي داراً ومولداً ، ستر الله عوراته"[7] ، لِيُعنْوِنَ رسالته هذه بقوله :" هذه

---

[1] – ينظر مادة (نال) في : أساس البلاغة ، ص 662، ، والقاموس المحيط ، ص 1077 ، ومختار الصحاح ، ص 461

[2] – القاموس المحيط ، ص 343 ، مادة (مَرَدَ).

[3] – معجم المقاييس في اللغة ، مادة(مَرَدَ) .

[4] – مختار الصحاح ، مادة(مَرَدَ) ، ص 417.

[5] – لامية في النحو ، الآثاري ، تح : هلال ناجي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1999م ، ص 11 .

[6] – دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، عبد السلام المسري ، دار الفكر ، بيروت ،ط1 ، 1997م ، ص 205 .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 01 .

ورقات قصدت بها نيل المراد من لامية ابن المجراد"[1]، ثم شرع في شرح المنظومة كلمة كلمة ، مُدعماً ذلك بالشّواهد المختلفة ، وبخاصة القرآنية منها .

2/ حذا حذو الشارح في محتوى الموضوع ، وحيثياته ، والأمر الذي يؤكد ذلك أن المزمِّري قد حرص على إبقاء المنظومة على ماهي عليه ، ولم يَحِدْ عن ذلك أثناء الشرح إلاّ ما صدر عنه من تنبيهات وفوائد يُدعم بها فكرته لتتضح للقارئ المتعلم .

3/ انبرى المزمِّري إلى دمج كلامه بكلام الناظم أثناء نثر النظم في الشرح ، بحيث أن القارئ أحياناً لا يُفرّق بين النظم والشرح ، ومن أمثلة ذلك قوله : " ...كما أن جملة أخوه عالم صغرى لا غير بالذي متعلق بعالم تلا أي تبع أو قرأ "[2] ، فللناظم في هذا الكلام كلمتين هما : (الذي) ،و (تلا) .

لكن هذا المزج أثناء الكلام يكون بحسب ما يقتضيه المقام ، وعلى النقيض من ذلك ،فقد يتهيأ للمتصفح وهو يقرأ سطور هذا الشرح ، أن المزمِّري يُشْعِرُ طُلابه بكلام الناظم من غيره ، في مثل قوله :"قال الناظم"[3] ، "وهوظاهر كلام الناظم "[4]، "وإليها أشار بقوله "[5]، "أمثلة ذلك في قوله "[6].

4/ وإحساساً بضرورة استعمال حركة الكلمة ، فقد نجده أحياناً يبين الحركة حتى لا تختلط المعاني على المتعلم ، في مثل قوله : " الدرجات العُلى بالضمِّ جمع عليا بوزن حبلى مقابلة سفلى"[7]، وقوله : : " ودرهمٌ ذا في الكيس بكسر الكاف ،وعاء بالكسر وعاء الدراهم "[8] ، كما وضّح أن حركة الواو في (الولا) ، سواء كانت مفتوحة أو مكسورة ، فمعناها واحد ، في قوله : " ذو الوَلا بالفتح أي صاحب النُّصرة ، أو بالكسر أي المتابعة والموافقة "[9].

5/ لم يغفل الخلافات الموجودة بين النّحاة، لكنه ولغرضه التعليمي كان يتعرض لها بإيجاز بعيد عن الفلسفة النحوية ، ونورد ذلك من قوله : " ... إن رُبّ حرف جر يجر النكرات ولابدّ لمجرورها

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 01 .
[2] – م ن ، 07 .
[3] – م ن ، ص 01 .
[4] – م ن ، ص 24 .
[5] – م ن ، 13-14-15 .
[6] – م ن ، ص18 .
[7] – م ن ، ص 01 .
[8] – م ن ، ص 07 .
[9] – م ن ، ص 06 .

غالباً من الصفة ، والعامل فيه عند سيبويه محذوف ، أي رأيت أو وجدت ، وذهب الأخفش إلى أنها حرف جر زائد في الإعراب "[1] ، وقوله أيضاً في جواز تعليق حروف الجر بالفعل :"إن يك ناقصاً ناقصاً ككان وأخواتها مُختلف فيه ، فبعضهم يقول به أي بالجواز على أن الفعل الناقص يدل عل الحدث ، وبعضهم يقول بالمنع بناء على أنه لا يدل عليه "[2].

6/ انبرى في عمله هذا على الوضوح والاختصار، ومن أمثلة ذلك استعماله كلمة (أي) بعد كلام ابن المجراد، دلالة على الشرح والتبسيط، ومواطن ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله :" أولي أي أصحاب الفضل "[3] ، " دائماً أي حال كونه باقياً"[4].

7/ ونُعزِّز هذا كله ، بأنه كان بعد أن يسرد الفكرة ، أو يذكر أقوال العلماء في المسألة ، يتبعها بقوله (الله أعلم)[5].

و أيّاً كان الأمر فإن الشيخ قد نهج في مؤلفه مسلك التيسير والتذليل والسهولة وكذا الوضوح، حتى يستوعبه الخاص والعام، كما يعتبر شرحه هذا كنزاً ثميناً لما حوى من قواعد نحوية، وإشارات مركزة لمسائل كثيرة، وآراء متنوعة.

موارده في انتقاء المادة :

يتردد في ثنايا أوراقه هذه ذكر لكثير من اللغويين والنحاة ، أفاد منهم كثيراً ، مما يعطينا تصوراً واضحاً على سعة اطلاعه ،ومعرفته بالكتب ودرايته بها .

فأحياناً تراه ينصُّ على اسم الكتاب متبوعاً بذكر اسم صاحبه، وتراه أخرى يذكر الكتاب دون مؤلِفه، وأخرى يذكر أقوال العلماء مع ذكر اسمائهم من غير أن ينصَّ على اسم الكتاب، ورابعة تراه يُومئ للعلماء دون أن يُحدد الأشخاص ولا المصنفات، بل يُشير إليهم إشارة عامة، أفراداً وجماعات.

ومن الكتب التي جاء ذكرها صراحة باسمها ، مايلي[6] :

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

[2] – م ن ، ص 21 .

[3] – م ن ، ص 03 .

[4] – م ن ، ص 27 .

[5] – م ن ، ص 13 – 22 - 25 – 28 – 29 .

[6] – الكتب مرتبة على حسب ترتيبها في الشرح .

– **شرح ألفية العراقي للمناوي** : وجاء ذلك على لسانه في الكلام عن سمات المصطفىﷺ ، بقوله : " ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في **شرحه على ألفية العراقي** ، إن من خواص اسمه الشريف محمدﷺ ..."[1]

– **خلاصة ابن مالك (الألفية) (ت672ھ)** :وأفاد منها في حديثه عن الجملة المضافة الواقعة بعد (إذا) ، بقوله :"... أو ما بعد إذا ولا تكون إلاّ فعلية كما في **الخلاصة**"[2]، وورد في نظم الألفية قول ابن مالك : وألْزَمُوا إذَا إضَافَةً إلَى جُمَلِ الأفْعَالِ كَهُنْ إذا اعْتَلَى[3].

– **شرح البردة لابن مرزوق**[4]**(ت842ھ)** : ونصّ عليها في كلامه على حرف الجر الزائد (رُبّ) ، ، بقوله :" قال ابن مرزوق في **شرح البردة** ، يرى الجمهور إن رُبّ حرف جر يجر النكرات "[5].

– **القاموس المحيط للفيروز أبادي**[6] **(ت816ھ)**: ورجع له أثناء شرحه لكلمة (المجد) ، وذلك في قوله : " قال في **القاموس** المجد نيل الشرف والكرم ،أولا يكون إلاّ بالآباء أو كرمُ الآباء خاصة"[7] ، وهو نفس الكلام الوارد حرفياً في القاموس المحيط[8] .

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 02 .

[2] – م ن ، ص 15 .

[3] – ينظر ، متن ألفية ابن مالك ، ص 80 ، و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،تح ، محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دط ، 1997م ،ج3 ، ص 60 .

[4] – هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الموصول بأبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني ، عُرف بالحفيد ، ولُقب بابن مرزوق ، وهو مفكر أصولي ومحقق ومفسر ، وناظم لغوي ، متضلع في النحو والبيان والعروض ، ولد بتلمسان عام (766ھ- 1354م) ، ومن مصنفاته شرح البردة الأكبر والأوسط والأصغر ، والمعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج ، توفي بتلمسان سنة (842ھ- 1438م) ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 486- 487 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

[6] – هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي ، مجد الدين أبو الطاهر ، ولد سنة 729ھ/1329م، بكارزين ، وتفقه ببلاده ونظر في اللغة فكانت جل قصده في التحصيل ، ومن مصنفاته القاموس المحيط ، واللامع ، وشرح صحيح البخاري ، مات ليلة العشرين من شوال سنة ست عشرة وثمانمائة للهجرة ، يُنظر ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص 273- 274 . و المختار المصون من أعلام القرون ، ص 561 .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 28 .

[8] – يُنظر، القاموس المحيط ، مادة (مَجَدَ) ، ص 342.

–شرح صغرى الصغرى للسنوسي[1] **(ت895ھ)** :وقد أفاد منها في حديثه عن رسولنا محمدﷺ ، في قوله :"وقال الشيخ السنوسي رحمه الله في **شرح صغرى الصغرى** بعد كلام طويل، وبالجملة فثبوت شرفه وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد يكون معلوماً من الدين ضرورة بحيث لا يحتاج لسرد دليل ، وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل"[2].

– كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي[3]**(ت741ھ)** : وجاء ذلك في حديثه عن قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء الآية 106] ، وهو قوله : " قال في **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل** هذا خطاب لمحمدﷺ وفيه تشريف عظيم"[4].

أما العلماء الذين نقل عنهم وبذكر أسمائهم دون النّص على أسامي مصنفاتهم ، فهم[5] :

– السيوطي(ت911ھ) : وقد ورد ذكره في موضعين ، أحدهما قوله :" قال **السيوطي** رحمه الله فائدة ،قال الراغب السؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بعن ..."[6]، والثاني قوله : " قال **السيوطي** رحمه الله تَرِدُ كاد بمعنى أراد"[7] .

– **عياض**[8]**(ت630ھ)** :نقل عنه فائدة فحواها أن إياك نستعين هو موضع الرقية من الفاتحة ، وهو دعاء الفرج[1].

---

[1] – هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني ، من مواليد عام (832ھ- 1428ء) ، كان من كبار العلماء بتلمسان وزهادها ، تبحر في العلوم الدينية والعقلية ، أشتهر بعقائده في علم الكلام ، ومن أهم آثاره ، العقيدة الكبرى ،والعقيدة الصغرى ، والعقيدة المختصرة ، وهي أصغر من الصغرى ، وشرحها ، توفي سنة 895ھ/ 1490ء ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 292- 293 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 27 .

[3] – هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي الكلبي الغرناطي ، يُكنى بأبي القاسم، كان عاكفاً على العلم وخاصة العربية والفقه والشعر ، قُتل في معركة الكائنة طريف ، المختار المصون من أعلام القرون ، ص 178 – 179 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 02 .

[5] – ترتيب العلماء على غرار ذكرهم في الشرح .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 04 .

[7] – م ن ، ص 15 .

[8] – هو عياض بن محمد بن عياض بن موسى ، يُكنى بأبي الفضل ، كان من ذوي المشاركة في الفنون العقلية وغيرها ، كما كان فصيحاً شاعراً ، فاضل الأخلاق معظماً عند الملك ، ولد سنة إحدى وستين وخمسمائة (561ھ) ، وتوفي بمالقة سنة ثلاثين وستمائة (630ھ) ، يُنظر ، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ، ابن فرحون المالكي ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1996ء ، ص 273 ، وكتاب الوفيات ، ص 317 .

– **الحريري(ت516ھ)** : سرد أقواله في عدة مواطن نذكر منها ، البيت الشعري الذي استشهد به عن اسم الزمان المضاف إلى الجملة الاسمية ، وجاء ذلك في قوله:" يقول **الحريري** :

فَوَ الذي تَعْنُوا الوجُوهُ لَهُ يومٌ وجُوهُ الجَمع سُودٌ وبِيضُ "[2]

– **أبو إسحاق الزجاج**[3] **(ت311ھ) ، و ابن درستويه**[4] **(ت347ھ)** : وأفاد منهما قولاً أثناء حديثه عن محل الجملة الاستئنافية الواقعة بعد (حتى) ، ويظهر ذلك في قوله :" وقال **أبو إسحاق الزجاج** ونحوه **ابن درستويه** جرُّ محلها ، أي الجملة ، لا يفيد كونها استئنافية إذا وقعت بعد حتى"[5].

– **الشلوبين**[6] **(ت645ھ)** : وقد نقل عنه مرة واحدة ، في الحديث عن الجملة المفسرة ،وهو قوله : " وقال **أبو علي الشَّلَوبِين** بفتح أوله وثانيه ،وكسر رابعه الأشبيلي المتوفى سنة خمس وأربعين وستمائة ، المفسر أي الكلام يعني الجملة مثل ما يفسر بالبناء للمفعول في الإعراب أي في

إعرابه ، فإن فُسر ماله محل فهو كذلك و إلاّ فلا"[7].

– **المرادي**[1] **(ت749ھ)** : وقد أفاد منه العلة في عدم جواز اقتران الجملة الحالية المبدوءة بالمضارع المثبت بالواو ، والعلة هي قوله : " وقال **المرادي** لأن المضارع مشابه للاسم فلا تدخل عليه الواو كما لا تدخل على الاسم"[2].

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 04 .

[2] – م ن ، ص 15 .

[3] – هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، كان من أهل الفضل والدين ، وكان يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، فلزم المبرد ، وكان يعلم بالأجرة ، ومن تصانيفه : معاني القرآن ، وخلق الإنسان ، وشرح أبيات سيبويه ، والعروض، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص 411 وما بعدها .

[4]– هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي ، من بلاد فارس ، أقام ببغداد ولازم المذهب البصري مع التعصب الشديد ، وتلقى العلم على يد المبرد وثعلب وغيرهما ، ومن أهم مصنفاته في النحو : أسرار النحو ، والرد على ثعلب ، وأخبار النحويين ، توفي ببغداد عام 347ھ ، يُنظر ، طبقات الزبيدي ، ص 116 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 106 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 08 .

[6] – هو أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين ، ولد بإشبيلية ، وأخذ عن السهيلي والجزولي ، ومن مصنفاته : التوطئة ، والتعليق على كتاب سيبويه ، توفي عام 645ھ بإشبيلية ، يُنظر بغية الوعاة ، ج 2 ،ص 224 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 139 .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

– **البوصيري(ت695ﻫ)** :وجاء ذلك في حديثه عن الجملة الحالية ،حيث مثل لها بقوله :" ... وجملة يشتكون من قول **البوصيري** : وأتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أذَاهَا وَزَحاً يُودِي الأنَامَ غَلاءُ"[3]

– **سيبويه (ت180ﻫ)** :وقد نقل عنه أن (لا) الامتناعية لا تتعلق إذا وليها ضمير متصل ، وهو قوله : " ... ولا الامتناعية عند من جعلها حرف جر ، وهو **سيبويه** إذا وليها ضمير متصل ، وذلك نحو لولاي ولولاك ولولاه "[4]

– **الأخفش(ت215ﻫ)** ، **وابن عصفور**[5]**(ت663ﻫ)** :وجا ذكرهما في الحديث عن (لولا) ، حيث قال عنها – أي لولا- : " ... وإنما لم تتعلق بشيء كما قال **الأخفش** و**ابن عصفور** "[6] ونقل عن الأخفش أيضاً ، أثناء كلامه عن (رُبّ) ، حيث قال :" وذهب **الأخفش** إلى أنها حرف جر زائد في الإعراب لا تتعلق بشيء و مجرورها في نحو رُبَّ رجلٍ صالح لقيني"[7].

– **الفراء**[8]**(ت207ﻫ)**:وجا اسمه مع الأخفش في قول ابن أُبّ :"... وأما أبو الحسن بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة خمس عشرة وقيل إحدى وعشرين ومائتين ، و**الفراء** الكوفي ، أطلقا جواز رفع المجرور الفاعل ، ولم يُقيداه باعتماد على شيء ، فيجيزون (في زيد) من نحو قولك (في الدار زيد) ، أن يكون فاعلاً بالمجرور"[9].

---

[1] – هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المولد ، كان أحد علماء العربية والفقه ، ومن مصنفاته : شرح التسهيل ، وشرح المفصل ، وشرح الألفية ، والجني الداني في حروف المعاني ، مات يوم عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة، يُنظر ، بغية الوعاة ، ج 1 ، ص 517 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 164 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[3] – م ن ، ص 17 .

[4] – م ن ، ص 19 .

[5] – هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي ، عُرف بابن عصفور ، وهو شيخ فقيه ونحوي رفيع القدر ، من أهل إشبيلية ، قرأ على الشلوبين ، ومن أهم تآليفه في العربية : المقرب ، والإيضاح ،و ثلاثة شروح على الجمل الكبيرة للزجاج ، توفي نتونس في سنة 663ﻫ ، يُنظر ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، الغبريني ، دار البصائر ، الجزائر ، ط1 ، 2007م ، ص 149- 150 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 155 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

[7] – م ن، ص20 .

[8]– هو يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي ، ولد سنة 144ﻫ بالكوفة ، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم باللغة والنحو ، انتقل إلى بغداد ليتولى تربية ولدي المأمون ، ومن أهم تصانيفه : معاني القرآن ، توفي في طريق مكة عام 207ﻫ، يُنظر ، بغية الوعاة ، ج2 ، ص 333 ، و طبقات الزبيدي ، ص 131 وما بعدها ، ونزهة الألباء ، ص 81 . ودراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، المختار أحمد ديرة ، دار قتيبة ، بيروت ، ط1 ، 1999م، ص 69 وما بعدها .

[9] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 25 .

– **ابن هشام**[1](**ت761هـ**) : وقد ورد اسمه في عدّة مواضع من الشرح ، أولها في الحديث عن حروف الجر بقوله :" قال **ابن هشام** والحق أن جميع الحروف الجارة في موضع الخبر ونحوه تدل على الاستقرار "[2]، أما الثانية فكانت في الاستدلال على أن الفاعل الواقع بعد المجرور مرفوع بالمجرور لنيابته لنيابته عن الفعل المحذوف ، حيث قال :" ... **ابن هشام** وهذا هو الراجح عند الحذف بدليل امتناع تقديم الحال في نحو زيد في الدار جالساً، إذ لو كان الفعل هو العامل لم يمتنع"[3].

– **ابن الحاجب**(**ت646هـ**) : وقد أفاد منه في جواز تعلق حروف الجر بأحرف المعاني ، وجاء ذلك في قوله :"... وهو قول جماعة منهم **ابن الحاجب** قائلاً إذا قلت ما ضربته للتأديب، فإن قصدت نفي ضرب فعلل بالتأديب فاللام متعلقة بالفعل والمنفي ضرب مخصوص وللتأديب تعليل الضرب المنفي، وإن قصدت نفي الضرب على كل حال فاللام متعلقة بالنفي والتعليل له"[4] بمعنى أن أن انتفاء الضرب هو لغرض التأديب ،و إلاّ لترك المؤدب الضرب ،و نفس الشيء في التعلق بحرف النفي نحو :ما أكرمتُ المسيء لتأديبه ، وما أهنت المحسن لمكافئته ، ولو كان التعليق بالفعل هنا لفسد المعنى المقصود .

– **أبو علي الفارسي**[5](**ت377هـ**) : أفاد منه في الحديث عن الجملة المضافة الواقعة بعد (إذا) ، وذلك في قوله :" ... إنها في محل جر بإضافة هذه الأشياء إليها عند من بلاها أي اختبرها حتى عرف محلها من الإعراب، وذلك القول مبني على قول فرقة من أهل النحو منهم **الفارسي**"[6]

– **الشافعي**[1] (**ت204هـ**) : وجاء ذلك في حديثه عن آل المصطفىﷺ ، في قوله :"قال **الشافعي** رضي الله عنه آله بنوا هاشم وبنوا عبد المطلب ، وهم الذين يحرم عليهم أخذ الصدقة"[2]

---

[1] – هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري ، ولد بالقاهرة ، ونشأ بها مولعاً بالعلم ، حتى فاق أقرانه ،وصنف مؤلفات مليئة بالفوائد منها : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، وشذور الذهب ، وقطر الندى وبل الصدى ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، توفي بالقاهرة ودفن خارج باب النصر سنة 761هـ ، يُنظر ، المختار المصون من أعلام القرون ، ص 315 ،ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 164 وما بعدها .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

[3] – م ن ، ص 24 .

[4] – م ن ، ص 21-22 .

[5] – هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان ، الإمام أبو علي الفارسي ، أحد علماء العربية ، أخذ عن الزجاج وابن السراج ، وتخرج على يديه عدة طلبة منهم ابن جني ، ومن مصنفاته : الحجة ، وتعليقة على كتاب سيبويه ، توفي ببغداد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص 496 – 497 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 15 – 16 .

أما عن إشارته وإيمائه للعلماء ، فقد تعددت الألفاظ والعبارات في ذلك ، وهي قوله : قال بعض المتأخرين[3] ،وجدت بخط من أثق به[4] ،قولهم[5]،قال بعض الأدباء[6] ،يرى الجمهور[7]، يرى القوم[8]، على رأي البغداديين[9] ،قال بعضهم[10] ،وجماعة رأوا[11]، عندهم[12] ،قال بعض الشراح[13]، قال رجل[14] ، قول فرقة من أهل النحو[15].

المحتوى :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا المصنف جاء تابعاً وممتداً حسب عنوانه لعمل ابن المجراد(ت778ﻫ) في إعراب الجمل ، وقبل أن نشرع في قراءة محتوى هذه الرسالة النحوية رأينا أن نقدم لذلك بالإشارة إلى كتب التراث التي حملت بين دفتيها موضوع الجمل وإعرابها ، ولست أحب أن أتتبع ذلك على مرِّ التاريخ والأجيال ، لئلا يطفح بنا عنان القلم عن المفيد في البحث والمقصود .

---

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية ، ولد بغزة سنة 150ﻫ ، أخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي ، والإمام مالك بن أنس ، ومن تصانيفه : كتاب الأم في الفقه ، واختلاف الحديث ، والمسند في الحديث ، توفي عام 204ﻫ ،كتاب الوفيات ، ص 155 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 28 .

[3] – م ن ، ص 02 .

[4] – م ن ، ص02 .

[5] – م ن ، ص 06 – 29 .

[6] – م ن ، ص 06 .

[7] – م ن ، ص 09- 10- 11- 22- 25- 26- 29 .

[8] – م ن ، ص 16- 21 .

[9] – م ن ، 13 .

[10] – م ن ، 14- 19- 21- 22- 24- 27- 29 .

[11] – م ن ، ص 16- 21 .

[12] – م ن، ص 21- 23 .

[13] – م ن ، ص 22- 25 .

[14] – م ن ، ص 27 .

[15] – م ن ، ص 16 .

وإذا مضينا إلى القول، فإن مصطلح الجملة قديماً قد عُنْوِنَتْ به بعض المؤلفات نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر،كتاب الجمل المنسوب[1] للخليل(ت175ﻫ)،وكتاب الجمل للزجاجي[2] (ت337ﻫ) ، وكتاب الجمل لابن خالويه[3](ت370ﻫ) ، وكتاب الجمل للجرجاني[4] (ت471ﻫ) ، وكتاب الجمل للمرادي(ت749ﻫ) .

وهاهنا ننبه إلى أن جلّ تلك المصنفات لم تقتصر في محتواها عن الجمل وإعرابها ، وإنما طرقت مواضيع النحو بصفة عامة ، على الرغم من تسميتها بالجمل ، لكن هذا لا يعني أن العلماء قديماً لم يهتموا بإعراب الجمل ؛ فقد طرق ذلك سيبويه(ت180ﻫ)-ودون ذكر مصطلح الجملة- في مواطن مختلفة من كتابه[5]، والمبرد[6](ت280ﻫ) في مقتضبه[7] ، ، والزمخشري[8](ت538ﻫ)في مفصله[1] مفصله[1] ، وابن الشجري(ت542ﻫ) في مختاراته[2] وابن هشام(ت761ﻫ) في مغنيه[3] ، والسيوطي(ت911ﻫ) في أشباهه[4] ، والغلاييني (ت1363ﻫ) في جامعه[5] ، والأمثلة؛ في ذلك

---

[1] – هذا الكتاب يُنسب كذلك لابن شقير بعنوان " وجوه النصب "وهو محقق من طرف سعد أحمد جحا ، بمكتبة جامعة الأزهر تحت رقم 4/450 ، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري ، سعود بن غازي ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2005ﻡ ، ص 100 .

[2] – هو أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق النهاوندي الزجاجي ، كان إماماً في علم النحو ، ولد في نهاوند ، ونشأ في بغداد ، أخذ عن أبي إسحاق الزجاج فنسب إليه ، ومن أهم مؤلفاته : الجمل الكبرى في النحو ، توفي سنة 337ﻫ ، يُنظر ، كتاب الوفيات ، ص 201- 202 ، وطبقات الزبيدي ، ص 119 .

[3] – هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله ، كان إماماً في اللغة والعربية ، قرأ القرآن على ابن مجاهد ، والنحو على ابن دريد ونفطويه ، ومن مصنفاته الجمل في النحو ، وإعراب ثلاثين سورة ، والحجة في القراءات السبع ، توفي بحلب سنة 370ﻫ ، ينظر نزهة الألباء ، ص 230 ، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 120 ،.

[4] – هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني ، نسبة إلى إقليم جرجان ، ولد في مطلع القرن الخامس الهجري ، وهو من أئمة اللغة والبلاغة ، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن حسن ، من مصنفاته : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، توفي سنة 471ﻫ . يُنظر، الأعلام ، ج4 ،ص 48- 49 ، و بغية الوعاة ،ج2 ،ص 106 .

[5] – ينظر، الكتاب ، ج1 ، ص 104- 362 ، ج2 ، ص 112- 436 ، ج3 ، ص 122- 180 .

[6] – هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري ،أبو العباس المبرد ، إمام بالعربية في زمانه ، ولد سنة 210ﻫ، وكان فصيحا بليغاً ، صاحب نوادر ، ومن تصانيفه : المقتضب ، والكامل ، والمزهر ، والرد على سيبويه ، وتوفي سنة 280ﻫ، ببغداد ، ودفن بمقابر الكوفة ، يُنظر، بغية الوعاة ، ج1 ، ص 269 وما بعدها ، ونزهة الألباء ، ص 164 ، و تهذيب سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تح : شعيب الأرنؤوط ،وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1991ﻡ ، ج1 ، 558 .

[7] – يُنظر، المقتضب ، ج2 ،ص 593 ، ج3 ، ص 62 ، ج4 ، ص562 .

[8] – هو أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري ، ولد بزمخشر الخوارزمية ، أحد أئمة العربية ،ومن مصنفاته : المفصل ، والكشاف ، توفي عام 538ﻫ ، يُنظر ، نزهة الألباء ، ص 290 ، وبغية الوعاة ، ج2 ، ص 279- 280 ، و كتاب الوفيات ، ص 278 ، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 123 .

كثيرة ، فهي أكثر من أن تُحصى .

وحريٌّ بنا بعد هذا التقديم أن نعود إلى ما نحن بصدد الحديث عنه ، وهو محتوى شرح لاّمية المجرادي للمزمِّري ، و الذي جاء فيه مايلي :

عرّف الجملة بأنها الكلام المفيد(المسند والمسند إليه)، المفهوم المعنى الذي يحسن السكوت عليه[6]، ثم بعد ذلك قسمها إلى أربعة أقسام هي :

01/ الجملة الفعلية : حيث عرفها بأنها : "منسوبة إلى الفعل ، ويكون الفعل صدرها أي الجزء المتقدم"[7]، مثل قام زيدٌ ، فقام هنا هو الفعل المتصدر الذي تُنسب إليه الجملة ، فتسمى جملة فعلية.

02/ الجملة الفعلية : قال عنها :" ... وإن لم يكن الفعل صدرها فهي اسمية ، أي منسوبة إلى الاسم"[8]، مثل قولنا : العلم ينفع صاحبه ، فيكون العلم هو الاسم المتصدر ، فتنسب إليه الجملة، فنقول عنها جملة اسمية .

03/ الجملة التي لا محل لها من الإعراب : وأشار إليها بقوله :" والمراد بكون الجملة لا محل لها من الإعراب أنها لم تحل محل مفرد ، ويُحكم لها بما لذلك المفرد من الإعراب"[9]، وعدّدها إلى سبعة جمل هي :

1- الجملة الابتدائية : وهي التي يفتتح بها الكلام والقول ، وقسمها بدورها إلى قسمين[10] :

أ / ابتداءً حقيقياً : مثل قوله تعالى :﴿ إِنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحَاً مُّبِينَاً﴾[1] [الفتح، الآية 01] .

---

[1] – يُنظر المفصل في صنعة الإعراب ، ص 151- 368- 483 .

[2] – يُنظر ، الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري ، مصطفى سعيد الصليبي ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 1996ْ ، ج1 ، ص 157 وما بعدها ، ص 171 وما بعدها ، ج2 ، ص 21 وما بعدها ، ص 53 وما بعدها ، ص 81 وما بعدها .

[3] – يُنظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تح : محمود البكار ، دار السلام ، القاهرة ، ط2 ، 2005ْ ، ج2، ص 814 وما بعدها ، ص 866 وما بعدها ، وص 911 وما بعدها .

[4] – يُنظر، الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، تح: فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1996ْ ، ج2 ، ص 144 – 234 .

[5] – يُنظر ، جامع الدروس العربية ، الغلاييني ، تح : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط1 ، 2007ْ ، ج 3 ، ص 579 وما بعدها .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، 05 .

[8] – م ن ، ص 05 .

[9] – م ن ، ص 08 .

[10] – م ن ، ص 08 .

ب / ابتداءً حكمياً مثل قولك رحمه الله بعد قولك مات فلان.

2- الجملة الواقعة صلة للموصول : وجاءت هي الأخرى على نوعين اثنين[2] :

أ / صلة للموصول الاسمي الذي يفتقر أبداً إلى صلة و عائد ، وهي بمنزلة الجزء من الاسم ، والجزء وحده لا محل له من الإعراب ، ومثّل لذلك بقوله : جاء الذي قد خاف[3] .

ب / صلة للموصول الحرفي : وهو الذي يُؤول مع صلته بمصدر ،ولم يحتج إلى عائد ، مثل (ما) من قولك (مما ضربته) ، فـ(ما) هي موصول حرفي ، وجملة (ضربته) صلته لا محل لها من الإعراب ، وتُسبك مع الحرف (ما) بمصدر مجرور (بمن) ، معناه من ضربني .

3- الجملة التفسيرية : وعرّفها بأنها[4] : هي التي تُفسّر وتُبين حقيقة ما دلّته ، وتأتي مُجرّدة من حرفي التفسير (أي) ،و(أنْ) ، وقد تأتي مقرونة بأي التفسيرية ، مثل قول الشاعر :

و تَرْمِينَنِي بِالطّرْفِ أي أنْتَ مُذْنِبُ و يَقْلِينَنِي لَكِنْ إيّاكَ فلاَ أقْلِي[5]

وتأتي مقرونة بأنْ التفسيرية مثل قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنَ أَرْضِعِيهِ﴾[6] [القصص، الآية 06] .

4- الجملة المعترضة : وهي الواقعة بين شيئين مُتلازمين ؛ كالمبتدأ والخبر ، والفعل والمفعول ، والشرط وجوابه ، والصفة والموصوف ، والفعل والفاعل ، ومثّل لهذا الأخير بقول الشاعر[7] :

وقَدْ أدْرَكَتْنِي والحَوَادِثُ جَمَّةٌ أسِنَّةُ قَوْمٍ لاَ ضِعَافٍ ولا عُزلُ[8]

5- الجملة الواقعة جواباً لشرط غير جازم مطلقاً أو جازم ولم تقترن بالفاء ولا إذا الفجائية : حيث مثّل للشرط الغير جازم بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنّا﴾ [آل عمران ، الآية 119] .

وقوله أيضاً: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[الشرح ، للآية 07] ، فجملة الجواب في الآيتين لا محل لها من الإعراب ، كما مثّل للشرط الجازم الغير مقترن بالفاء ولا إذا ، بقوله تعالى:﴿وَإِنْ عُدْتُمْ

---

[1] – جملة (إنا فتحنا) ، ابتدائية لامحل لها من الإعراب .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص 09 .

[3] – الذي : موصول اسمي فاعل للفعل (جاء) ، وجملة (قد خاف) ، صلته لا محل لها من الإعراب .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 09- 10 .

[5] – جملة (أنت مذنب) ، مقرونة بأي ، وهي تفسيرية لا محل لها من الإعراب .

[6] – جملة (أن أرضعيه) مقرونة بأنْ ، وهي تفسيرية لا محل لها من الإعراب .

[7] – – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

[8] – جملة (الحوادث جمة) ، واقعة بين الفعل (أدرك) ، والفاعل (أسنة) ، وعليه فهي اعتراضية لا محل لها من الإعراب .

عُدْنَا﴾[الإسراء ، الآية 08] ، وقال أنه لا محل لجملة الشرط هنا لأن المحكوم لموضعه بالجزم إنما هو الفعل الماضي وحده لا الجملة بأسرها[1].

6- الجملة المجاب بها القسم : ويرى[2] بأن جملة اليمين تتعلق بمحذوف حال من فاعل تقع ، وينتصب جوابه بأعني محذوف ، والتقدير في ذلك : وإن تقع ملابسة لليمين أعني جوابه ، وحكم الجملة لا محل لها من الإعراب ، سواء ذُكر فعل القسم وحرفه معاً كقوله : أقسم بالله أبو حفص عمر ،أو حرفا القسم فقط ،نحو:﴿يَسٓ وَالقُرآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾[يس ، الآية 01] ، أم لم يُذكر واحد منهما نحو قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مَيْثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونهُ﴾[آل عمران ، الآية 178].

7- الجملة التابعة لجملة لا محل لها من الإعراب : وأشار إليها بقوله : " وإن تبعت الجملة أي متبوعاً لا محل له من الإعراب ، فحكمها أي الجملة التابعة مثله ، أي مثل حكم متبوعها في عدم المحلية ، كالجملة الأخيرة من جملتي الله ربنا ومحمد نبينا"[3].

04/ الجملة التي لها محل من الإعراب : وعدّدها كذلك إلى سبع وهي :

1- الجملة الحالية : وقال عنها ، وإن وقعت الجملة في محل الحال فحكمها النصب[4] ، مثل قوله تعالى : ﴿وَجَآءُو أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[5] [يوسف ، الآية 16] .

2- الجملة الواقعة مفعولاً: وأشار إليها كذلك بأن حكمها النصب ، مثل قوله تعالى :﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ﴾[6] [مريم ، الآية 29] .

3- الجملة الواقعة خبراً : وقال في ذلك :" وإن وقعت الجملة في موضع الخبر لشيء من أربعة أشياء ، المبتدأ وإنّ وكان وكاد ، فاحكمن عليه أي على محلها برفع أو بنصب"[7]؛ بمعنى إن كانت الجملة خبراً للمبتدأ ، مثل قوله عز وجل :﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾[1] [الأحزاب ، الآية 04] ، أو خبراً

---

[1] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12- 13 .

[2] - م ن ، ص 13 .

[3] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، 13- 14 ، جملة (محمد نبينا) لا محل لها من الإعراب لأنها معطوفة على الجملة الابتدائية (الله ربنا).

[4] - م ن ، ص 14 .

[5] - جملة (يبكون) هنا في محل نصب حال .

[6] - جملة (إني عبد الله) في محل نصب مفعول به للفعل (قال) .

[7] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 14 .

للأحرف المشبهة بالفعل ، كقوله تعالى :﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَّقِينَ﴾[2] [التوبة ، الآيتان 04-07] ، فهي في محل رفع خبر ، وإن كانت خبراً لكان وأخواتها ،مثل قولك كانت السماء تمطر مطراً[3] ، أو خبراً لكاد أو إحدى أخواتها ،مثل قوله سبحانه:﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[4] [البقرة ، الآية 70] ، فهي في محل نصب .

4- جملة المضاف إليها: قال عن حكمها :" وقل أن يُضف شيء لها اسمية كانت أو فعلية الجر حكمها"[5]، كقوله تعالى: ﴿والسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾[6] [مريم ، الآية 32] .

5- الجملة الواقعة جواباً لشرط جازم مقترنة بالفاء أو إذا الفجائية : وهي في محل جزم[7] ، ومثال ذلك قوله جلّ شأنه : ﴿وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ أَيْدِيْهُمْ ~ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[8][الروم ، الآية 35] .

6- الجملة النعتية لمفرد : وأشار لذلك بقوله:" وإن اسم مفرد يُنعتُ بها ،أي الجملة فهي مثله لدى الرفع ثم النصب والجر"[9] ؛ أي أن محل الجملة بحسب المتبوع ، فإذا كان مرفوعاً فالجملة في محل رفع ، مثل: جاء رجلٌ يدعو[10] ، وإذا كان منصوباً فالجملة في محل نصب ، مثل قولك : إنّ الخطيب يُحَوشِرُ[11] ، أما إذا كان المتبوع مجروراً فالجملة في محل جر ، مثل قوله تعالى:﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ﴾[12] [النساء ، الآية 11].

---

[1] – جملة (يقول الحق) في محل رفع خبر للميتدأ (الله) .

[2] – جملة(يُحب المتقين) ، في محل رفع خبر إنّ .

[3] – جملة (تمطر مطراً) ،في محل نصب خبر كان .

[4] – جملة (يفعلون) في محل نصب خبر كاد .

[5] – نيل المراد عن لامية ابن المجراد ، ص 15 .

[6] – يوم : ظرف ، وهو مضاف ، وجملة (ولدت) مضاف إليه في محل جر .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 16 .

[8] – جملة (هم يقنطون) جملة جواب الشرط في محل جزم .

[9] – نيل المراد لامية ابن المجراد ، ص 16 .

[10] – جملة (يدعو) ، في محل رفع صفة للرجل .

[11] – جملة(يُحوشر) في محل نصب صفة للخطيب . و يحوشر هي بمعنى يسوق القوم .

[12] – جملة (يوصي بها) في محل جر صفة ، للمضاف إليه (وصية) .

7- الجملة المعطوفة على جملة لها محل من الإعراب : والجملة هنا تأخذ حكم الجملة الأولى[1] ، مثل مثل الجملة المعطوفة على الجملة الصغرى من قولك : زيد أخوه راحلٌ وغلامه مقيمٌ ؛ فإنها في محل رفع لعطفها على جملة (أخوه راحل) المرفوعة على أنها خبر عن زيد .

وبعد عرضه لأقسام الجمل وإعرابها،شرع في الكلام عن الجملة بعد النكرة والمعرفة ، مع بيان حروف الجر وما يتعلق منها وما لا يتعلق ، أضف ذلك تناوله للفاعل ورفعه بعد النفي والاستفهام.

وهكذا استطاع المزمّري أن يُؤلف للناشئة كتاباً مختصراً في إعراب الجمل، وتمّ ذلك بألفاظ وعبارات موّجهة إلى القارئ الغير مختص، والغير مُطّلع على الموضوع، بحيث أن عباراته هذه اتسمت بالوضوح والسهولة ،لا تحتاج منا إلى البحث عن معانيها في المعاجم اللغوية ، ويكون بعمله هذا قد خدم نحو الجمل ، وخدم المبتدئ في هذا العلم .

02/ **منثور الآجرومية** : حيث أقدم على تبسيط هذا المنثور في ثلاث منظومات شعرية هي :

أ- نظم مقدمة ابن آجروم : وهو نظم على بحر الرجز ، ألّفه سنة 1120ﻫ ، ويظهر ذلك من قوله في خاتمة النظم :

قَدْ تَمَّ مَا أُتِيحَ لِي أنْ أُنْشِئهْ في عَامَ عشْرِين وألْفٍ ومِائةْ

ولأهمية هذا النظم فقد أقدم على شرحه كل من الشيخين:الشيخ مولاي أحمد الطاهري(ت1399ﻫ) في كتاب نفيس سماه بـ : الدُّر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم[2]، والشيخ محمد محمد بن بادي (ت1388ﻫ) في كتابه الموسوم بـ : مقدّم العَيِّ المصروم شرح على نظم ابن أُبّ لآجروم[3].

ب- نزهة الحَلُوم في نظم منثور ابن آجروم : وهو كذلك نظم في قالب شعري على وزن الرجز، ألّفهُ سنة 1144ﻫ في 140 بيتاً ، ويتضحُ ذلك من قوله في الأبيات الأخيرة منه :

سَنة أرْبَعٍ وأرْبَعِينا للْخَمْسِ والسِّتِ من المِئينا

في مائةٍ وأرْبعِينَ بيتا فَنِعْمَ حُرّاً أنْتَ إنْ أغضيتا

أمّا إذا عُدْنا إلى عنوان هذ المصنّفِ ، نجده يصرّح بذلك في مقدمة منظومته بقوله :

فَذَا كتابُ نَزْهَةُ الحَلُومِ في نَظْمِ منْثُورِ ابنُ آجَرُّومِ

---

[1] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17 .

[2] - الكتاب مطبوع .

[3] - الكتاب مطبوع في طبعة حجرية .

وإذا مضينا إلى قراءة ذلك في المعاجم اللغوية فإننا نجد مايلي : النُّزهة هي التنزه ،وتستعمل في الخروج إلى البساتين ، ونقول أرض نزيهة أي بعيدة عن غمق المياه ،ورجل بعيد عن كل مكروه فهو نزيه[1].أما الحَلُومُ في اللغة هو تغليط اللبن حتى يصير شبيهاً بالجبن الرّطب الطّري[2].

وتأسيساً على هذه المعاني اللغوية فإن محمد بن أُبّ لم يضع عنوانه هذا اعتباطاً ،بعد أن أدركنا أنه أراد التّنزه والتجوال في مقدمة ابن آجروم ليجعلها سلسة سهلة للاستيعاب والحفظ.

لكن الجدير بالذكر هنا أن الزموري لم يكن مجدداً ولا مبتكراً ، بل سبقه إلى هذا العنوان غيره من العلماء ، ولم نعثر في ذلك إلاّ استخدام الاسم الأوّل من العنوان ، مثل : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،للأنباري (ت577ﻫ) ،ونزهة المريد في معاني كلمة التوحيد[3]،للبوني (ت940ﻫ) .

وحظيت هذه النزهة بشرح للشيخ محمد باي بلعالم ،سماه بـ : الرّحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم[4].

ج- كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم : وهو النظم الذي صنّفه على وزن بحر الطويل عام 1157ﻫ، ودليل ذلك قوله :

وذَا مُنْتَهى المرْمَى في عَامِ سَبْعَةٍ وخمسِينَ بَعدَ الألفِ والمائة انْجَلا

كما يحتوي هذا النظم على 115 بيتاً ، أوجز فيها منثور الآجرومية ،وسماه بقوله :

وسَميتُهُ كَشْفَ الغُمومِ لِكَشْفِهِ عَنِ المرءِ غَمَّ اللّحْنِ سَاعةَ يُبْتَلا

وإذا بادرنا لفتح المعاجم اللغوية للبحث عن مفردات العنوان فإننا نحظى بما يلي :

الكشفُ من كشف الشيء فانكشف وتكشّفَ[5] ، وكَشَفَ الثوب عنه أي نزعه ، وكَشَفَ الله غمّه ، وهو كشّاف الغَمِّ ، والكشف هو الإظهار ورفع الشيء عمّا يُواريه ويغطيه[6]. أمّا الغمُّ فهو التغطية ، وغمّ البيت أي غطّاهُ بالطين والخشب ، ونقول ليلة غمّاء ، أي مُظلمةٌ ، وجاء في الغمة الإبهام

---

[1] – يُنظر ، مادة(نزه) في :المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج4 ، ص 169 ، وأساس البلاغة ، ص 628-629، والقاموس المحيط ، ص 1262، و مختار الصحاح ، ص 441 .

[2] – يُنظر ،مادة(حلم) في: معجم المقاييس في اللغة ، ص 278، والقاموس المحيط ، ص 1108 ، ومختار الصحاح ، ص 113 .

[3] – يُنظر ، المؤلفات الصوفية في الجزائر ، ص 16 ، و المصنفات اللغوية في الجزائر عبر القرون، ص 128 .

[4] – الكتاب مطبوع .

[5] – يُنظر ، مادة(كشف) في : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج6 ، ص 429 ، ومختار الصحاح ، ص 385 .

[6] – يُنظر ، مادة(كشف) في : المحكم والمحيط الأعظم ، ج6 ، ص 429 ، وأساس البلاغة ،ص 545 ،والقاموس المحيط ، ص 864 .

والكُربة[1] ، وفي الحديث قوله ﷺ :" إذا رأيتمُوهُ فَصُومُوا وإذا رأيتُمُوهُ فأفْطِرُوا ، فإن **غَمّ** عليكم فاقدروا له"[2].

وفي ضوء هذا المنظور ، فليس من شكٍ في أن محمد المزمّري قد وُفِقَ في اختيار عنوانه الذي يعني به إزالة الغطاء ، ورفع الإبهام على الآجرومية ليسهل استيعابها وحفظها .

وللإشارة ، فكثيرة هي المصنفات التي تحمل في طياتها مصطلحات هذا العنوان ، نذكر منها : كشف الغُمّة في الصلاة على خير الأمة ﷺ[3]، لمحمد الموسوم(ت1313هـ)، وكشف النِّقاب عن مخدرات الإعراب[4] ، للفاكهي(ت972هـ) ،و كشف المُغَطَى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ[5] ، الموطأ[5] ، لمحمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ) .

الطريقة المتبعة في هذه الرسائل :

لقد سار الشيخ ابن أُبَ في رسائله هذه على منهج الآجرومية من حيث ترتيب الأبواب ، بدْءاً بالتناول للكلام ، ثم الإعراب وعلاماته ، ثم تحدث عن الأفعال بأقسامها الثلاث الماضي والمضارع ثم الأمر ، وكذا الأسماء بأنواعها من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات . إلاّ أن ذلك لم يكُن على درجة عالية من التأليف تُضاهي الدّرس النّحوي القديم في تطوره ودقة علمائه ، فالقارئ لها يُدرك أنها موّجهة إلى المبتدئين الناشئة ، وهو ما يشير إلى التزامها بالطابع التيسيري ؛ الذي يقتضي وضع قواعد يسيرة ومبسطة ، خالية من التعقيد والجدل والعلل، بالإضافة إلى وضوح العبارة وسلاسة الألفاظ مع الالتزام بالإيجاز ، وذلك كله قصد التسهيل والتعليم ، لأن " المتعلمين لا يُمثِلون مستوى واحد ،و أن منهم مبتدئين لم يتصلوا بالنحو ولم يعرِفوا موضوعاته وقضاياه ومسائله ، ومتقدمين

---

[1] – ينظر ،مادة (غم) في : المحكم والمحيط الأعظم ، ج5 ، ص 226، و أساس البلاغة ،ص 457، و معجم المقاييس في اللغة، ص 798 ، و القاموس المحيط ، ص 1325 ،و مختار الصحاح ، ص 328.

[2] – صحيح البخاري ، شركة الشهاب ، الجزائر ، دط ، 1990 ، ج2 ،كتاب الصوم ، ص 227 .

[3] – المؤلفات الصوفية في الجزئر ، ص 136

[4] – دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي ، أحمد محمد عبد الرضى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1، 2006 م، ص 16 .

[5] – أليس الصبح بقريب (لتعليم العربي الإسلامي) ،محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، ط2 ، 2007م، ص11 .

أحاطُوا بموضوعاته وألّمُوا بقضاياه وعرفوا مسائله ، ومتوسطين عَلِمُوا منه طرفاً أو طرفاً ، أو علِمُوا ظواهره ولم يقِفُوا على خفاياه ،أو عَلِمُوا ضوابطه ولم يتصِلُوا بعد بِما وراءها من أُصُول"[1].

الظاهر من خلال هذا الكلام أن للمتعلمين قُدُرات علمية ومكتسبات قبلية ،كلٌّ حسب مستواه وعُمره، وهذا ما يتطلب المراعاة لهذه القُدرات والاستعدادات ، وذلك بانتقاء الأيسر والأسهل لِقبول المتعلم هذه المادة العلمية دون أن يجد أدنى شيء يُنفره من ذلك .

وخلاصة القول ، إن هذا التعدد في مستوى المتعلمين يقتضي وجوب التفاوت في محتوى المصنفات النحوية ، لتحظى كل فئة من هذه المستويات بقسطها من هذه التآليف لنيل الهدف المقصود .

مصادره في انتقاء المادة :

لقد كان جُلّ اعتماده كما ذكر بأمانة تامة على مقدمة ابن آجروم الصنهاجي(ت623ﻫ) ، إذ دأبَ إلى تلخيص كل ما يتعلق بالقواعد النحوية ، ووضعه في حُلّة شعريّة .

ولم يقتصر دوره على تلخيص ما جاء في منثور الآجرومية فقط ، بل ضَمَّ إلى ذلك نفائس أُخَر ظَفِرَ بها في متفرقات كتب العربية ، بحيث نسب كل ذلك إلى أصحابه دون أن يُدلي بذكر الأسماء ،وغالباً ما يُومئ لذلك بضمير الجمع "هم" أي النحاة ، ومن ذلك قوله في كشف الغموم:

ونَصْبُهُمْ لِلْمُبتدا وَالذِي يَلِي بِظَنّ وما مَعْهَا منَ الكَلِمِ انْجَلا

أي أن النحاة ينصبُون المبتدأ والذي يليه – أي الخبر– بالفعل ظَنّ [2].

وقوله أيضاً في نفس المنظومة:

وتوكِيدُهُمْ يَتْلُو المؤَكَد دائماً في الإعْرَابِ والتّعريف لاَ غَيرُ فاسْئَلاَ

بمعنى أن أهل النحو يشترِطون في التوكيد أن يأتي بعد المؤكد ، مع الاتحاد معه في الإعراب والتعريف دون التنكير[3].

ونلمس ذلك أيضاً في قوله :

وجَرّ بالجِوارِ بَعْضُ العَرَبِ كقَولِهِمْ ذَا جُحْرُ ضَبٍ خَرِبِ

---

[1] – دور نحاة ق 10ﻫ في حفظ التراث النحوي ، ص 156 .

[2] – وهي مسألة خلافية أنحاز فيها المزمري إلى البصريين ، وسيأتي التفصيل فيها في الفصل المخصص لذلك .

[3] – وهي كذلك فيها خلاف تشيّع فيها المزمّري إلى المذهب البصري ، وسنعلق على ذلك في ثنايا هذا البحث .

فقد يغمر بالقارئ لهذا البيت بعض الشكِ في أنه يُحاكي كلام سيبويه(ت180ﻫ) الذي يقول:" وقد حملهُم قُربُ الجوارِ على أن جرُّوا : هذا جُحْرُ ضَبٍ خَربٍ"[1]، بمعنى أن العرب قد جرّوا خرباً لمجاورتها ضبٍ، رغم أنها نعت للمرفوع جُحْرٍ ، وهو نفس المعنى الذي نستنبطه من كلام المزمري .

وإذا سلّمنا بهذا الشّكِ ، فقد يكون جائزاً أن نقول إن كتاب سيبويه أخذ نصيبه داخل أشعار الشيخ المزمِّري على مقدمة الآجرومية .

المحتوى:

لقد حملت هذه الرسائل الشعرية في طياتها كل ما جاء في منثور ابن آجروم النحوي ،مقتدية بنفس المنهج من حيث الترتيب والتسلسل في الأبواب .

وحريٌّ بنا أن نخُوض في نماذج من هذا المنهج لتوضيح الطرق التي استطاع من خلالها المزمِّري أن يُعالج ما ورد في مقدمة الآجرومية بشيء من التفصيل والتوضيح .

فليس غريباً أن يفتتح رسائله الثلاث بعد الحمدلة ، والصلاة على رسولهﷺ ، بالحديث عن الكلام وأقسامه ، وذلك على غرار معظم التآليف النحوية التي تستخدم المصطلح الدقيق " أنواع الكَلِمْ " ، وهو تقليد تعود بذرته الأولى إلى إمام النحاة سيبويه، الذي افتتح كتابه بقوله :" هذا باب علم ما الكَلِم من العربية ، فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، فالاسم رجل وفرس ..."[2]، ليستمرّ هذا المنهج من التقديم في سائر المؤلفات النحوية اللاّحقة لسيبويه، وذلك بشيء من البونِ والاختلافِ من عصرٍ لآخر ، ومن مؤلَّف إلى مؤلَّف ، لِتحظى المختصرات التعليمية هي الأخرى بذلك ، لمساعدة المبتدئين على وضع أي كلمة في نوعها الصحيح من أنواع الكلام .

ونلمس ذلك في قول ابن آجروم :" الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ، وأقسامه ثلاثة ، اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"[3].

و هو التقديم نفسه الذي عرضه لنا محمد بن أُبّ في قوله[4] :

كَلامُ رِجَالُ النّحوِ لَفظٌ مُرَكّبٌ مفِيدٌ بِوضْعٍ نحو أحْمَدُ ذُو عَلا

وأقْسَامُهُ اسْمٌ ثُمّ فِعْلٌ وحَرْفٌ إنْ لِمَعْنى أتَى كَالمصطفى وكَفَى وَلاَ

---

[1] – الكتاب ، ج1 ، ص 113 .

[2] – الكتاب ، ج1 ،ص 40 .

[3] – متن الآجرومية ، ابي عبد الله ابن آجروم الصنهاجي ، دار عمر بن الخطاب ، القاهرة ، ط1 ، 2007 ،ص08 .

[4] – كشف الغموم ، باب الكلام .

فإذا تأملنا هذه المقدمات السابقة، فإنّ للمقارنة جدواها جلية بين بيتي الشيخ المزمري من جهة ، وسيبوية وابن آجروم من جهة أخرى ، حيث أن النظم قد ساوى سابقيه في طريقة الأسلوب،إذ تناول في البيت الأول مفهوم الكلام ، وفي الثاني أقسامه الثلاث(الاسم،والفعل،والحرف) ، أما ابن آجرّوم ،وسيبويه فقد صاغا ذلك في سطورٍ نثرية ، كما أن المزمّري في معالجته لكلام ابن آجروم ،لم يكتفِ بإيراد ما جاء في الآجرومية ، بل تعداهُ إلى إعطاء مثال لكلّ نوع من أقسام الكلام ، وهو ما نلحظه أثناء العودة إلى كلام سيبويه ، لأن استحضار الأمثلة يؤدي إلى رسوخ المادة النظرية في أذهان المتعلمين ، وأقرب الطرق لبيان القاعدة هي طريق الأمثلة ، ومن الواجب "أن يكون التعليم نظرياً وأن يُمزج بالاستحضار"[1].

وعَقب الباب المخصص للكلام وأجزاءه مباشرة – وفي جل التصانيف النحوية – يأتي باب يتعلق بالإعراب ، يُعرِّف الإعراب في الغالب بأنه التغيير الذي يطرأ على الحرف الأخير من الكلمة عند إيلاجها في الكلام لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً ، وعلى غرار ذلك نجد محمد بن أُبَّ يطرق هذا الباب بعبارات واضحة وموجزة قدّمها لطلابه الدارسين ، إذ يقول في تعريفه لمصطلح الإعراب في أول تصانيفه على الآجرومية :

الإعْرَابُ تَغْيِيرُ أَوَاخِرُ الكَلِمْ تَقْدِيراً أَوْ لَفْظاً فَذَا الحَدُّ اغْتَنِمْ

أما في نزهة الحلوم فيُعرّفه بما يلي :

إنّ الدُّخُولَ عَامِلٌ تَغَيَّرَا آخِرُ كِلمَةٍ فَإعْرابٌ طَرَا

لَكِنَّهُ قَدْ يَظْهَرُ التّغيُّرَا طَوارِيهْ وتَارَةً يُقَدّرا

والأمر نفسه يتضح في كشف الغموم بقوله :

والإعْرابُ تَغْيِيرٌ لآخِرِ كِلْمَةٍ بِتَقْدِيرٍ أوْ لَفْظٍ لِعَامِلٍ أُوّلاَ

فالقارئ لهذه الأبيات يتضح له أن صاحبها لم يأت بتعريف جديد لمصطلح الإعراب ، بل كان امتداداً للتعريف المتعارف عليه عند أهل الاختصاص . ولكون عمله هذا تعليمياً محضاً فإنه لم يبخل من إعطاء المفيد في باقي أبيات هذا الباب، حيث بيّن أن لهذا التغيير أربع علامات، جاءت في قوله[2]:

وأقْسَامُهُ رَفْعٌ ونَصْبٌ فَصُنْهُمَا وخَفْضٌ وجزمٌ قالَهُ كُلُّ منْ بَلاَ

---

[1] – أليس الصبح بقريب ، ص 116 .

[2] – كشف الغموم ،باب الأعراب .

وبعد ذلك أقدمَ على سرد هذه العلامات وتقسيمها ، وكيف تحظى بها الكلمة لفظاً وتقديراً ، وتم كل ذلك باقتدارٍ فائق ،وعقلية ذات قدرة على التقسيم والتصنيف .

ونمضي في طريقنا لهذا التوضيح ، لِنطأ عتبة الباب الذي خصصه للحديث عن أقسام الكلام ، حيث اسْتهلّ ذلك بقسم الأفعال وأنواعها مع إدراج خصائص كل نوع منها ، و نجد فحوى ذلك في قوله[1] :

ثَلاَثَةٌ الأَفْعَالُ مَاضٍ مُضارِعُ وأَمْرٌ فَمَاضٍ بِانْفِتَاحٍ تَكَمّلاَ

والأَمْرُ يُجْزَمُ والمضَارِعُ صَدْرُهُ بِهِ بَعْضُ نَأْتِي زَائِداً قَدْ يُنَزّلاَ

فإنْ فَازَ بِالإعْرَابِ فَالرَّفْعُ حُكْمُهُ ومِنْ نَاصِبٍ أوْ جَازِمٍ قَدْ تَعَطَّلاَ

وباقي أبيات هذا الباب في رسائله الثلاث خصصها للكلام على النواصب والجوازم التي تقترن بالفعل المضارع .

وإنّه ليكفي أن نذكُر هنا أن محمد المزمّري كان هدفه النيل من أنواع الأفعال التي قسمها النحاة إلى ثلاثة لا رابع لها ؛ ماضٍ مبني على الفتح ، ومضارع مرفوع تتصدره إحدى الزوائد المجموعة في "نأتي" ، وقد يتعطل هذا الرفع إذا اقترن بناصب أو جازم .

وبعد الخوض في غِمار الأفعال وأقسامها ، مضى المؤلّف لتبسيط ما يتعلق بالقسم الثاني من أقسام الكلام ، والمتمثل في الأسماء ، حيث بدأ حديثه الشعري هذا بمرفوعات الأسماء فخصص لكلّ مرفوع منها باباً، أجمل فيه كل ما يتعلق به ، بدْءاً بتعريفه ،ومروراً بأنواعه ، دون أن ينسى التمثيل الذي به تُرسّخ القاعدة في ذهن المتعلم .

ولا تتكَشّفُ آثار هذا الأمر إلاّ حين أن نضع بين يدي القارئ شذرات مما جاء في هذه الرسائل الثلاث عن مرفوعات الأسماء :

*جاء في حديثه عن الفاعل[2]:

هَذَا وَإنّ الفَاعِلَ اسْمٌ وَقَعَا مِنْ قَبْلِهِ فِعْلٌ لَهُ قَدْ رَفَعَا

وظَاهِراً يَأتِي وَيأتِي مُضْمَرَا كَطَرَقَ الطّيفُ فَجُدْتُ بِالقِرَى

ومضمون ذلك أن الفاعل اسم مرفوع بالفعل الذي قبله ، ويكون إمّا ظاهراً كطرق **الطّيفُ** ، أو ضميراً كالتاء من **جُدتُ** .

---

[1] – كشف الغموم، باب الأفعال .

[2] – نزهة الحلوم ،فصل في الفاعل .

*وقال عن المفعول الذي لَمَ يُسم فاعله[1] :

إذَا مَا اسْتَفَادَ الرَّفْعُ مَفْعُولُ فاعِلُ ولَكِنَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ مَعْهُ خَلاَ

فَلاَ بُدّ مِنْ تَغْيِيرِ صِيغَةِ فِعْلِهِ فَأَوَّله أوْجِبْ لَهُ الضّمُ مُسْجَلاَ

ومَا قَبْلَ خَتْمٍ فاكْسِر إنْ كَانَ ذَاكَ مِنْ مُضيٍّ وَمِنْ غَيرِه بِفَتْحَةٍ أشْكُلاَ

وجَا مُضْمَراً أيضاً كَمَا جَاء ظَاهِراً كَأُمِّرَ زَيدٌ ثُمَّ هِيبَ وبُجِّلاَ

بمعنى أنه إذا غاب الفاعل في الكلام حلّ محلّه المفعول ، فيصير مرفوعاً ويُعطى أحكام الفاعل ، ويُسمى بنائب الفاعل ، أو المفعول الذي لم يُسمّ فاعله ، مع تغيير صيغة الفعل إلى صيغة المجهول وذلك بضم الأول وكسر ما قبل الأخير في الفعل الماضي ؛ مثل (أمَرَ) تصير (أُمِّرَ) ، وضمّ الأول مع فتح ما قبل الحرف الأخير في المضارع ؛ مثل (يَقطِفُ) تصير (يُقْطَفُ) ، أما في البيت الأخير فقد بيّن أن نائب الفاعل هو كذلك على قسمين مثل الفاعل ، فيأتي ظاهراً ، وقد يأتي ضميراً .

*أما عن المبتدأ والخبر فقد قال في نظمه الأوّل مايلي :

المبْتَدأ اسْمٌ عنْ عَوامِلَ سَلِمْ لَفْظِيّةٍ وهْو بِرَفْعٍ قد وُسِمْ

وظاهِراً يأتي ويَأتي مُضْمَرا كالقولِ يُسْتَقْبِحُ وهْوَ مُفْتَرى

والخَبَرُ الاسْمُ الذِي قَدْ أُسْنِدا إليهِ وارْتِفَاعُهُ الْزَمْ أبَدا

ومُفرَداً يَأتي وغيرَ مفْردا فَأوَّلٌ نَحْوَ سَعِيدٌ مُهْتدُ

والثَانِي أرْبَعةٌ المِجْرُورُ نحْوَ العُقُوبَةُ لِمَنْ يَجُورُ

والظّرفُ نحْو الخَيْرُ عِندَ أهْلِنَا والفِعْلُ مَعْ فَاعِلِهِ كَقولِنَا

زَيدٌ أتَى والمبْتدا معَ الخَبَرْ كَقولِهِ زَيدٌ أبُوهُ ذُو نَظَرْ

إن المتعلّم المتتبع لهذه الأبيات يكاد ينتهي إلى قاعدة نحوية بسيطة مؤداها: إن المبتدأ هو الاسم المرفوع المتجرد عن العوامل اللفظية ، ويأتي ظاهراً ؛ مثل **القولُ** قبيحٌ ، أو ضميراً كقولنا : **هو** مفتري ، أما الخبرُ فهو الاسم المسند إلى المبتدأ مرفُوعاً مثله ، ويأتي مُفرداً نحو سعيدٌ **ناجحٌ** ، وغير مفرد ؛ وهوعلى أربعة أنواع : أولها المجرور مثل (لمن) في قوله : العقوبة **لمن** يجور ، وثانيها الظرف كالخيرُ **عند** أهلنا ، وثالثها أن يأتي جملة فعلية مثل جملة (أتى) من قولك : زيدٌ **أتى** ، ورابعها جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر للمبتدأ ، كزيد **أبوه ذو نظر**.

[1] – كشف الغموم ، باب المفعول الذي لم يُسم فاعله .

*ومن الأسماء المرفوعة التي تحدث عنها أيضاً اسم كان وأخواتها ، وذلك في قوله[1] :

المُبْتَدَأ ارْفَعْ وَانْصُبِ الأخْبَارا بِكانَ أضحى ظَلَّ بَاتَ صَارَا

أصْبَحَ أمْسَى لَيْسَ مَا زَالَ وَمَا فَتِئ مَا بَرِحَ مَا انْفَكّ اعْلَمَا

مَا دَامَ أوْ مُصَرّفٌ مِنْهَا كَكُنْ يَكُونُ مِنْ كَانَ وكَائِنٍ فَصُنْ

* وتكلّم عن خبر إنّ وأخواتها المرفوع في عدّة أبيات منها قوله[2] :

وَأَوْلِ عَكْسَ حُكْمِ كَانَ إنّ أنْ لَعَلّ ليتَ ثُمّ لكِنّ كأَنْ

فالظاهر من هذا البيت أن عمل إن وأخواتها المذكورة أعلاه ، تعمل في المبتدأ والخبر عكس عمل كان وأخواتها ، التي ترفع المبتدأ ويُسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويُسمى خبرها.

* ومن الأسماء المرفوعة كذلك التي أدرجها داخل رسائله ، التابع للمرفوع ؛ والتوابع كما هو معلوم عند النحويين أربعة هي :النعت والنوكيد والعطف والبدل .

وفي ذلك خصّصَ الكلام عن كل تابع في بابٍ على حِدة ؛ فبدأ بباب النعت الذي يقول عنه[3] :

وذُو النَعْتِ يَأتِي نَعْتُهُ تَابِعاً لَهُ فِي الإعْرابِ والتّعْرِيفِ والنُّكْرِ أوّلاَ

وقال في باب العطف[4] :

هَذَا وَإنّ العَطْفَ أيضاً تَابِعُ أحْرُفُهُ عشَرَةٌ يا سَامِعُ

وجاء في باب التوكيد قوله[5] :

وَيَتْبَعُ المؤَكَدُ التّوكِيدَ فِي رَفْعٍ ونصْبٍ ثُمّ خَفْضٍ فاعْرِفِ

وفي باب البدل قال[6] :

والاسْمُ يُعْرَبُ إذا مَا أُبْدِلاَ إعْرَابَ ماأُبْدِلَ منْهُ أوّلا

كان هذا حديثه عن مرفوعات الأسماء ، ليُولي اهتمامه بعد ذلك بالمنصوبات التي خصّص لها هي الأخرى أبواباً طرق فيها كل منصوب وحده ،بنفس الشاكلة التي سار عليها ابن آجرّوم ، وهذه الأبواب هي:

---

[1] – نزهة الحلوم ، فصل في عمل كان وإن وطن وأخوات كُلٌّ في المبتدأ والخبر .

[2] – م ن .

[3] – كشف الغموم ، باب النعت .

[4] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب العطف.

[5] – م ن، باب التوكيد .

[6] – نزهة الحلوم ، فصل في البدل .

* باب المفعول به : يرى المزمري أن المفعول به هو الاسم المنصوب الذي يقع عليه الفعل ، ونلمس ذلك في قوله[1] :

النّصْبُ لِلْمَفْعُولِ وَهْوَ اسْمٌ وَقَعْ فِعْلٌ بِهِ حَتْمٌ كزُرْتُ ذا الوَرَعْ [2].

* باب المصدر : وتحدّث عن هذا المنصوب بقوله[3]:

المصْدَرُ اسْمٌ جَاءَ ثَالِثاً لَدَى تَصْرِيفِ فِعْلٍ وانْتِصَابُهُ بَدَا

ويقصد بذلك أن المصدر هو المنصوب الثالث الذي يظهر لنا عند تصريف الفعل ، مثل الفعل الماضي ضرب ، فإن المضارع منه يضربُ ، ومصدره ضرباً ، فنقول ضرب ، يضربُ ، ضرباً ؛وهو ما يطلق عليه بالمفعول المطلق .

* باب ظرفي الزمان والمكان : عرّفهما في البيت الأول بقوله[4] :

الظّرْفُ بِالمفْعُولِ فِيهِ لُقِبَا وهْوَ اسْمُ وَقْتٍ أوْ مَكَانٍ نُصِبَا

حيث أشار في ذلك إلى أن من النحاة من يُسميهما بالمفعول فيه ، ومرادهما واحد ، مثل قولك : سافرتُ يومَ الست ، فيومُ هنا مفعول فيه منصوب ؛ أي أن السفر كان في زمنٍ معين وهو يوم السبت ، وكذلك هو الشأن مع ظرف المكان ؛الذي يدلُّ على المكان الواقع فيه الحدث .

* باب الحال : وأشار إلى ذلك بقوله[5] :

الحَالُ للهَيئاتِ أي لِما انْبَهَمْ مِنْهَا مُفَسِّرٌ ونَصْبُهُ انْحَتَمْ

كَجَاءَ زَيْدٌ ضَاحِكاً مُبْتَهِجاً وبَاعَ بِكْرٌ الحِصانَ مُسْرَجاً

فمن خلال هذين البيتين ، نستطيع أن نضع فكرة أساسيه ، تتمثل في أن الحال هو المنصوب المفسر لما أنبهم من الهيئات ، مثل جاء زيدٌ **ضاحكاً مُبتهجاً** ،و باع بكرٌ الحِصانَ **مُسْرِجاً** .

لكن المتأمل في المثالين السابقين يكاد ينتهي إلى مايلي :

أ- إن الحال فُضلة في الكلام :فالجملتان السابقتان تامتان ؛ فقولنا (جاء زيد) أدت المعنى في أن

---

[1] - نزهة الحلوم ، فصل في المفعول به .

[2] - زرتُ : فعل ماض مبني على الفتح ، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل .
ذا : مفعول به منصوب بالألف ،لأنه اسم من الأسماء الخمسة ، وهو مضاف .
الورع : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره .

[3] - نظم مقدمة لبن آجروم ، باب المصدر .

[4] - نزهة الحلوم ، فصل في ظرف الزمان وظرف المكان .

[5] - نظم مقدمة ابن آجروم ، باب الحال .

زيداً حضر ،وأما (باع بكرٌ الحصانَ) فهي كذلك جملة تامة و أدت معناها .وعليه يكون ما بعدهما- أي الجملتين – فضلة في الكلام ؛ أي ليس بمسند ولا مُسند إليه.

ب- جواز تعدد الحال : ويظر ذلك في قوله **ضاحكاً مبتهجاً** ، فيمكن أن يأتي زيد ضاحكاً وهي الحال الأولى ، ويمكن أن يأتي مبتهجاً وهي الحال الثانية.

ج- مجيء الحال من الفاعل: أي أن (ضاحكاً ومبتهجاً) هما بيان لصفة الفاعل زيد .

د- مجيء الحال من المفعول به: ويظهر ذلك في قوله (مسرجاً) التي هي بيان لصفة المفعول به الحصان.

* باب التمييز : وعن هذا الاسم يقول[1] :

إذَا اسْمٌ لِذاتِ الشَيء جَاءَ مُفَسِّرا وَلِلنّصْبِ والتَّنكِيرِ حَتْماً تَحَمّلاَ

فَذَلِكَ بِالتّمْييزِ يُدْعَى لَديهِمُ كَطَابَ الفَتَى نَفْسَاً ورُفِّعَ مَنْزِلاَ

وزَيْدٌ لَهُ تسْعٌ وتسْعِينَ نَعْجَةً وأحْمَدُ أنْهَى مِنْكَ وجْهَاً وأجْمَلاَ

فالمزمِّري بهذه الأبيات لم يخرج عن التعريف الذي وضعه النحويون ،والذي يكمن في أن التمييز هو الاسم النكرة المنصوب المفسِّر لما أنبهم من الذوات .

* باب الاستثناء : حيث اقتصر في هذا الباب على الحديث عن حروف الاستثناء وعمل كل حرفٍ منها ، ومن ذلك قوله[2] :

إلاّ وغيرٌ وسِوى سَواءُ سُوّى للاسْتِثْناء بِهَا يُحَاءُ

كَذَا خَلاَ عَدَا حَاشَا فَإلاَّ تَنْصِبُ مَا اسْتَثْنَى بِهَا إنْ خَلاّ

بَعْدَ كَلاَمٍ مَوْجِبٍ قَدْ تَمَّا كَجَاءَنِي النّسْوَةُ إلاَّ سَلْمَى

فمن خلال هذه الأبيات نستنتج أن الاستثناء يتم بإخراج الشيء من غيره ، وبعد إتمام الكلام ، بإلاّ أو إحدى أخواتها المذكورة أعلاه ، كقولك حضر التلاميذ إلاّ أحمدَ ؛ فقد أخرجنا هنا أحمد من التلاميذ بأداة الاستثناء (إلاّ) .

* باب لا : وهو يقصد بذلك اسم لا النافية للجنس المنصوب ، حيث عالج كلام ابن آجروم في الأبيات التالية[3] :

بِلاَ تَنْصِبُ المَنْكُورَ غَيرَ مُنوّنٍ بِلاَ فَاصِلٍ إنْ لَمْ تَجِئْ ثانِياً بِلاَ

---

[1] – كشف الغموم ، باب التمييز .

[2] – نزهة الحلوم ، فصل في المستثنى .

[3] – كشف الغموم ، باب لا .

كَلاَ رَيْبَ فِيهِ وأرْفَعْ أنْ يَكُ فَاصِلٍ وكَرِّرْ كَلاَ في الأرْضِ ظَبْيٌ ولاَ طَلاَ

وإنْ تَتَكَرّرْ نَحْوَ لاَ أمْرأةٌ هُنَا ولاَ رَجُلٌ برٌّ فَألْغِ أوِ أعْمَلاَ

ومعنى ذلك أن لا النافية للجنس تعمل النصب في الاسم بالشروط التالية :

- أن يكون اسمها نكرة لا معرفة .
- أن يكون اسمها متصلاً بها دون فاصل ،مثل : لاريْبَ فيه ، وإذا جاء الفاصل وجب الرفع، وتكرار (لا) ، مثل : لا في الأرضِ ظَبيٌ وَلا طَلاَ .
- ألاّ تتكرر (لا) ،وإن تكررت جاز الإعمال والإلغاء ، كقولنا: لا رجُلَ في الدار ولا أمرأةً ، ويجوز أن نقول : لا رَجُلٌ في الدارِ ولا أمرأةٌ .

* باب المنادى : لقد ساوى المزمّري كلامه عن المنادى بكلام الآجرومية ، في الأبيات التالية[1] :

وذُو النّدا أقْسَامُهُ مُنْحَصِرَة في المُفْرَدِ العلَمِ ثُمَّ النَّكِرَة

بِالقَصْدِ والتِي بِلاَ قَصْدٍ وَمَا جَاءَ مُضَافاً أوْ شَبِيهاً فاعْلَمَا

فَالأوّلينِ ابْنِ عَلى ما ارْتَفَعَا بِهِ وَلِلْبَاقِي بِنَصْبٍ اقْطَعَا

كَقَوْلِنَا يَا زَيْدُ أوْ يَا مُعْتَدِي[2] وَقَوْلُ أعْمَى يَا فَتَى[3]خُذْ بِيدِي

وَقُلْ أغِثْنِي يَا رَسُولَ ربِّ[4] وَيَا شَفِيعاً في عَظِيمِ الذّنْبِ[5]

وحَريٌّ بالمتعلم أن يُدْرِك من خلال هذه الأبيات إن للمنادى أقساماً هي :

- المنادى المفرد العلم : ويكون مبنياً على الضم ، مثل : يا زَيدُ ، يا مُعتدي.
- النكرة المقصودة : وهي التي يُقصد بها أحد معين مما يصح إطلاق لفظه عليه ، وتبنى كذلك في النداء على الضم ، مثل : يا فتى .
- النكرة غير المقصودة : وهي التي لا يُقصد بها شخص معين ، وتنادى بالنصب ، مثل :يا شفيعاً
- المنادى المضاف : ويأتي منصوباً ، مثل :أغِثني يا رسُولَ ربِّ .

---

[1] – نزهة الحلوم ، فصل في المنادى .

[2] – معتدي : منادى مبني على الضم المقدر منع من ظهوره الثقل

[3] – فتى : منادى مبني على الضم المقدر منع من ظهوره التعذر .

[4] رسول : منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره ،وهو مضاف . وربِّ: مضاف إليه .

[5] – يا : حرف نداء . شفيعاً : منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره ، في : حرف جر ، عظيم : اسم مجرور بفي وعلامة جرة الكسرة الظاهرة على آخره ، وهو مضاف ، الذنب : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره .

- الشبيه بالمضاف : وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه ، ويأتي منصوباً ، مثل :يا شفيعاً في عظيم الذنبِ.

* باب المفعول من أجله : وهو أحد الأسماء المنصوبة،و الذي لخصّ الحديث عنه فيما يلي[1]:

وهْوَ الذِي يَأْتِي بَيَاناً لِسَبَبْ كَيْنُونَةَ الفِعْلِ ونَصْبُهُ وَجَبْ

كَقُمْتُ إجْلالاً لِهَذا الحِبْرِ وزُرْتُ أحْمَدَ ابْتِغاءَ البِّرِ

ومعنى ذلك أن المفعول لأجله هو الاسم المنصوب الذي يأتي بياناً لِسبب وقوع الفعل ، مثل : قُمتُ إجلالاً لهذا العالِم ، فالإجلالُ هنا هو المفعول الذي كان سبباً في القيام .

* باب المفعول معه : وعن هذا الاسم يقول[2] :

ومنْصُوبُ الأسْمَاءِ بَعْدَ وَاوٍ تُفِيدُ مَعْ يَسَمَى إذَا المفْعُولُ مَعْهُ لَدى الملاَ

كَجاءَ أمِيرُ القَوْمِ والجَيشَ واسْوَى هُنَا الماءُ والأخْشَابَ بَلْ صَارَ مُنْهَلاَ

والمرادُ من ذلك أن الاسم المنصوب الواقع بعد الواو التي بمعنى (مع) ، يُسمى المفعول معه ، مثل : جاء الأميرُ والجيشَ ؛ بمعنى مع الجيشِ ، واستوى الماءُ و الخشبةَ ؛ أي مع الخشبة .

ولما فرغ من المرفوعات والمنصوبات من الأسماء ، ختم منظوماته بالكلام عن المخفوضات بقوله[3] :

بالخَفْضِ والإضَافةِ اجْرُرْ واتَّبِعْ كَكُنْ مِنْ أُمّةِ الرّسُولِ المتَّبَعْ

وجَرّ بِالجِوارِ بَعْضُ العَرَبِ كَقَولِهِمْ ذَا جُحْرُ ضَبٍ خَرِبِ

واللاّم أو مِنْ اِنْوِ في المضافِ إليهِ أو في وهو ذُو خِلافِ

مِثَالُ ذَلِكَ سُرُوجُ الخِيلِ وخاتَمُ العِينِ ومَكْرُ الليلِ

ومعنى كلامه هذا أن مجرورات الأسماء أربعة أنواع :

- مجرور بالحرف : أي مسبوق بأحد حروف الجر ، مثل أكْرِمْ **بأبي** قُحافة .
- مجرور بالإضافة :وهي نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر ؛أي بنية (اللام) أو(من) أو(في) كما قال في البيت الثالث ،ومثل لذلك بقوله: سروجُ الخيلِ ؛أي للخيلِ ، وخاتم العينِ ؛ بمعنى من العينِ ، ومكر الليلِ ؛ أي في الليلِ .

---

[1] - نظم مقدمة ابن آجروم ، باب المفعول من أجله .

[2] - كشف الغموم ، باب المفعول معه .

[3] - نزهة الحلوم ، باب المخفوضات .

- مجرور بالتبعية : ومثل لذلك بقوله : كنْ من أُمّةِ الرّسُولِ المتَّبَعِ ؛ فالمجرور بالتبعية هنا هو (المتّبع)،لأنه نعت ؛والنعت يتبع المنعوت .
- مجرور بالجوار : أي بالقربِ ، مثل : هذا جُحرُ ضَبٍ خربٍ ؛فخربٌ هنا مجرورة بمجاورتها (ضبٍ) ، رغم أنها صفة للجحرِ الذي أخذ حركة الرّفع .

وهكذا استطاع أن يؤلف للناشئة ثلاثة مختصرات ، عالج فيها منثور الآجرومية ، بأسلوب قائم على وضوح العبارة وسلاسة الألفاظ ، كما أوجز فيها ودون إخلال كل ما يتعلق بقضايا الأبواب النحوية المتداولة في المصنفات المتخصصة للمتعلمين لا المتخصصين المتعمقين في الدراسات التأصيلية .

03 / مسائل التمرين لابن الحاجب (ت646ﻫ) :

وهي المسائل التدريبية التي طرقها ابن الحاجب في شافيته في الصرف ، وعرّفها بقوله :" وهذه مسائل التمرين ، معنى ذلك قولهم كيف تبني من كذا مثل كذا : أي إذا ركّبْتَ منها زِنتها ، وعَمِلتَ ما يقتضيه القياسُ ، فكيف تنطق بهِ"[1].

ويعنينا هنا أن نشير إلى أن تلك المسائل كانت موضوع مناظرة سيبويه(ت180ﻫ) ، مع الفراء(ت207ﻫ) ، استعداداً للمناظرة الشهيرة بين سيبويه ،و الكسائي[2](ت189ﻫ) ؛

المعروفة باسم المسألة الزنبورية[3] ، و فحوى تلك المسائل التمرينية ، أن الفراء سأل سيبويه قائلاً : ما تقول فيمن قال : هؤلاء أبون ، ومررت بأبين؟ ، وكيف تقول على مثال ذلك من وأيت أو أويت؟[1].

---

[1] – يُنظر، متون في اللغة العربية ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2005ء ، ص 150 ، و شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي ، تح : محمد نور حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1982ء ، ج3 ، ص 294 .

[2] – هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، مولى بني أسد ، لُقب بذلك لأنه كان يحرم في كساء ، نشأ بالكوفة وتعلّم النحو على كبر سنه ، أخذ عن معاذ الهراء ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وكان زعيم المذهب الكوفي ، توفي سنة 189ﻫ برنبوية . يُنظر ، طبقات الزبيدي ، ص 127 و ما بعدها ، و كتاب الوفيات ، ص 148 ، و نزهة الألباء ، ص 58 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 70 .

[3] – يُنظر المسألة في : الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، الأنباري ، تح : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ط1 ، 2003 ، ج 2 ،(المسألة 99) ص 576 ، و الأشباه والنظائر في النحو ، ج3 ، ص 87 ، و المدخل إلى علم النحو والصرف ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، دت ، ص 153 ، و نشأة النحو

هذا ما يقودنا إلى القول ، إن هذه المسائل كانت محور حديث العلماء منذ القديم ؛ فهذا الخليل بن أحمد(ت175ﻫ) يفتح باب التمارين على قوانين النحو والصرف[2] ،وعلى شاكلته سار تلميذه سيبويه ، الذي توسع في فتحه بكلتا يديه وخاصة قوانين الصرف التي اتسع فيها اتساعاً كبيراً [3].

وعلى تلك النظرة استمرت نظرة العلماء من بعدهما ، وتحت عناوين مختلفة ؛ من بينها : باب ما قيس من الصحيح على ما جاء من الصحيح على كلام العرب[4] ، وباب المسائل في التصريف مما اعتل منه موضع العين[5] ، ومسائل التصريف[6] ، ومسائل التمرين[7] ، وباب التمثيل[8] .

وعلى النقيض من ذلك ، فإنّ هناك من يقف في وجه هذه المسائل التمرينية ، كابن مضاء القرطبي[9] (ت592ﻫ) الذي يقول :" باب إسقاط التمارين ، ومما ينبغي أن يسقط من النحو ابْنِ من كذا مثال كذا ،كقولهم ابْنِ من البيع مثال الفعل ،فيقول قائل بوع ،أصله بيع ، فيبدل من الياء واواً لانضمام ما قبلها "[10].

وتاريخ أشهر النحاة ، ص 29 ، و المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 09 ، 2005ﻡ ، ص 58 ، و النحو العربي ، صلاح رواي ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2003ﻡ ، ص 206 .

[1] – ينظر ، الإنصاف ، ج2 ،(المسألة99) ص 576 ، والأشباه والنظائر ، ج 3 ، ص 87 ، والنحو العربي ، 207 .

[2] – المدارس النحوية ، ص 91 .

[3] – يُنظر ، الكتاب ، ج 4 ، ص 424 وما بعدها – 549 وما بعدها – 567 وما بعدها .

[4] – المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف) ، المازني ، تح : إبراهيم مصطفى ، مطبعة الحلبي ،مصر، ط1 ، 1945ﻡ ، ج1 ، ص 173 .

[5] – المقتضب ، ج1 ، ص 205 .

[6] – الأصول في النحو ، ابن السراج ، تح: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1999ﻡ ، ج3 ، ص 316 .

[7] – يُنظر ،متون في اللغة العربية ، متن الشافية ، ص 150 ، و شرح الإستراباذي ، ج3 ، ص 294 ، و شذا العرف في فن الصرف، 241 .

[8] – نزهة الطرف في علم الصرف ، ابن هشام ، تح : أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، 1990ﻡ ، ص 178 .

[9] – هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان اللخمي القرطبي ، المعروف بابن مضاء ، ولد بقرطبة سنة 511ﻫ ، أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه ، وكان وحيد عصره ، وتولى رياسة القضاء ، ومن أهم مؤلفاته كتابه الشهير : الرد على النحاة ؛الذي هجم فيه على النحاة وفنّد فيه بعض قواعدهم ، يُنظر ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص 323 ، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 137 .

[10] – الرّد على النحاة ، ابن مضاء ، تح: محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2007ﻡ ، ص 77 .

وها هنا ننبه إلى أن الغرض من هذه المسائل هو التمرين والتدريب فقط ، إذ "لا يقال إنه يلزم إثبات صيغ لم تنطق بها العرب في كلامهم ، وأما نحو جالينوس وميكائيل فلا يُصاغ على زنتهما لعدم ثبوتهما في كلامهم "[1]

وأوّل ما يجب العودة إليه من كل ما سبق ، هو مسائل التمرين لابن الحاجب(ت646ﻫ)؛وهي المسائل التي وقف عليها محمد بن أُب(ت1160ﻫ) ،وعرضها في أرجوزة موّجهة للمبتدئين الناشئة ، سماها بـ :

-روضة النّسرين في مسائل التمرين : وهي منظومة على وزن بحر الرجز ، تحتوي على تسعة وستين (69) بيتاً .

وجميلٌ كذلك – ولحرصه على المتعلم– أن نجده يضع شرحاً لمنظومته تلك ، سماه بـ :

-شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين : حيث بسّط فيه كل ما ورد في النظم من أجل إيصال الفكرة إلى تلاميذه ، ويظهر ذلك من قوله في بدايته :" لما منّ الله تعالى عليّ بنظم مسائل التمرين ، رأيت أن أضع عليه شرحاً وجيزاً يُبين المراد وييسر محاولة معناه على حُفاظه"[2].

ولنقرأ كلمات هذا العنوان في القواميس اللغوية ، التي تمدّنا بأن : كلمة (روضة) تعني الأرض المليئة بالأشجار والفواكه ، وكذا المياه[3]، وجاء عن الروضة أنها التحسين والتزيين[4]، أما (النسرين) بالكسر فهي كلمة تعني الورد[5] .

وعليه يكون المقصود بروضة النسرين : الأرض الكثيرة الماء والأشجار المزخرفة بالورود والرياحين .

وتأسيساً على ذلك فإن محمد المزمّري، يبتغي من هذا العنوان ، إعادة بثّ مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب في حلة مزخرفة لكي يسهل حفظها واستيعابها .

وكل ما يُرغب في إضافته إلى هذا أن ابن أُبّ لم يكن مجدداً ولا مبتكراً في هذا العنوان ، بل تقدّمت عليه عدة مصنفات تحمل هذه التسمية نذكر منها على سبيل المثال : روضة النّسرين في دولة

---

[1] – شذا العرف في فن الصرف ، ص 242 .

[2] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 83 .

[3] – يُنظر ، مادة (روض) في :القاموس المحيط ، ص 666 ، مختار الصحاح ، ص 186 ، إصلاح المنطق ، ص 264 – 367 .

[4] – أساس البلاغة ، مادة(روض) ،ص 285 .

[5] – القاموس المحيط ،مادة (نسر) ،ص 506 .

بني مرين[1] لابن الأحمر(ت869هـ) ، و روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين[2] لابن صعد(ت901هـ) .

الطريقة المتبعة في الرِّسالتين (النَّظم ، والشَّرح) :

1/ لقد سار محمد المزمِّري في رسالتيه على نفس المنهج الذي اتبعه ابن الحاجب ، وتمثل ذلك في جمعه لتلك المسائل التمرينية التي ختمت بها الشافية قبل الخط ، وحاول نظم هذه المسائل كما وردت ،ودون أي تغيير يذكر ، إلاّ ما كان من ضرورة في النظم أو تبسيط لبعض المسائل ، أو ما جاء مبثوثاً في المقدمة والخاتمة من حمدٍ لله ، والصلاة والسلام على الرسولﷺ ، إذ نجده يصرّح بذلك بعد تسمية نظمه قائلاً[3] :

سَميتُهُ بِرَوضَةِ النَّسْرِينِ لِجَمْعِهِ مَسَائل التَّمرِينِ

مِمَا حَوَتْ شَافِيَةُ ابنُ الحَاجِبْ العَالم النَّحْرِيرِ ذِي المواهِبْ

2/ إن غرض المؤلف المزمِّري من مؤلفاته هو تعليمي محضٌ ، ويتجلى ذلك للعيان في أول بيت من نظمه على تمارين ابن الحاجب بقوله :

الحَمْدُ للهِ الخَبِيرِ الملهِمِ منْ شَاءَ لِلتَّعْلِيمِ وَ التَّعَلُمِ

هذا ويحسن بالقارئ المتمعن في الرسالتين (النظم والشرح) أن يُدرك حرص ابن أُبَّ وتركيزه على موضوع مسائل التمرين ، وذلك بأسلوب موجز وبسيط ، مع الابتعاد عن التّوسع في الخلافات الصرفية- الكثيرة في هذا المجال- ؛ إذ نجده لا يهتم كثيراً بعزوها إلى أصحابها ، بل يكتفي بذكر ما ورد منها في الشافية مع إضافة ما يراه مناسباً للتبسيط والتفسير – وهو ما يبرر كثرة استعماله لحرف التفسير (أي) الذي تداول في شرحه في أكثر من مائة وخمسة وعشرين (125) مرة[4]- وقد يقدم هذه الخلافات للقارئ بعبارات مبهمة نحو : قال فيه الأكثر[5] ، وقول الآخرين[6] ، وقيل[7]، وذلك كله كله طلباً للسهولة وتجنباً للتعقيد من أجل إقبال المتعلم على الإلمام بهذه المسائل .

---

[1] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 117 .

[2] – المؤلفات الصوفية في الجزائر ، ص 94 .

[3] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 171 .

[4] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 183 .

[5] – م ن ، ص 94- 95 .

[6] – م ن ، ص 95- 96 .

[7] – م ن ،ص 114 .

3/ ولبلوغ ذلك الهدف ،التزم بعرض الأفكار وشرحها بالرجوع إلى معانيها اللغوية في المعاجم، أو في الاصطلاح العام ، ومع كل ذلك فإنه يزيد الأمر وضوحاً بضرب الأمثلة ؛ إذ نجده تارة يشرح اللّفظ بلفظ مثله ، وأخرى بعدة ألفاظ ، كما قال في شرح قوله:"النّحريرِ بالكسر أي الحاذق الماهر المتفرِّد"[1]، وفي موقف آخر يقول : "وأيقظ الفؤاد ،أي : نبِّه قلبك من سنة الغفلة ، وكن متفكِّراً ومتدبراً بما يمرُّ بك من مسائل النظم"[2]، وأكثر من ذلك شرحه في بعض الأحيان الكلمات الواضحة ، مثل قوله "جواداً أي فرساً"[3] ،
و "نظم أي كلام منظوم"[4].

4/ وليس هذا فقط بل كان يستعمل ضمير الغائب في الشرح لا المتكلم ، رغم أن الفكرة هي فكرته التي جاءت على لسانه في النظم ، مثل قوله : شرع ، ناظمه ، قال[5].

وعموماً فإنّه استطاع أن يتناول مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب ، بمنهج تعليمي يقتضي من صاحبه إتباع القالب التيسيري لإيصال الفكرة، وتقريب المعنى بأبسط الوسائل الممكنة.

موارده في انتقاء المادة :

إنّ المتتبع لمنظومة ابن أُبّ يُدرك أن المصدر الأساسي والأولي الذي نهل منه ورجع إليه ، هو شافية ابن الحاجب (ت646ﻫ) ، ولما كانت رسالته الثانية هي شرح وتبسيط للأولى ، فإننا نكاد نعثر فيها على أسماء لكتب ومراجع ، استند إليها ليستفيد منها في تدعيم فكرته من أجل تعميم الفائدة ، ومن ذلك كتب المعاجم والقواميس التي اعتمدها في شرح بعض الكلمات لتقريبها إلى أذهان الناشئة ، ومن هذه المعاجم ، معجم الصحاح للجوهري[6](ت393ﻫ) الذي اعتمده في شرح عدة كلمات منها كلمة (مسطار) ، وذلك في قوله :" أما مسطار بكسر الميم وضمها فهو ضرب من الشراب فيه حموضة قاله الجوهري"[7] ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي(ت816ﻫ) الذي استفاد منه

---

[1] – م ن ، ص 86 .

[2] – م ن، ص 87 .

[3] – م ن ، 86 .

[4] – م ن ص 185 .

[5] – م ن، ص 187– 188 .

[6] – هو إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، صاحب الصحاح الإمام أبو نصر الفارابي ، كان أعجوبة زمانه بذكائه وعلمه ، قرأ العربية على أبي الفارسي والسيرافي ، ومن مؤلفاته : كتاب العروض ، الصحاح في اللغة ، ومقدمة في النحو ، توفي سنة ثلاث و تسعين وثلاثمائة ، وقيل في حدود الأربعمائة ، بغية الوعاة ، ج1 ،ص 446 ، و الأعلام ، ج2 ، ص 148 ، نزهة الألباء،ص 252 .

[7] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 107– 108 .

في عدة مواطن ، نذكر منها شرحه للفعل(وَزَعَ) في قوله:"قال في القاموس وَزَعته كوَضَع وزعاً كففته فاتزع هو كفّ"[1]، وهو الكلام نفسه الموجود حرفياً في القاموس المحيط[2]، و إلى جانب تلك المعاجم نجده يُدرج أقوالاً من مقامات الحريري(ت516هـ) ،ومثال ذلك في كلامه عن العسل وفوائده ، حيث يقول :" فالعسل الشافي للناس من الأوجاع بنص الآية الكريمة هو لعاب النحل ، مع أن النحل كما نعلم ذباب ، ومن هذا المعنى قول الحريري رحمه الله:

فَكُلْ مَا حَلاَ حِينَ تُؤتى بهِ ولا تَسْأَلِ الشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ"[3].

ونجد من موارده كذلك ، البدليسي[4] ، الذي استعان به في تفسير كلمة محمدﷺ ، حيث يقول عنها :" قال البدليسي رحمه الله ، معناه الوضعي أوّلاً هو البليغ كونه محمود ، فيجوز أن يكون بسبب تسمية النبيﷺ به ثبوت هذا المعنى في ذاته "[5]، كما استعان بابن مالك(ت672هـ) في قوله :"... سال بقلب الهمزة ألفاً ، وهو كما قال ابن مالك معتلٌ مثل هاب مرادف لسأل المهموز"[6].

وأكثر من هذا فقد نقل المزمِّري عن بعض الشروح التي سبقته إلى شافية ابن الحاجب ، دون أن يُشير إلى ذلك ،ونلمس ذلك في حديثه عن بناء متل أبلم من وأيت ، حيث يقول :" ومن (وأيتَ) من الوأْي ، وهو الوعد مثل (أُبْلُم) ،وهو خُوصُ المقِل ، له(أوْءٌ) ،وأصله(أُوْؤُيٌ) ، قلبت الضمة كسرة كما قيل في (الترامي) ، فصار (أُوئِيٌ) ، ثم أعلَّ إعلال(قَاضٍ)، فقيل (أُوْءٌ)"[7]،

---

[1] – م ن، ص 87 .

[2] – القاموس المحيط ، مادة (وزع) ص 788 .

[3] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 89 .

[4] – هناك عدد من العلماء اشتهروا بلقب البدليسي ، ولم نستطع تحديد أيهم يقصده ابن أُبّ ، ومن العلماء الذين عُرفوا باسم البدليسي : ضياء الدين عمار بن محمد بن عمار بن مطر الأندلسي (590هـ) ، وحسام الدين علي بن عبد الله البدليسي(900هـ)، وأبو الفضل محمد بن إدريس بن حسام الدين البدليسي (982هـ) ،وشرف خان بن الأمير شمس الدين البدليسي(949هـ) ، شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 122- 123 .

[5] – م ن ، ص 122- 123 .

[6] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 109 .

[7] – م ن ، ص 99- 100 .

فالقارئ لهذا الكلام يكاد ينسبه إلى الجاربُردي[1] (ت746ﻫ) ،في شرحه على الشافية ، حيث يقول في ذلك:"وإذا بنيت مثل (أبلم) ، وهو خُوصُ المقل من (وأيت) من (الوأْي) ، وهو الوعد ، قلت (أُوء) والأصل (اوؤي) ، قلبت الضمة كسرة كما قلبت في (الترامي) ، فصار (أوءي) ، ثم أعلَّ إعلال (قاضٍ) فقيل(أُوءٍ)"[2].

والجدير بالذكرهنا ، أن هناك عدداً من العلماء جاء ذكرهم داخل رسالتي المزمِّري ، لكن ليس هناك ما يشير إلى أنه قد رجع للأخذ من نصوصهم ، ومن أولئك العلماء ، نجد: سيبويه[3](ت180ﻫ)، والأخفش[4](ت215ﻫ) ،وابن خالويه[5](ت370ﻫ)، والفارسي[6] (ت377ﻫ) ، وابن جني[7](ت392ﻫ) .

كما لا يفوتني هنا أن أشير إلى أنه كان يُومئ ويشير إلى العلماء بعدة تعابير وألفاظ ، في مواطن

مختلفة من الشرح ،كقوله : التصريفيون[8] ، و قول أناس آخرين[9] ، و قول الآخرين[10] ، و وجهه عندهم[11] ، و لأنهم[12] ، ومن أمثلتهم[13] ، وسألوا[14]، وكذا فعلوا[15] ، وكل ذلك يقصد به النحاة وأهل الصرف .

---

[1] – هو أحمد بن الحسن فخر الدين الجاربُردي ، كان فاضلاً ديّناً خيّراً ،وقوراً ،مواظباً على العلم ، وإفادة الطلبة ، أخذ عن القاضي اليضاوي ، ومن مصنفاته : شرح الحاوي في الفقه ، وشرح الشافية لابن الحاجب ، وشرح الكشاف ،مات في رمضان من سنة ست وأربعين وسبعمائة بتبريز ، يُنظر ،بغية الوعاة ، ج1، ص303 ، و المدخل إلى علم النحو والصرف ، ص 191.

[2] – شرح الشافية للجاربُردي ، ج1 ، ص 362 ، نقلاً عن شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 198 .

[3] – م ن ، ص 112 .

[4] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 112- 173 .

[5] – م ن ، 107- 108- 109- 172 .

[6] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 92- 95- 105- 106- 107- 108- 171- 172 .

[7] – م ن، ص 109- 110- 172 .

[8] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 86 .

[9] – م ن ، ص 92 .

[10] – م ن ، 95 .

[11] – م ن ، ص 96 .

[12] – م ن ، ص 96 .

[13] – م ن ، ص 101 .

[14] – م ن ، ص 105 .

[15] – م ن ، ص 116 .

المحتوى:

لقد سبق أن أشرنا أن الرسالتين (النظم والشرح) ، وبحسب عنوانهما تعتبران امتداداً لجزئية من شافية ابن الحاجب المصري(ت646ﻫ) ، وقبل الحديث عن تلك الجزئية رأينا أن نسلط بعض الضوء على أهم الاهتمامات التي حظيت بها الشافية،أو قسط منها ،من شروح وحواشي ودراسات ؛كشرحي الإستراباذ ي[1] (ت686ﻫ)،والجاربُردي(ت746ﻫ)،وحاشيتي ابن جماعة[2] (ت819ﻫ)، والسيوطي(ت911ﻫ) على شرح الجاربُردي ، أما عن الدِّراسات الحديثة

التي أولت اهتمامها بشافية ابن الحاجب ، فنذكر منها تمثيلاً لا حصراً : أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، دراسة لسانية لغوية للدكتور عاصم نور الدين ، وكذا المصطلح الصرفي في شافية ابن الحاجب لصفية مطهري[3].

وحَسبُك أنّه تراني مُضطّراً من خلال هذه الإشارة ، أن أُزجَّ اسم محمد المزمِّري بين هؤلاء وأولئك المهتمين بالشّافية ، إلاّ أن اهتمامه لم يكن كسابقيه بوضع شرح لها ، أو حاشية على شرحها ، أو دراسة لخاصية فيها ، وإنما جاء باختيار جزئية منها ومعالجتها ، تمثلت في "مسائل التمرين" ، واقتصر في ذلك على شافية ابن الحاجب خصوصاً دون سواها لانتشارها وتداولها في إقليم توات ، بين طلبة المدارس والزوايا منذ القرن 09ﻫكما يذكر المؤرخون[4] .

وحريٌّ بنا ، بعد كل هذا أن نضع بين يدي القارئ بعض هذه المسائل التدريبية التي جاء بها المزمِّري ، والمتمثلة فيما يلي :

عرّف هذه المسائل بقوله:"... كيف تصوغ ، أي تبني من كذا مثل كذا ، أي لفظاً يُماثله"[5]، وهو التعريف المتعارف عليه عند النحاة[1] ،ثم تكلّم عن هذا البناء ، وقال إنّما يكون من الحروف

---

[1] – هو الرضي محمد بن الحسن نجم الملة والذين الإستراباذي ، أقام بالمدينة المنورة ، وألف شرحه على الكافية لابن الحاجب في النحو ، وله شرح على الشافية في الصرف ، توفي سنة 686ﻫ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 144 .

[2] –هو محمد عز الدين بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة،ولد بينبع ،ونشأ بها مولعاً بالعلم والدين ، أتقن العلوم وبرع في سائر الفنون ،ومن مؤلفاته:حاشية على شرح ابن الناظم ،وحاشية على المغني،وحاشية على شرح الشافية للجاربُردي ، يُنظر، بغية الوعاة ،ج1،ص63 وما بعدها،و الأعلام،ج2،ص 133،ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،ص 169 .

[3] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 186- 187 .

[4] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 185 .

[5] – م ن ، ص 91 .

الأصلية لا من الزوائد إن كانت ، ومثّل لذلك بقوله : "لو قيل لك كيف تبني من (مُستغفر) مثل (جَذَعَ) لقلت (غَفَرَ) بحذف الزوائد"[2] ، كما وضّح معنى كلمة (كذا من كذا) الواردة في التعريف، بقوله إن ذلك " يقتضي التغاير في صيغتي المبني والمبنى منه ومادتيهما ، فلا يقالُ : كيف تبني من (ضَرَبَ) مثل (خَرَجَ) ، إذ لا تغيير ، ولا من (ضَرَبَ) مثل (يَضْرِبُ) ، إذ يتمُ الغرضُ بأن يُقال كيف يكون مضارع (ضَرَبَ) ، وأنه لا يُبنى من شيء أقلّ منه كأن يُبنى من رباعي ثلاثي ، لأن ذلك هدمٌ لا بناء"[3].

ليشرع بعد ذلك في تفاصيل كيفية هذا البناء ، بأمثلة انتقاها من الشّافية ، ومن تلك الأمثلة : بناء مثل(مُحَوِّيّ من ضَرَبَ)[4] ، وبناء (عَنْسَلٍ من بَاعَ)[5] ، و(شَاءَ الله من أوْلَقَ)[6] ، وكذا بناء مثل(اطْمَأنّ[7] من بِعْتَ)[8] ،وبناء (اغْدَوْدَنَ من بِعْتُ)[9] ، وبناء مثل(حَمَصِيْصَةٍ[10] من قَضَيْتَ)[11] ، و(جَحْمَرَش من حَييتَ)[12] ، وبناء (اطْمَأْنَنْتُ من قَرَأَ)[13] .

أما ما يتعلق بكيفية معالجته لهذه الأمثلة ، فنراه أحياناً يقتصر على عرض المثال وما يُبنى منه ، كما جاء في بناء مثل (صَحَائف من دَعَا) ، و(اغْدَوْدَنَ من قُلْتُ) ، وأحياناً أخرى نراهُ يتعرض

---

[1] – ينظر التعاريف في : الكتاب ، ج4 ، ص 424 ، والمقتضب ، ج1 ، 205 ، و نزهة الطرف في علم الصرف ، ص 178 ، و المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف ، ج1 ، ص 173 ، و شذا العرف في فن الصرف ، ص 241 .

[2] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 93 .

[3] – م ن، ص 93 .

[4] – م ن، ص 94 .

[5] – م ن ، ص 97 . وجاء عند الحملاوي في شذا العرف بناء (بَاعَ من عَنسل) ، شذا العرف في فن الصرف ، ص 243

[6] – م ن ، ص 105 .

[7] – كان سيبويه يرى أن كلمة (اطمأنّ) مقلوبة عن (طأمن) ، وكان يرى الجرمي عكس ذلك ، أن كلمة (طأمن) هي المقلوبة من (اطمأنّ) ، الخصائص ، ابن جني ، تح :عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، دط ، دت ، ج2،ص 50.

[8] – شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين ، ص 111 .

[9] – م ن ، ص 112 .

[10] – الحمصيصة هي بقلة رملية حامضة ، تنبت في رمل مالح ، ينظر ، معجم المقاييس في اللغة ، ص 283 ، والقاموس المحيط، ص 638 .

[11] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 116 . وجاء عند سيبويه بناء (حمصيصة من رميت) ، الكتاب ، ج4 ، ص 549 .

[12] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 118 .

[13] – م ن ، ص 120 .

للمسألة بشيء من التوسع والتفصيل ، ومواطن ذلك كثيرة، وذلك كله لحرصه على إيصال الفكرة إلى ذهن المتعلم ليسهل فهمها واستيعابها ، بالإضافة إلى تبسيط ما ورد في النظم .

وما أظُنُّكَ في حالةٍ إلى أن أقف بك على مثالٍ من هذه المسائل التي عَمِدَ فيها إلى الشرح والتفصيل ، مع الالتزام بعدم الجنوح إلى التعقيد والحشو ، و مثال ذلك في بناء مثل (مُحَوِّيّ من ضَرَبَ) والقول فيه :" (مُضَرّبِيٌّ) – بتشديد الراء – ، لأنه ليس في الفرع قياس يقتضي حذف إحدى الراءين ، و الباء منه ، كما أن القياس يقتضي حذف إحدى الياءين ، والياء الأخيرة من الأصل الذي هو (مُحَيّيٌّ) ، وقلب الياء فيه واواً ، ثم إلحاق ياء النسب ، لأن قولك (مُحَوِّيّ) نسبة إلى اسم الفاعل من (حيا ، يحي) ، وكان قبل لحوق ياء النسب على خمسة أحرف ، قبل آخره ياء مشددة على وزن (مُفَعّل) ، وأنت إذا نسبت إليه حذفت الياء الأخيرة[1] ، كما إذا نسبت إلى المثنى[2] ، فتقول فتقول (مُحيّيٌّ) بوزن (مُفعّيٌّ) ، فتجتمع كسرة وأربع ياءات ، فتحذف إحدى الياءين ، وتقلب الأخرى واواً ، فتقول (مُحَوّيٌّ)[3]، ووزنه (مُفعّيٌّ)، فإذا بنيت مثله من (ضَرَبَ)، قلت على القول الأول الأول (مُضرِّبيّ) ، لأنه ليس في الفرع قياس يقتضي التغيير"[4] .

وعموماً، فأيّاً كان الأمر فإن الشيخ ابن أُبّ(ت1160هـ) ، قد جفَّ وجمع عشرات الأمثلة التمرينية في الصرف داخل رسالتيه (النظم والشرح) ، تُحاكي أمثلة ذلك في أمهات المصادر والمراجع .

*** أهمية هذه الآثار النحوية :**

لعل من المناسب هنا أن نختم قراءتنا لهذه الرَّسائل النَّحوية – نيل المراد من لاميّة ابن المجراد ، نظم مقدمة ابن آجروم ، كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، نزهة الحَلُوم في نظم منثور ابن آجروم ، روضة النّسرين في مسائل التمرين ، شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين– بالحديث عن أهميتها التي تكمن فيما يلي :

1/ تعليم القواعد النّحوية وتيسير حفظها واستدراكها ، لأن وجود متن يتميز بالاختصار والاقتصار على الأسس العامة كمعالجته لمقدمة ابن آجروم ، كان معيناً على حفظ أصول النحو وقواعده ، وتقريب الحقائق إلى أذهان المتعلمين في مراحلهم المختلفة .

---

[1] – يُنظر ذلك في ، شذا العرف في فن الصرف ، ص 246 ، والخصائص ، ج2 ، ص 60 .

[2] – ينظر، الكتاب ، ج3 ،(باب ما لحقته الزائدتان للجمع والتثنية) ، ص 409 ، و شرح الإستراباذي ، ج 3 ، ص 191.

[3] – يُنظر القول في بناء (محوي) في : الكتاب ، ج 3 ، ص 410 ، والمقتضب ، ج1 ، ص 210 ، شذا العرف في فن الصرف ، ص 243 .

[4] – م ن ، ص 94 .

2/ إن نظام الجمل الذي وضعه في نيل المراد ، كان في منهجه ومضمونه يرمي إلى غاية تعليمية متميزة ، حيث كان هدفه في ذلك " ضبط الكلمات ونظام الجمل ، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة"[1].

3/ اعتبار كلا الشرحين (نيل المراد ، و شرح روضة النّسرين) تطوراً طبيعياً يُناسب عصر التوسع والتخصص ، لتقريبهما للطلاب نحو الجمل ، وتمارين الصرف ، وتسهيل التناول لمسائلهما.

4/ اعتبار مسائل التمرين التي طرقها في رسالتيه (النّظم ،و الشرح) مجالاً للتعليم والتدريب أساساً، لقول الشيخ الحملاوي[2] (ت1315هـ) : "... إذ الغرض التمرين فقط"[3] ، بالإضافة إلى شحذ الفكر وتكوين ملكة الفن والمران على حل المعضلات اللفظية .

5/ القيام بدورها الفعّال في مسرح التعليم ، وقد حدث هذا في عصره (ق12هـ) ، وفي عصرنا الحاضر ، إلاّ أن ذلك لا يؤدي الغرض في انتحاء سمت كلام العرب ما لم تُدعّم هذه القواعد بالتطبيقات العملية المتمثلة في القراءة الجهرية الصحيحة ، لأن "كتب النحو التي نتلقفها في مدارسنا مهما يسُرَتْ ، ومهما حشدت فيها التدريبات المتنوعة ، فلن تكفي في انتحاء سمت كلام العرب ، ما لم تؤازرها القراءة الجهرية الصحيحة ،و التعبير الشفوي والتحريري المستقيم ، وحفظ النصوص بأداء سليم"[4] ، وعليه يكون النحو لا يُنال بالقاعدة وحدها ، بل يحتاج إلى تدعيمها بنصوص وتمارين تجتمع فيهما المحصلة اللغوية ،والأداء الصحيح .

6/ إنّ لهذه الرسائل ثروة علمية عظيمة – لا مبالغة– حفلت بالمعارف المفيدة ،والآراء السديدة، إضافة إلى أنها حفظت نصوصاً من أصول ومصادر ضاعت من يد الزمن ، ولم تصلنا غير أسمائها.

ورغم كل ما اتسمت به تلك الآثار من يُسرٍ ووضوح ، فإنّ هناك من شكّك في نجاعة مثل هذه التآليف وقدرتها على استيعاب المادة التعليمية ، مُرجئاً ذلك إلى اختصارها وحشوها بالمعاني الكثيرة المخلّة بالتعليم ، قائلاً :" ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يُولعون بها ويُدونُون منها برنامجاً مُختصراً في كل علم يشتمل على حصرِ مسائله وأدلتها ، باختصار في الألفاظ

---

[1] – النحو الوظيفي عبد العليم إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ،1998م ، ص (هـ) – (و) من مقدمة الكتاب .

[2] – هو أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، نسبة إلى (مُنية الحَمَل) من قرى بُلْبيس بمحافظة الشرقية بمصر ،ولد سنة 1273هـ/ 1856م ، وتربى في حجر والده مولعاً بكثير من العلوم الشرعية واللغوية التي أخذها عن أفاضل زمانه وعصره ، ومن مصنفاته : شذا العرف في فن الصرف ، و زهرة الربيع في المعاني والبيان والبديع ، ومورد الصفا في سيرة المصطفى ، أدركته المنية في 22 من شهر ربيع الأول سنة 1351هـ الموافق لـ 26 من يوليه سنة 1932م ، شذا العرف في فن الصرف ، ص 05 وما بعدها .

[3] – م ن ، ص 242 .

[4] – النحو التعليمي في التراث العربي، محمد إبراهيم عبادة ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، دط ، دت ، ص 13 .

وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار مُخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطوّلة... فاختصروها تقريباً للحفظ ... وهو فساد في التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل ، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، ... ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن الألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة ، ... فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين ، فأركبوهم صعباً يقطعهم على تحصيل الملكات النافعة وتمكنها"[1].

وإذا كان من الصعب عليّ أن أقدِّم تعليقاً على هذا التشكيك ، فإنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن البون شاسع بين من يُحصِّل العلم بيُسرٍ وسهولة ،وذلك الذي يُحصِّله بكدٍ وعناء ومشقة ، ثُم إنه لو سلّمنا بغموض عبارات هذه السلسلة التأليفية ، فإنّ ذلك لم يكن من الظواهر التي انفردت به المتون وما بُني عليها من مؤلفات وحدها حتى تُعاب به دون غيرها ، فإنّ أمهات الكتب القديمة لا تخلو من ذلك ، و إلاّ لما كثُرت الشروح على كتاب سيبويه مثلاً ، والأكثر من ذلك أن من العلماء السابقين من كان يسعى إلى الغموض والتعمية في تآليفه ، ومع ذلك ظلت له ولكتبه مكانة عُليا عند الدارسين ، ولم يُعَبْ عليه ذلك في زمانه ولا بعد زمانه .

أما الإيجاز التي اتسمت به هذه المؤلفات إذا كان القصد منه تسهيل الحفظ وسرعة استحضار المعلومات ؛ فهو في حقيقة الأمر طور طبيعي في تاريخ التأليف ، إذ لا بُدّ من أن يعقب طور التّوسع طور يُقرِّبُ لطلاب العلم وناشئته تناول مسائل العلم ،ويُعاونهم على بلوغ أمنياتهم من العلم في وجازة وعجلة ، وبخاصة صغار المثقفين منهم .

وراقني قول الشيخ محمد عرفة في الرَّد على ذلك ، إذ يرى أن الأمم "إنّما تمتاز بفهم الغامض، وإدراك البعيد ، وحلِّ المستغلق ، وذلك لا يكون إلاّ بتعويد المرء على شيء من الصِّعاب، ليُمرِّن عقله على حلِّ ما يُماثلها ، وكما أن المرء الرياضي لا يكون قوياً على حمل الأثقال إلاّ بالتعود على حمل أحمال ثقيلة متدرجاً في ذلك ، كذلك لا يكون عقله قادراً على حلِّ الصِّعاب إلاّ إذا عوَّد عقله على حلِّ مسائل عويصة متدرجاً في ذلك"[2].

---

[1] – المقدمة ، ص 551 .

[2] – النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد عرفة ،دون مكان الطبعة، دط ، دت ، ص 106 .

ومهما يكن من شيء ، فإنّ الذي ينبغي ألاّ يغيب عن ذهن القارئ المنصف في كل الأحوال ، هو أن هذا الأسلوب التأليفي يُشكِّل جزءاً كبيراً من تراثنا الخالد الذي لا يستغنى عنه الدارس مهما علا كعبه في العلوم والمعارف .

الفصل الثاني

بوادر المُزمِّري الاجتهادية في النحو وأصوله

المبحث الأول: مصادره في الاستشهاد النَّحوي

مصادر الاستشهاد النحوي

أ / الاستشهاد ، ب / الاحتجاج ، ج / التمثيل

01/ القرآن الكريم

موقف النحاة من القراءات

المزمِّري الشواهد القرآنية

02/ الحديث النَّبوي الشَّريف

موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف

03/ الشِّعر العربي

النحاة والاحتجاج بالشعر

المزمِّري والاستشهاد بالشعر العربي

04/ الأقوال والأمثال

المزمِّري والاستشهاد بأقوال العرب وأمثالهم

05/ اللّغات

المزمِّري واللغات العربية

إنّ المعتاد في البحوث الأكاديميّة أن ينطلق الباحث من جانب نظري يؤسس به بحثه ، ويستند عليه ، لذا رأينا أنه من الضروري بمكان أن نستهلّ حديثنا عن مصادر المزمِّري في الاستشهاد النحوي ، بالحديث عن الجانب النظري لهذه المصادر .

*مصادر الاستشهاد النحوي :

كان من بوادر نشأة التفكير في قضايا اللغة العربية المختلفة سعيٌ إلى إثبات ما يُذهب إليه من آراء ، وما يُصدر من أحكام إزاء تلك القضايا بأدلة من الكلام العربي الفصيح ، يقوم عليها بناؤها متناسباً معها قوة وضعفاً وصحة وسقماً ، وذلك ما اصطُلِحَ عليه عند اللغويين والنُّحاة باسم : الاستشهاد ،أو الاحتجاج ، أو التمثيل .

أ / الاستشهاد :

1- تعريفه اللُّغوي: إن العودة إلى كتب اللغة ومعاجمها يقفنا على أن الشهادة هي الخبر القاطع ، فنقول شهد على كذا ، من باب سَلِمَ ، وأشْهَدُ بكذا أي أحْلِفُ ، والمشاهدة المعاينة ، وقوم شهود أي حضور[1]، وجاء في القاموس استشهده سأله أن يشهد[2]، والفعل شَهَدَ أصل يدل على حضور وعلم ، يقال شَهَدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً ، والمشهد محضر الناس ، كما يقال شَهَدَ فلان عند القاضي ،إذا بيَّن وأعلم لمن الحق وعلى من هو[3] ، وقال الزمخشري (ت538هـ) في أساس البلاغة عن مادة (شَهِدَ) : "شَهِدته وشاهدتُه ، وشوهدت منه حال جميلة...والله يشهد لي ،ولا استشهده كاذباً، وهو من أهل المشهد والمشاهد...وصلينا صلاة الشاهد وهي صلاة المغرب ،لأنها لا تقصّر فيصليها الغائب كما يُصليها الشاهد"[4].

وتأسيساً على ذلك فإنّ الشاهد في المعنى اللغوي هو الخبر القاطع ، وكشف المخفي وإظهاره ، أو الحضور لتأدية الشهادة في حضرة القاضي ، فيُقال استشهد أي شهد له .

2- الاصطلاح النحوي : الاستشهاد هو الاستدلال الذي يأتي به النحوي شاهداً على إثبات القاعدة النحوية من لغة العرب وكلامهم ، وبعبارة أخرى هو :" الاحتجاج للرأي أو المذهب ؛ أي أن يأتي النحوي لما يقول بشاهد شعري أو نثري من القول المعتمد الموثق ليؤيده به ويدعمه"[5]، ونجد ذلك في كتب النحو بعبارات عدة منها : واستشهدوا بكذا ، وهذا لا يستشهد بشعره ، والاستشهاد بهذا لا يصح لجهل قائله .

ب / الاحتجاج :

1- تعريفه اللّغوي: جاء في المعنى اللّغوي ،أن أصل اشتقاق الكلمة هو مادة(حَجَجَ) التي تعتورها معان عدّة ؛ فالحجة البرهان والدليل ، أما التّحاجُّ فهو التخاصم والجدل[6] ،وهو معنى كلمة الحجة المشتقة من المادة ،والحجة هي :" الاستقامة في النظر ...، وهي الطريق المستقيم وهذا هو فعله

---

[1] - مختار الصحاح ، مادة (شهد) ، ص 141 .

[2] - القاموس المحيط ، مادة (شهد)، ص 316 .

[3] - معجم المقاييس في اللغة ، مادة (شهد) ، ص 539 .

[4] - أساس البلاغة ، مادة (شهد) ، ص 341- 342 .

[5] - معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، قصر الثقافة ، دار الثقافة ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 119 .

[6] - يُنظر ، مادة(حجج) في : القاموس المحيط ، ص 209 ، ومختار الصحاح ، ص 94 .

المستدل ، وليس من الدلالة في شيء ، وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها ، وإنما تنفصل الحجة من البرهان لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد"[1].

وعليه تكون الحجة في المعنى اللغوي غلبة الخصم المتجادل معه بإقامة الدليل والبرهان للاستقامة على الطريق القويم .

2- المعنى الاصطلاحي : الاحتجاج كلمة مزيدة بالتاء والألف تعني إثبات الشيء بإقامة الدليل من لغة من يصح الاحتجاج به من أجل توثيق مسألة من المسائل ، أو ما يُساق من الكلام الفصيح شاهداً بصحة العبارة دلالياً أو نحوياً[2] ، ويُعرِّف معجم المصطلحات النحوية والصرفية الاحتجاج بأنه :"الاستدلال بأقوال من يحتج بهم في مجال اللغة والنحو"[3]، وقد تداول هذا المصطلح(الاحتجاج) ، في كتب النحو وبخاصة الخلافية منها بعبارات منها : واحتج البصريون ، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا ،ومن المحتجين بهذا ، وغيرها من الألفاظ التي يقوم معناها على لفظ الاحتجاج ومشتقاته .

وفي ضوء ما سبق ،يرى محمد عيد أنّ بين الاستشهاد والاحتجاج فرقاً ورد في تفسير القاموس يضيف للاحتجاج شيئاً لا يوجد في الاستشهاد وهو"الغلبة" للحجة التي يقوم عليها معنى الاحتجاج ؛ وعليه يكون الاحتجاج خاصاً بالمواقف التي تتطلب التخاصم والغلبة بهدف التفوق على الخصم ونصرة الرأي[4]، كما يرى علي أبو المكارم أن الاستشهاد جزء من الاحتجاج ، ويظهر ذلك من قوله:" قوله:" الاستشهاد ذكر الأدلة النّصيّة المؤكدة للقواعد النحوية ، أي التي تنبني عليها هذه القواعد ، والاستشهاد – بهذا التحديد– بعض مدلول الاحتجاج ؛ فإنّ الاحتجاج هو الاستدلال على صحة القواعد النحوية مطلقاً ، وبهذا الإطلاق يشمل كون الأدلة نصوصاً لغوية أو أصولاً نحوية"[5]؛ بمعنى أنّ أنّ بين المصطلحين عموم وخصوص .

ولكن القارئ في كتب التراث لا يكاد يظفر بهذا الفرق أو التجزئة ، فغالباً ما تستعمل هذه المصنفات المصطلحين(الاستشهاد، والاحتجاج) في معنى واحد .

---

[1] – الفروق اللغوية ، العسكري ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2 ، 2003ْ ، ص 82 .

[2] – الاحتجاج اللغوي ، صالح بلعيد ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع ، العدد 01 ، السنة الأولى ، ماي 2005 ، ص 47 .

[3] – معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص 61 .

[4] – الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1988 ، ص 86 .

[5] – أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص 219 .

ج / التمثيل:

1- تعريفه في اللّغة : هو أصل مشتق من مادة (مَثَلَ) التي تدل على مناظرة الشيء للشيء ، ونقول هذا مثل هذا ،أي نظيره[1]، وجاء في مختار الصحاح ، مثّل له كذا تمثيلاً إذا صوّر له مثالً بالكتابة أو غيرها[2]،كما أن المثل هو الحجة ، وقد مثّل به تمثيلاً و امتثلَهُ وتمثّله[3]، ومثّله به شبّهه وتمثّل به تشبّه به ، ومُثِّل الشيء بالشيء سُوّي به وقُدِّر تقديره[4].

وعليه يكون المعنى اللغوي الرئيس الذي يجمع هذه المعاني المتقاربة ، هو مناظرة الشيء بشبيهه بإقامة الحجة والدليل .

2- الاصطلاح النحوي: التمثيل هو النص المصنوع المساق من لغة لا يحتجُّ بها ،وغير مُلزم ، وهدفه إيضاح وشرح القواعد النحوية وتقريبها إلى الأذهان بذكر أمثلة لغوية توضح هذه القواعد[5]. وجاء في المعجم الاصطلاحي :"التمثيل هو استدلال بالأمثلة والأقوال التي لا يحتجُّ بكلام أصحابها"[6] أصحابها"[6] ، والتمثيل هو من التمارين غير العملية التدريبية التي رأيناها سابقاً – في الكلام عن روضة روضة النّسرين وشرحها – ، وهو قولهم " ضع مثالاً من كذا على كذا " ، وتستعمل هذه التمارين غير العملية أيضا في الكتاب المدرسي ، بعدة عبارات منها : مثّل لذلك ؟ ، ...ومع التمثيل ؟ ، أعط مثالاً ؟ ، وشبه ذلك من العبارات والجمل التي عُجّت بها الكتب المدرسية ابتغاء تعليم القواعد النحوية.

وفي خِضَمِّ هذا التوضيح ؛ فإنّ التمثيل يختلف عن الاستشهاد والاحتجاج في طبيعة اللغة المحتج بها ، إذ أن المثل هو قول يُؤتى به للتمثيل به على حقيقة القاعدة النحوية لا للاستدلال على نجاعتها وصحتها والاحتجاج على سلامتها ، بينما الاستشهاد والاحتجاج كما رأينا ،هما الاستدلال باللغة المحتج بها ، الصادرة عن الأعراب في زمن السليقة يُؤتى بهما للاستدلال على صحة القاعدة وسلامتها .

---

[1] – معجم المقاييس في اللغة ، مادة (مثل) ، ص 974 .

[2] – مختار الصحاح ، مادة (مثل) ، ص 413 .

[3] – القاموس المحيط ، مادة (مثل) ، ص 1068 .

[4] – أساس اللاغة ، مادة (مثل) ، ص 581 .

[5] – أصول التفكير النحوي ، ص 219 .

[6] – معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص 209 .

وجريٌّ بنا بعد هذا الخوض في غمار هذه المصطلحات (الاستشهاد ، الاحتجاج ، التمثيل) ، أن نحصر المصادر التي استقى منها النُّحاة واللّغويون – بما فيهم محمد بن أُبّ – مادتهم في:القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، و الشعر العربي ، والأمثال والأقوال، وكذا اللغات .

01- القرآن الكريم :

وهو كلام الله المعجز المنزل على قلب سيدنا محمدﷺ ، بواسطة الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام ، لذلك لا يكاد يوجد عند النّحاة خلاف في أنّه أوثق نصٍ يُرجع إليه في الاستدلال على استنباط القواعد النّحوية، والاحتجاج بنصوص قراءاته المتوترة .

وفي هذه المناسبة يقول ابن خالويه(ت370ﻫ) :" فإنّي تدبّرت قراءة الأئمة السبعة[1] من أهل الأمصار الخمسة[2] المعروفين بصحة النّقل ، وإتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية ، واللَّفظ ، فرأيت كُلاًّ منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد بالقياس وجهاً لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النّقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار"[3].

يتضح من خلال هذا الكلام ، أنّ النُّحاة كان لهم موقفان في الاستشهاد بنصوص القرآن ، أحدهما موافق لهذا الاحتجاج باللفظ والحكاية ، وهو الاتجاه النّقلي ، وثانيها معارض لهذا الاحتجاج لمعارضة هذه النصوص القرآنية – في نظرهم – القياس ، لهذا لجأوا إلى الاستشهاد على استنباط القواعد من نصوص أخرى غير القرآن ، ولذلك "مال بعض الباحثين إلى تسمية الاتجاه الأول بالأثريين ، والاتجاه الثاني بالقياسيين "[4].

ويحسن التنبيه بشدة هنا ، إلى أن الاحتجاج بالقرآن لا يعني ذلك النص الشمولي الذي نزل

---

[1] – القراء السبعة هم : نافع بن عبد الرحمان(ت 169ﻫ) ، وابن كثير(ت120ﻫ) ، و أبو عمرو بن العلاء(ت154ﻫ) ، و ابن عامر(ت118ﻫ) ، وعاصم بن أبي النجود(ت127ﻫ) ، و حمزة بن حبيب الزيات(ت189ﻫ) ، والكسائي(ت189ﻫ)، يُنظر ، الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، تح : عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، لبنان، ط1 ، 2000ء ، ص 61 ، و ملاحن القراء ، بن حامني ، تح : عبد الله بن عمر ، دار الفكر ، لبنان ، دط ،دت ، ص 118 ، و تقريب النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تح : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، دط، 2002ء ، ص 13 وما بعدها .

[2] – الأمصار الخمسة هي : **المدينة** وقرأ بها نافع ، و**مكة** وقرأ بها ابن كثير ، و**البصرة** وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء ، و**الكوفة** وبها قرأ عاصم ،وحمزة ، والكسائي ، و **الشام** وقرأ بها ابن عامر ، يُنظر الحجة في القراءات السبع ، ص 61 ، والاحتجاج اللغوي ، ص 64 .

[3] – الحجة في القراءات السبع ، ص 61 .

[4] – أصول النحو دراسة في فكر الأنبا ري، محمد سالم صالح ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، 2006ء ، ص 170 .

على سيدنا محمدﷺ، لأنه لو قُصد ذلك لما استطاع أحد من النحاة ، أو غيرهم أن يُجادل في الاحتجاج بآية واحدة منه ،ولا أن يخضعه لأقيسته ، لكنّ المقصود بالقرآن هنا جملة من القراءات التي قد يكون بين إحداها والأخرى خلاف في صوت ،أو لفظ ، أو تركيب نحوي لآية من آيات هذا النّص ، لذا ينبغي أن نُبادر إلى القول إن هذه القراءات جميعاً منسوبة إلى النبيﷺ [1] ، لقوله ﷺ :"أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[2].

وهناك من يرى أن المقصود من السبعة أحرف الواردة في الحديث ، ليست السبع قراءات المعروفة ، وليس المقصود أن الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه ، بل المراد بها أنّ وجوه الاختلاف في القراءات سبعة، وهي[3] :

1/ اختلاف في الإعراب بما لا يُغير صورة الكلمة ولا معناها .

2/ اختلاف في إعراب الكلمة بما يُغير المعنى ولا يُغير الصورة .

3/ اختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها .

4/ اختلاف في صورة الكلمة ومعناها .

5/ اختلاف في صورة الكلمة دون معناها .

6/ اختلاف بالتقديم والتأخير .

7/ اختلاف بالزيادة و النقصان .

ونجدد التنبيه هنا ،إلى أن الشيء الذي لا شكَّ فيه أنّ هذه القراءات ليست على درجة واحدة من التواتر والصحة ، لذلك أجمع القراء على وضع ضوابط للقراءة الصحيحة ؛ منهم ابن الجزري[4] (ت833ﻫ) ، الذي تحدث بلسان حالهم قائلاً :" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد

---

[1] – الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو – فقه اللغة– البلاغة ، تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، دط ، 2000م ، ص 92 .

[2] – صحيح البخاري ،كتاب فضائل القرآن ، ج6 ،ص 100 .

[3] – تقريب النشر في القراءات العشر، ص 09 .

[4] – هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف شمس الدين العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي ،المعروف بابن الجزري ، شيخ الإقراء في زمانه ، ولد بمشق سنة 751ﻫ ، ونشأ بها ، وابتنى فيها مدرسة سماها بدار القرآن ، ومن كتبه : النشر في القراءات العشر ، وتقريب النشر في القراءات العشر ، و غاية النهاية في طبقات القراء ، و التمهيد في علم التجويد ، توفي سنة 833ﻫ ، ودفن بدار القرآن التي أنشأها ، الأعلام ،ج7 ، ص 45 .

المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ،وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحلّ إنكارها ... ومتى اختلَّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة"[1].

فالقارئ لكلام ابن الجزري هذا ، يكاد يظفر بشروط ثلاثة لصحة القراءة ، وهي :

1 / موافقة العربية ولو بوجه ، وإذا اختل كانت القراءة ضعيفة .

2 / موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً ، وإذا اختل كانت القراءة شاذة .

3 / صحة السند[2] ، وإذا اختل كانت القراءة باطلة ، وقد اكتفى ابن الجزري بصحة السند وجعله مكان التواتر[3] .

وعليه فلا تبطل القراءة ألبتة عند القراء إلاّ باختلال صحة السند ،والنسبة إلى النبيﷺ بالتواتر، "إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب ، ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر"[4].

ثمّ سرعان ما نكشف عقب ذلك ، أن القراء والنحاة والفقهاء اختلفوا في مدى التشدد في تلك الشروط الثلاثة ،ومردُّ ذلك الاختلاف إلى أن القراء جعلوا صحة السند الشرط الأساسي في صحة القراءة وقبولها ، في حين أن النّحاة صرفوا انتباههم إلى شرط موافقة العربية ولو بوجه من وجوه النحو ، وجعلوه الشرط الأساسي ، فتمسّكوا به في قبول القراءة حرصاً منهم على مقاييسهم وقواعدهم ، أما الفقهاء والأصوليين الذين همهم في ذلك استخراج الأحكام فقد غضوا الطرف عن الشروط الثلاثة ، وصرفوا نظرهم إلى العنصر الثاني من الشرط الأخير ؛ وهو التواتر[5] .

موقف النّحاة من القراءات :

أود بادئ ذي بدءٍ أن أُشير إلى أن القراءات القرآنية قد شغلت أذهان النحاة منذ نشأة النحو ، وذلك لأن الرَّعيل الأول الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قُراء ، كعيسى بن عمر(ت149هـ) وأبي

---

[1] – النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري ،مراجعة:علي محمد الضباع،دار الكتب العلمية،بيروت ،دط ،دت ،ج1،ص 09 .

[2] – يرى السيوطي أن السند ستة أنواع : المتواتر ، الآحاد ، الشاذ ، قراءات النبيﷺ ، الرواة ، الحفاظ ، الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تح : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، دط ، 2007م، ص 23 .

[3] – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، عبد الفتاح القاضي،دار الكتاب العربي ، بيروت ،دط ، 1981 ، ص 08 .

[4] – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، ص 07 .

[5] – الأصول ، ص 93 .

عمرو بن العلاء(ت154ﻫ) ، والخليل[1] (ت175ﻫ) ، ويونس بن حبيب(ت182ﻫ)، والكسائي(ت189ﻫ) ، ولعلّ اهتمامهم بهذه القراءات هو الذي وجههم إلى الدراسات النحوية ، ليوازوا بين القراءة والعربية ، وبين ما رووا وسمعوا من القراءة ، وما رووا وسمعوا من كلام العرب.

وإذا مضينا إلى الإطلاع على موقفهم من القراءات القرآنية ، لوجدناهم ينظرون إليها من حيث موافقتها للقياس ، فما وافق لا جدال في قبوله والاستشهاد به ، أمّا ما خالف القياس فقد انقسم فيه الرأي بين رافضٍ وآخذ:

01 / موقف الرفض : وهو رأي البصريين ، الذين"وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم و أقيستهم ، فما وافق منها أصولهم ،ولو بالتأويل قبلوه ، وما أباها رفضوا الاحتجاج به ، ووصفوه بالشذوذ"[2].

وعليه ، إذا كان البصريون قد جعلوا القرآن الكريم وقراءاته مصدراً من مصادرهم، فإنهم لم يأخذوا القراءات في مجملها كمصدر لهم، وإنما أرادوا أن يطبقوا عليها قواعدهم ومقاييسهم ، فما وافق تلك القواعد والمقاييس دون حاجة إلى تأويل قبلوه في الدرجة الأولى، وما طابقها مع التأويل اعتبروه في الدرجة الثانية، أما ما لم يوافق مقاييسهم وقواعدهم – ولو بالتأويل– فقد رفضوه واعتبروه نادراً أو شاذا. فهم بعملهم هذا قد حرموا النحو من مصدر عظيم وقد كان من المستطاع — لو أنهم أخذوا بالقراءات التي طرحوها — أن يجدوا قواعداً وأصولاً تضاف إلى ما عرفوا للنحو من قواعد وأصول[3]، وهو ما يدل على " أن احترامهم المبالغ لقياسهم جعلهم يردون بعض القراءات الصحيحة ويخرجون بعضها بما يتفق مع أقيستهم"[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلحين البصريين للقراءات لم يشمل عامة البصريين ، وإنما بدأ ذلك إلاّ عند علماء القرن الثالث، وفي ذلك يقول شوقي ضيف :" ... وتوسع في وصف ذلك بعض المعاصرين ، فقالوا إنهم كانوا يردون بعض القراءات ويضعفونها ، كأن ذلك كان ظاهرة عامة عند نحاة البصرة مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه نصوص صريحة مختلفة تشهد لهذه التهمة الكبيرة ...وفى الحق أن بصريي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات، وهى أمثلة قليلة لا يصح

---

[1] – الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية ، التواتي بن التواتي ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، مجلة لغوية علمية تصدر عن المجمع ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ديسمبر ، 2006ﻡ ، ص 107 .

[2] – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مهدي المخزومي،دار الرائد العربي ، لبنان ، ط3 ، 986 ،ص 337 .

[3] – تاريخ النحو وأصوله ، عبد الحميد السيد ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، دط ، دت ، ص 82 .

[4] – الخلاف بين النحويين ، سيد رزق الطويل ، المكتبة الفيصلية ،مكة المكرمة ،ط1 ، 1985ﻡ ،ص 155 .

أن تتخذ منها ظاهرة خاصة ولا عامة، وقد كانوا يصفونها بالشذوذ، ويؤولونها ما وجدوا إلى التأويل سبيلا"[1].

يتضح لنا من كلام الدكتور شوقي ضيف ،أن سيبويه البصري(ت180ﻫ) كان يعتمد على القراءات في تقرير قواعده، وكان يستشهد بها ويحيط بها، ويرى عدم جواز مخالفتها لأن شعاره في ذلك " القراءة لا تخالف لأنها سنة"[2]، ودليل ذلك أن المتأمل المنصف في كتابه لا يكاد يعثر على ما يدل على طعنه في القراءات ،ولو جاءت القراءة مخالفة للقاعدة النّحوية ، فقد كان لا يتعرض لها،كقراءة حمزة قوله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللهَ الَذِي تَسَّآءَلُونَ بِهِ والاَرْحَامَ﴾ [النساء، الآية 01] ، بجر "الأَرْحَامِ"، التي رفضها النحاة وأطالو البحث فيها .

02 / موقف الأخذ : وهو رأي الكوفيين ، الذين "لهم موقف آخر يُغاير موقف البصريين من القراءات كل المغايرة ، فقد قبلوها، واحتجوا بها ، وعقدوا على ما جاء فيها كثيراً من أصولهم وأحكامهم ، وهم إذا رجّحوا القراءات التي يجتمع فيها القراء عليها ، فلا يرفضون غيرها ولا يغلِّطونها"[3].

وليس هذا غريباً على الكوفيين ،لأن اعتدادهم بالقراءات واعتمادهم عليها في بناء قواعدهم كان له أسبابه ومبرراته فمن هذه الأسباب ، أنهم كانوا في شغل عن النحو "بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقه ، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءتهم في العالم العربي ، و هم عاصم وحمزة و الكسائي"[4].

ومن خلال هذين الموقفين ، يظهر جلياً للعيان أن التشدد في شرط موافقة العربية ولو بوجه ، كان له أكبر الأثر في ظهور هذه المواقف من القراءات .

ولنسير خطوة أخرى أكثر تفصيلاً ، تضعنا أمام موقف المتأخرين من النحاة تجاه هذه القراءات ، فحواها ، أن هؤلاء النحاة كان لهم حظٌّ كبير في الإكثار من الاستشهاد بالقرآن والاعتماد على القراءات بصورة واضحة ، ممّا أدى بهم إلى رفض موقف النحاة المتقدمين من القراءات ؛ كابن مالك(ت672ﻫ) الذي أخذ بجميع روايات القرآن واعتمدها أثناء التقعيد ، كما تبنى موقف الدفاع

---

[1] المدارس النحوية ، ص 19 .

[2] – الكتاب ، ج1 ، 201 .

[3] – مدرسة الكوفة ، ص 341 .

[4] – المدارس النحوية ، ص 153 .

عن القراءات ، وما شهدته من طعنٍ على قرائها[1]، ورايته في ذلك " أن القراءة سنة متبوعة"[2] ، وهو موقف غير مستبعد من ابن مالك الذي كان إماماً في علم القراءات ، الذي صنّف فيه منظومتين، هما[3] المالكية في القراءات السبعة ، و لاميّة في القراءات .

ومن المتأخرين الرافضين كذلك لموقف نحاة البصرة من القراءات نجد السيوطي(ت911ﻫ) ، الذي ردَّ عليهم قائلاً :" أمّا القرآن فكل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً ، أم آحاداً ، أم شاذاً ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يُجز القياس عليه ،... وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة ، وإن اختلفت في الاحتجاج بها في الفقه ... كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم ، وحمزة ، وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن ، وهم مخطئون في ذلك ، فإنّ قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية"[4].

يتهيأ للقارئ وهو يقرأ ردّ السيوطي على الذين عابوا بعض القراءات، ملحظ ينبغي الإشارة إليه ، وهو أن إشارته إلى إطباق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة ، وأنه لم ير أحداً خرج على ذلك ، هو أمر فيه نظر ؛ فمن البديهي والمعروف أن النحاة المتقدمين كانوا يرفضون الاحتجاج ببعض القراءات وبخاصة الشاذة منها ، ويمكن هنا أن يُنظر إلى عبارة السيوطي على أنها رأيه الخاص الذي تشيع فيه مع النحاة المتأخرين الذين توسعوا في مصادر الاستشهاد عن طريق فتح باب الاحتجاج بالقراءات الشاذة[5].

وإنّه ليكفي أن أذكر بعد الخوض في غمار هذه المواقف ،إنّ المتصفح والمطّلع على المجهودات النحوية للنحاة منذ كتاب سيبويه إلى النحاة المتأخرين يجد اعتماداً غير قليل على القرآن الكريم وقراءاته في الاستشهاد ،واستنباط القواعد ، وهو ما يدل على الاحترام البالغ لآي كتاب الله وقراءاته .

---

[1] – أصول النحو عند ابن مالك ، خالد سعد محمد شعبان ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ،2006م ، ص 53 .

[2] – شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، ابن مالك ، تح : طه محسن ، دار آفاق عربية ، العراق ، دط ، 1985م ، ص 118 .

[3] – أصول النحو عند ابن مالك ، ص 11 .

[4] – الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، تح : حمدي مصطفى خليل ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط2 ، 2001م ، ص 96 وما بعدها .

[5] – أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 171 .

المزمّري والشواهد القرآنيَّة:

لقد سار محمد المزمّري في اختياره للرواية القرآنية على النّهج الذي سلكه أهل المنطقة التواتية ، وهو أخذهم برواية الإمام ورش[1](ت197ﻫ) ؛ التي تميّزت بأنها من أوثق القراءات وأصحها سنداً، كما أنها تعكس ألواناً مختلفة من اللغة العربية ولهجاتها ، وظهر ذلك في تصريفها للأفعال والأسماء العربية والأعجمية ، وهذا ما يجعل قراءة ورش تحتوي على رصيد لغوي هائل من اللغة العربية ، هذا فضلاً عن كونها تمتاز بظاهرة الإمالة في القراءة ، ورغم كل ذلك فقد كان موقف بعض النحاة منها كموقفهم من سائر القراءات لاحتوائها على شواذ لم توافق قواعدهم النحوية ، إلاّ أن ذلك لم ينل منها طالما هي متواترة[2] .

وعرفنا سابقاً أنّ المزمّري عالج منثور الآجرومية في منظومات شعرية ، وعلى الرغم من تقييد الوزن والقافية فقد استطاع وبفضل ثقافته في هذا الميدان ، أن يستشهد عن القواعد النحوية ببعض الآيات القرآنية .

ففي تمثيله للمجرور بالإضافة نجده يقول[3] :

مِثَالُ ذَلِكَ سُرُوجُ الخَيْلِ وخَاتَمُ العَيْنِ وَمَكْرُ اللَّيْلِ

وقوله كذلك[4] :

كَابْنِي اسْتَفَادَ خَاتِمِي نُضَارِ[5] وَنَحْوُ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

فالمثال الأخير من البيت الأول ، والشطر الثاني من البيت الآخر يقصد بهما قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الذِينَ اَسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ **مَكْرُ الَيْلِ والنَّهَارِ** إِذْ تَامُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ﴾ [سبأ ، الآية 33] .

وعن تمثيله للتمييز يقول[6] :

---

[1] – هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان المصري ، الملقب بورش ، من كبار القراء ، وقال الجزري هو شيخ القراء المحققين، ولد بمصر سنة 110ﻫ ، وأصله من القيروان ، وتوفي بمصر عام 197ﻫ ،كتاب الوفيات ، ص 154 .

[2] – قراءة نافع وآثرها في الدراسات اللغوية والتفسيرية ، رابح دفرور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، قسم الكتاب والسنة ، (1995- 1996م) ، ص 187.

[3] – نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، باب المخفوضات .

[4] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب ذكر المخفوضات من الأسماء .

[5] – النُّضارُ : هو الذهب أو الفضة ، يُنظر ، مادة (نضر) ،في معجم المقاييس في اللغة ، ص 1032 ، و القاموس المحيط ، ص 507 ومختار الصحاح ، ص 446 .

[6] – كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، باب التمييز .

وَزَيْدٌ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نعْجَةً وَأَحْمَدُ أَبْهَى مِنْكَ وَجْهاً وأَجْمَلاَ

فالشطر الأول من هذا البيت يضعنا أمام قوله عزّ وجل : ﴿إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [ص ، الآية 22] .

أمّا قوله تمثيلاً عن المنادى[1] :

كَيَا أَرْضُ يَا هَارُونُ يَا رَاكِباً وَيَا إِلَه الوَرَى يَا كَافِياً مَنْ تَوَكَّلاَ

إن القارئ للاسمين الأوّلين المناديين في البيت يستحضر قوله تعالى : ﴿وَقِيْلَ يَآ أَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود ، الآية 44] ، وقوله أيضاً : ﴿قَالَ **يَا** هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ ۖ﴾ [طه ، الآية 91] .

كما مثّل لـ(لا) النافية للجنس بقوله تعالى : ﴿لاَ رَيْبَ فِيْهِ﴾ [البقرة ، الآية01 ، و يونس ، الآية 37، و السجدة ، الآية 02] ،ويظهر ذلك من قوله[2] :

كَلاَ رَيْبَ فِيهِ وَارْفَعِ اِنْ يَّكُ فَاصِلاً وَكَرِرْ كَلاَ فِي الأَرْضِ ظَبْيٌ وَلاَ طَلاَ

و قوله أيضاً[3] :

تَقُولُ لاَ إِيْمَانَ لِلْمُرْتَابِ وَمِثْلُهُ لاَ رَيْبَ فِي الكِتَابِ

وفي حديثه عن فضله ﷺ نجده يُشير إلى الآيات التي تتحدث عنه ﷺ دون أن يذكرها ، ونجد ذلك في قوله[4] :

سَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَالصَّلاَةُ مَا أَعْرَبَتْ عَنْ فَضْلِهِ الآيَاتُ

فالآيات هنا يقصد بها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّن اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة 129]، وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ، الآية 04]، إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن صفات وفضل المصطفى ﷺ .

أما ما يتعلق بالشرحين (شرح روضة النّسرين ، نيل المراد من لامية ابن المجراد) فالمتأمل في الأول منهما – شرح روضة النّسرين– يُدرك أن الغرض منه –كما رأينا سالفاً– لم يخرج عن تبسيط الأبنية

---

[1] – م ن ، باب المنادى .

[2] – كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم، باب لا .

[3] – نظم مقدمة ابن لآجروم ، باب لا .

[4] – م ن ، البيت الأخير .

التمثيلية الواردة في منظومته على مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب(ت646ﻫ)، ولذلك لم يهتم الشيخ المزمّري بحشد الشواهد القرآنية لتثبيت آرائه وتوضيح معانيه ، إلاّ ما كان منه في شرحه للفظة (مثل) ، التي استشهد لها بآية قرآنيّة واحدة ، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة ، الآية 136] ، والشاهد في ذلك أن لفظ (مثل) جاء صلة موصول بمعنى (ما) . كما نراه يكتفي بالإشارة إلى الآية دون ذكرها ، وفَعَلَ ذلك في استشهاده لأهمية العسل ، حيث قال :"فالعسل الشافي من الأوجاع بنص الآية الكريم ، هو لعاب النحل"[1]، فنلاحظ هنا أنه أشار إلى الآية ولم يذكرها ، وهو يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اِتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ،ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل ، الآيتان 68- 69] .

وعلى النّقيض من ذلك ، فإنّ المتصفح لأوراق نيل المراد من لامية ابن المجراد ، يرى اعتماداً كبيراً واحتجاجاً غير قليل بالشواهد القرآنية ، فالعناية بالنص القرآني في رسالته هذه تُلفت النظر فقد بلغت قمتها، فعلى الرغم من صغر حجم مؤلفه هذا إلاّ أنه عجّه بالآيات القرآنية التي جعلها محور إعراب ، و ميدان تدريب للناشئة المتعلمين ، إذ احتوى على ما يربوا عن المائة(100) آية ، ومن أمثلة تلك الثروة الزاخرة نذكر :

استشهاده للاسم الواقع بعد حرف الشرط بقوله تعالى : ﴿وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ اَسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة ، الآية 06] ، وقوله أيضاً : ﴿إِذَا السَّمَآءُ اَنْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق ، الآية 01] ، ويرى في ذلك أن الجمل فعلية لا غير ، لأن صدر كل جملة منهما في الحقيقة هو فعل مُقدّر بعد(إن) ، و(إذا) يفسره الظاهر[2] .

الجملة الابتدائية : كان يرى أنها على قسمين[3] ؛ ابتداء حقيقياً ، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيْناً﴾ [الفتح ، الآية 01] ، وابتداء حكمياً ، ودلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَليكُمْ مِّنْهُ ذِكْراً ، اِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الاَرْضِ﴾ [الكهف ، الآيتان 82- 83] .

---

[1] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 89 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 06- 15 .

[3] – م ن ، ص 08 .

وفي حديثه عن جملة صلة الموصول الحرفي المسبوك بمصدر مجرور[1] ، استشهد بقوله عزّ وجل:﴿بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[ص ، الآية 25] .

كما استشهد بقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُم﴾ [الأنبياء ، الآية 03] ، في الجملة التفسيرية المجرّدة من حرفي التفسير (أي) ، و(أنْ) ، أمّا عن الجملة التفسيرية المقترنة بحرف التفسير (أنْ) فدلّ عليها بقوله جل شأنه : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنَ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص ، الآية 06] .

كان يرى أن جملة (خلقنا) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ﴾ [القمر ، الآية 49] ، لا محلّ لها من الإعراب لأنها تُفسر بالبناء للمفعول في الإعراب ،والتقدير :إنّا خلقنا كلّ شيء خلقناه، ونفس الشيء يحدث مع جملة(فصلناه) من قوله عزّ وجل:﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء ، الآية 12] ، والتقدير: وفصلنا كل شيء فصلناه[2].

وفي حديثه عن الجملة الاعتراضية بين جملتين ، استدل[3] بقوله تعالى : ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ [آل عمران ، الآية 36] ؛ فالجملتان معترضتان بين جملة معطوفة، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَى﴾، ومعطوفة عليها ،وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ، وهو الشيء الذي نلمسه عند ابن هشام(ت761هـ) الذي يرى أن قراءة "وضعت" بسكون (التاء)، يجعل ما بين الجملتين المصدرتين بإني من قول مريم عليها السلام اعتراض ؛ والمعنى : وليس الذكر الذي طَلَبَتْهُ كالأنثى الذي وُهِبَتْ لها[4].

وعن جواز الاعتراض بأكثر من جملتين أورد محمد المزمّري قوله تعالى : ﴿اَلَمْ تَرَ إِلَى الذِيْنَ أُوتُواْ نَصِيْباً مِّنَ الكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً ،مِّنَ الذِيْنَ هَادُواْ...﴾ [النساء ، الآية44- 45] حيث أن الجمل الثلاث (وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) ،و (وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً) ،و (وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً) ، هي اعتراضية بين البيان الذي هو (الذِيْنَ هَادُواْ) ، والمبين الذي هو الموصول في قوله (اَلَمْ تَرَ إِلَى الذِيْنَ أُوتُواْ نَصِيْباً) ، وأما

---

[1] – م ن ، ص 09 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص 10.

[3] – م ن ، ص 11 .

[4] – مغني اللبيب ، ج2 ، ص 835 .

جملتا (يَشْتَرُونَ) ، و (يُرِيدُونَ) فتفسّر بمقدر ، إذ المعنى : ألم تر إلى قصة الذين أوتوا نصيباً من الكتاب[1] .

كان يرى أن (لن) من دلالات الأزمنة وبخاصة الحالية منها ؛ أي الحاضر ، واستشهد[2] لذلك بقوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ [البقرة ، الآية 23] ، وجاء في التفسير أنها " لنفي التأبيد في المستقبل"[3] ؛ فلن هنا هي للمستقبل البعيد أو لنفي المستقبل نفياً مؤبداً ، أي (ولن تفعلوا ذلك أبداً) ، إذ جاءت الجملة المعترضة بعد أداة الشرط للتردد ، لتقطع التردد ، ولتُفهم السامع أن الاستقبال يحمل في طياته الاطِّراد والاستمرار[4] .

ونجده يُعوِّل في الغالب على ما ورد في القرآن الكريم أثناء حديثه عن جملة جواب الشرط الغير جازم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ ءامَنَّا﴾ [آل عمران ، الآية 119] ، وقوله أيضاً : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح ، الآية 07] ، وقوله جلّ شأنه : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام ، الآية 113] ، وقوله: ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود ، الآية 91] ، وجملة الجواب في كل ذلك لا محلّ لها من الإعراب[5].

– وفي حديثه عن الجملة الواقعة جواباً لشرط جازم ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية ، يستدل بقوله عزّ علاه : ﴿وَإِنْ عُدْتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء ، الآية 08] ، وقوله أيضاً : ﴿وَإِنْ يَّتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سِعَتِهِ ﴾ [النساء ، الآية 129] ، وقوله :﴿وَمَنْ يُّومِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن ، الآية 11] ، فلا محل هنا لجملة الجواب ،كما أنه لا محل لجملة الشرط في المثال الأول لأن المحكوم لموضعه بالجزم إنّما هو الفعل الماضي وحده لا الجملة بأسرها ، ولا فيما بعده لظهور الجزم في المضارع[6].

واستشهد بقوله تعالى: ﴿يَسِ~ وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المرْسَلِينَ﴾ [يَسِ~ ، الآية 01]، وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَ اَخَذَ اللهُ مَيْثَاقَ الذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران ، الآية 187] ، في حديثه عن الجملة الواقعة جواباً للقسم[7].

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 11 .

[2] – م ن ، ص 12 .

[3] – تفسير ابن كثير ، ص 63 .

[4] – الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري ، ج1 ، ص 84 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 13 .

[6] – م ن ،ص 13 .

[7] – م ن ، 13 .

كما استدلّ عن الجملة الحالية الواقعة في محل نصبٍ ، بقوله جلّ وعلا : ﴿وَجَآءُواْ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[يوسف ، الآية 16] ، وقوله جلّ شأنه : ﴿لاَتَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[النساء، الآية 43] ، فالجملتان (يبكون) ، و(سكارى) في محل نصب حال[1] .

وفي حديثه عن جملة المفعول به المحكية بالقول ، يُدرج قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ [مريم، الآية 29]، فما بعد القول هو في محل نصب مفعول به[2] .

ونجده يستدل عن الجملة الخبرية[3] بقوله تعالى : ﴿وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ﴾[الأحزاب ، الآية 04] ، في أن جملة (يقول الحق) هي خبر للمبتدأ (الله) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ [التوبة ، الآيتان 04 - 07] ، على أن جملة (يحب المتقين) هي خبر إنّ المشبهة بالفعل .

وفي حديثه عن كاد[4] أنها ترد بمعنى (أراد) استدل بقوله تعالى : ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف ، الآية 76] ، وقوله أيضاً : ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه ، الآية 14] ، كما يرى أن (أراد) تأتي بمعنى (يكاد) واستشهد لذلك بقوله عزّ وجل : ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ﴾ [الكهف ، الآية 76] .

ويستشهد في كلامه عن الجملة المضافة إلى الظرف[5] بقوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[6] [الأنعام ، الآية 121] ، وقوله : ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾[7] [مريم ، الآية 32] ،وعن الجملة المضافة إلى اسم الزمان يستدل بقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُواْ إِذَ اَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾[8] [الأنفال ، الآية 26]، وقوله : ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً﴾[9] [الأعراف ، الآية 85]، ويرى

---

[1] – م ن ، ص 14 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 14 .

[3] – م ن ، ص 14 .

[4] – م ن ، ص 15 .

[5] – م ن، ص 15 .

[6] – جملة (ينفع الصادقين) في محل جر مضافة إلى الظرف (يوم).

[7] – جملتا (ولدت) ، و(أموت) في محل جر مضافتين إلى الظرف (يوم) .

[8] – جملة (أنتم قليل) في محل جر مضافة إلى اسم الزمان (إذ) .

[9] – جملة (كنتم قليلاً) في محل جر مضافة إلى اسم الزمان(إذ)

سيبويه(ت180هـ) في هذا الشأن أن اسم الزمان المبهم إن كان مستقبلاً فهو كإذا في اختصاصه بالجملة الفعلية ، وإن كان ماضياً فهو كإذ في الإضافة إلى الجملتين[1] .

وفي حديثه عن الجملة الواقعة جواباً لشرط جازم[2] مقترن بإذا الفجائية استشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيهِمُ ~ إِذَا هُمْ يَقْنِطُونَ﴾[3] [الروم ، الآية 35]، وعن المقترنة بالفاء استدلّ بقوله جل شأنه :﴿وَإِنْ يَّمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] [الأنعام ، الآية 18].

ويستشهد عن الجملة الواقعة صفة بعد النكرة بقوله عزّ وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اِسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾[5] [الكهف ، الآية 76] ، ويرى ابن هشام(ت761هـ) ، أنه لا بدّ من إعادة ذكر (الأهل) ، لأنه لو قيل استطعماهم – مع أن المراد القرية– لزم خلو الصفة من ضمير الموصوف ، ولو قيل استطعماها كان مُجازاً[6]، وفي هذا الشأن أيضاً يستشهد المزمّري بقوله تعالى : ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء ، الآية 50]، وقوله أيضاً : ﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [الجمعة ، الآية 05]، ويرى أن الجملتين (أنزلناه)، و (يحمل أسفاراً) بالإضافة إلى كونهما صفة يجوز إعرابهما حالاً لقربهما من المعرفة[7] .

ونجده يورد قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الذِي فِي السَّمَآءِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف ، الآية 84]، استشهاداً على التعليق بما أُوِّل بمشبه الفعل ؛ أي وهو الذي هو إله في السماء ، فـ (في) في الآية الكريم متعلقة بإله ، وهو اسم غير صفة ، بدلالة أنه يوصف ، فتقول "إله واحد" ،ولا يُوصَفُ به ؛ أي لايقال "شيء إله"، وصحَّ التعليق في ذلك لتأوله بمعبود[8] .

---

[1] – مغني اللبيب ، ج2 ، ص 884 -885 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 16 .

[3] – جملة (هم يقنطون) في محل جزم جواب شرط .

[4] – جملة (هو على كل شيء قدير) في محل جزم جواب شرط .

[5] – جملة (استطعما أهلها) هي جملة الصفة الواقعة بعد النكرة(القرية) .

[6] – مغني اللبيب ، ج2 ، ص 902 .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 18 .

[8] – ينظر ، م ن ، ص 19 ، ومغني اللبيب ، ج2 ، ص 912 .

كما استشهد في كلامه عن حروف الجر الزائدة التي لا تعمل[1] ، ك (الباء) من قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾ [النساء ، الآيتان 78- 165 ، والفتح ، الآية 28] ، وقوله أيضاً : ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ﴾ [البقرة ، الآيات 73- 84- 139- 143- 148 ، وآل عمرن ، الآية 99]، و (من) من قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنِ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ﴾ [ص ، الآية 64]، وقوله : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِن تَفَوُتٍ﴾ [الملك ، الآية 03].

ونجده كذلك يُدرج قوله تعالى : ﴿أَفِي اِللهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم ، الآية 13]، استدلالاً عن الموضع الذي يقع فيه المجرور رافعاً للاسم الظاهر لنيابته عن الفعل المحذوف[2] ؛ أي أن (شك) مرفوع بالمجرور (الله) لنيابته عن الفعل (استقر) ، أو (أثبت)[3].

وعن شبة الجملة من الجار والمجرور[4] التي تقع في موضع صلة الموصول ، يستشهد بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يَّعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[5] [البقرة ، الآية 235] ، وقوله أيضاً: ﴿فَسُبْحَانَ الذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[6] [يس~ ، الآية 82] ، وعن التي تقع في موضع الحال يستدل بقوله عز وجل : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا اَلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[7] [المائدة ، الآية 46]، وعن الواقعة في موضع الصفة يُدرج قوله سبحانه : ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾[8] [البقرة ، الآية 264].

وكان يرى بأن الظرف يُساوي المجرور[9] ، فيقع هو الآخر حالاً ،واستشهد لذلك بقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾[10] [النجم ، الآيتان 13- 14]، ويقع صفة

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص 24 .

[3] – ويرى ابن هشام ، وتبعه في ذلك الدسوقي : أن الفعل المحذوف والمجرور ، كلاهما يقعان رافعين للاسم الظاهر ، ومعنى ذلك أن نقول : استقر في الله شك ، أو أثبت في الله شك ، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ، دار السلام ، القاهرة ، ط2، 2005 ، ج2 ، ص 936 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 24 .

[5] – شبه الجملة (بيده عقدة النكاح) صلة موصول لا محل لها من الإعراب .

[6] – شبه الجملة (بيديه ملكوت كل شيء) صلة موصول لا محل لها من الإعراب .

[7] – شبه الجملة (فيه هدى ونور) في محل نصب حال .

[8] – شبه الجملة (فيه نار) في محل رفع صفة لـ (إعصار) .

[9] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 26 .

[10] – شبه الجملة (عند سدرة المنتهى) في محل نصب حال .

ويستدل بقوله عزَّ وجل : ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1] [ق~ ، الآية 21]، ويقع خبراً ، وجاء وجاء بدليل ذلك من قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2] [آل عمران ، الآية 14]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ اَللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[3] [لقمان ، الآية 33] ، ويقع كذلك؛ أي الظرف، صلة للموصول ، و يدرج شاهد ذلك من قوله تعالى : ﴿الَذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ اَلْكِتَابِ﴾[4] [النمل، الآية 41].

كانت هذه هي بعض الشواهد التي نهلها الشيخ ابن أُبّ(ت1160ﻫ) من بحر القرآن الكريم، الذي جعله مصدراً لبناء القواعد النحوية ، وتصحيح الأساليب ، بحيث أنه لا يكاد يوجد تعارض بين قواعده والشواهد التي استدل بها في ذلك ، وهو ما يبرر لنا ثقافته الدينية والإسلاميَّة في غيرته واعتنائه بالنَّص القرآني وصونه ، "ولم تعتن أمّة بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم"[5].

02- الحديث النبوي الشريف :

تعريف الحديث :

أ/ لغة : هو نقيض القديم ، أي الجديد من الأشياء ، وجمع حديث أحاديث ،وهو شاذ على غير القياس[6] ، وورد في كتاب سيبويه في (باب ما جاء جمعه على غير ما يكون في مثله ولم يكسر هو على ذلك البناء) : "...ومثل ذلك حديث وأحاديث ، وعروض وأعاريض ، وقطيع وأقاطيع"[7]، ونقول رجل حَدِثٌ ، وحَدُثٌ ، وحِدْثٌ ، وحَدِّيثٌ، ومُحَدِّثٌ،وكل ذلك بمعنى واحد ،وهو كثير الحديث حسن السياق ، والحدث من الأحداث ، وأحداث الشيء استحدثه ، واستحدثوا منه خبراً استفادوا منه خبراً حديثاً جديداً "[8].

ب/ الاصطلاح العام : إن الحديث النبوي هو الكلام والأقوال الصادرة عن الرسولﷺ ، بما في ذلك الرَّسائل التي كان يكتبها إلى الملوك في زمانه ، بالإضافة إلى ما قاله صحابته – عليهم رضوان

---

[1] – شبه الجملة (معها سائق وشهيد) في محل جر صفة لـ (نفس) .

[2] – شبه الجملة (عند حسن المآب) في محل رفع خبر للمبتدأ (الله) .

[3] – شبه الجملة (عند علم الساعة) في محل رفع خبر إنَّ .

[4] – شبه الجملة (عنده علم الكتاب) صلة موصول لا محل لها من الإعراب .

[5] – في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، لبنان ، دط ،دت ، ص 28 .

[6] – مختار الصحاح ، مادة (حدث) ، ص 96 .

[7] – الكتاب ، ج4 ، ص 91 .

[8] – يُنظر مادة (حدث): أساس البلاغة ، ص 115 ، ومعجم المقاييس في اللغة ، ص 252 ، والقاموس المحيط ،ص 194.

الله – في وصفه ﷺ ، وقد يمتد الحديث أحياناً إلى أقوال التابعين كالزهري ، وهشام بن عروة ، وعمر بن عبد العزيز ، وذلك لثقتهم بصحة صدور هذه الأقوال عن الصحابة[1] .

موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف :

ومما لا ريب فيه بين النُّحاة أن النبي ﷺ هو أفصح من نطق بالضاد ، لكنهم – وبخاصة المتقدمين– ورغم كل هذه الفصاحة غضوا الطرف عن الاحتجاج بكلامه ﷺ في عملية التقعيد ، بل إنهم سكتوا عن ذلك ولفترة من الزمن ، ولم يشُذ منهم أحد ، كما أنه لم يصدر عن أحدٍ منهم نصٌ يفيد منع الاستشهاد بالحديث ، فضلاً عن أنهم لم يختلفوا في هذه القضية كما فعلوا في اختلافهم في الاحتجاج ببعض القراءات وردِّها ، بل إنه لم يَرُدّوا شيئاً من الحديث النبوي كما ردُّوا بعض القراءات[2] .

إنّ قضية الاستشهاد بالحديث مسألة مُسلَّم بها لدى النحاة واللّغويين المتقدمين ، ومن أدلة ذلك الخليل بن أحمد (ت175ﻫ) الذي استشهد بالحديث في اللغة[3]، "... وإن كانت شواهد النحاة من الحديث ليست في غزارة شواهد اللّغويين وكثرتها، فهي قليلة بالنسبة إليها وبخاصة عند النّحاة القدماء"[4] ، أضِف إلى ذلك تلميذه سيبويه (ت180ﻫ) الذي استشهد في كتابه بأحاديث نبويَّه؛ لكنه لم يُشر إليها على أنها من كلام المصطفى ﷺ ، بل أوردها على أنها من كلام العرب ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وأما قولهم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه "[5]، وقوله أيضاً :"...كما قال:إن الله ينهاكم عن قِيلَ وقَالَ"[6] .

وليس الأمر كذلك ، بل إن من النّحاة من صرّح بذلك كالفراء(ت207ﻫ) الذي استدل بقوله

---

[1] – في أصول النحو ، ص 46 .

[2] – مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،حسين هنداوي ،دار القلم ،دمشق ،دط ،دت ص 158 .

[3] – استشهد في الجزء الأول من كتابه العين بأربعة وعشرين حديثاً ، الاحتجاج اللغوي ، ص 71 .

[4] – الحديث النبوي في النحو العربي ،(دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربي ودراسة نحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك) ،محمود فجال ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط2 ، 1997ˈ ، ص 101 .

[5] – الكتاب ، ج2 ، ص 414 ، والحديث ورد في صحيح البخاري ، ونصه : " ما من مولد إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يمجسانه " ، صحيح البخاري ،كتاب الجنائز ، ج1 ، ص 97 .

[6] – الكتاب ، ج3 ، ص 297 ، والحديث أخرجه البخاري ، ونصه : " أنه كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" ، صحيح البخاري ،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ج8 ، ص 143 .

ﷺ :"لتأخذوا مصافكم"[1] ، على جواز دخول لام الأمر على الفعل المبدوء بتاء الخطاب[2] ، والمبرد(ت275ﻫ) الذي استشهد بقوله ﷺ :" ليس في الخضروات صدقة"[3] ، على جواز جمع (أفعل) جمع مؤنث سالم إذا جعلته اسماً ، إذ يقول :"وجاء عن النبي ﷺ ليس في الخضروات صدقة"[4]، وابن جني (ت392ﻫ) الذي يستشهد في كلامه عن جواز حذف الصفة بقوله :" ومن ذلك ما يروى في الحديث : "لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد" ، أي لا صلاة كاملة أو فاضلة، ونحو كذلك"[5]

ولا يَظُنّنّ ظانٌ إنّ النحاة المتقدمين احتجوا بالحديث في مصنفاتهم منفرداً عن غيره من القرآن الكريم وكلام العرب كما هو الحال عند علماء الشريعة ، بل كانوا ينظرون إليه على أنه مُندرجاً في كلام العرب ؛ لأن الرسول ﷺ عربي ، بل هو أفصح العرب قاطبة ، ومن البديهي أن يستشهدوا بأقواله عليه الصلاة والسلام[6] .

وإذا مضينا إلى الحديث عن موقف النّحاة المتأخرين – القرن السابع الهجري– من هذه المسألة فإنّنا نحظى بجيل أثار صيت هذه القضية ، وكسَّر حدود ذلك السكوت الذي انتهجه القدماء في الاستشهاد بالحديث النبوي، لكنهم – أي النحاة المتأخرين– انقسموا في ذلك بين مانع ومُجوّز ، ومتوسط بينهما .

01 / مذهب المانعين : إن المانعين للاستشهاد بكلام المصطفىﷺهم أغلب النُّحاة ، ولكن المسألة لم تُنبَّه إلاّ حين أجاز ابن مالك(ت672ﻫ) الاستشهاد بالحديث مطلقاً ، وتبعه ابن هشام (ت 761ﻫ) ؛ الذي حوى كتابه المغني على قدرٍ مما صحّ من الأحاديث النبوية[7] ، فانبرى من يرى منع الاستشهاد بالحديث إلى الاعتراض على ذلك المنهج ، وأبرز من أبان عن ذلك نجد ابن الضائع[8]

---

[1] – صحيح مسلم ،تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ، دط ، دت، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، ج4 ، ص 79 .

[2] – معاني القرآن ، ج1 ، ص 316 .

[3] – سنن الترمذي ، تح : أحمد محمد شاكر ،دار المعارف،القاهرة ، دط ، 1354ﻫ ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في زكاة الخضروات ،ج2 ،ص57 .

[4] – المقتضب ، ج2 ، ص 499 .

[5] – الخصائص ، ج2 ، ص 252 .

[6] – مناهج الصرفيين ومذاهبهم ، ص 157 .

[7] – ابن هشام وأثره في النحو ، يوسف عبد الرحمان الضبع ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1998ﻡ ، ص 102 .

الضائع[1] (ت680هـ) ، وتلميذه أبا حيان[2](ت 745هـ) يردان على ابن مالك مسلكه[3] ، وجاء هذا الرّد على لسان أبي حيان قائلاً :" قد أكثر هذا المصنف- يقصد ابن مالك- من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره"[4] ، ويقول في موضع آخر :"إنّ علماء العربية الذين استنوا قوانينها وقواعدها وقواعدها لم يبنوا أحكامهم على ما ورد في الحديث ... وجاء هذا الرجل – يعني ابن مالك- متأخراً في أواخر قرن سبعمائة ، فزعم أنه يستدرك على المتقدمين ما أغفلوه وينبه الناس على ما أهملوه ، ولله دُرّ القائل : لن يأتي آخر هذه الأمة بأفضل مما أتى به أولها"[5].

وسندهم في هذا المنع أمران هما[6] :

أحدهما: أن الرّواة جوّزوا النّقل بالمعنى ؛ وهو الأمر الذي سبق إليه ابن الضائع بقوله :" تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبيﷺ لأنه أفصح العرب"[7].

---

[1] – هو أبو الحسن علي بن محمد الأشبيلي الكتامي ، لازم الشلوبين وأخذ عنه كتاب سيبويه ، خالف سنة ابن خروف في التعويل على الحديث ، ومن آثاره كتاب شرح الجمل الكبيرة للزجاجي ، توفي سنة 680هـ ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 156 .

[2] – هو محمد أثير الدين بن يوسف الغرناطي ، ولد بمطخارس (من ضواحي غرناطة) ، وتلقى عن كثيرين منهم ابن الضائع ، ومن مؤلفاته النحوية التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، وكان على مذهب أستاذه في منع الاستشهاد بالحديث ، توفي بالقاهرة سنة 745هـ ، م ن ، ص 157- 158 .

[3] – أصول النحو العربي ، محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، دط ، 2002م ، ص 49 .

[4] – شرح التسهيل لأبي حيان ، ج6 ، ص 898 ، نقلاً عن الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 107 .

[5] – تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد ، ناظر الجيش ، ج3 ، ص 71 ، نقلاً عن أصول التفكير النحوي ، ص 130 .

[6] – يُنظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، البغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1998م ،ج1 ، ص09 ،و الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 107- 108 ، و دراسات في العربية وتاريخها ، محمد الخضر حسين ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ، ط2 ، 1960م ، ص 169 ، و أصول النحو العربي،نحلة ، ص 50 ، و أصول التفكير النحوي ، ص 130- 131 ،و في أصول النحو ،الأفغاني ،ص47- 48 ،و الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، ص 110،و أصول النحو في فكر الأنبا ري ، ص 237 ، و الحديث النبوي قي النحو العربي ، ص 08 ، وأبحاث في اللغة والنحو والقراءات ، محمود حسني مغالسة ، دار البشير ، عمان ، ط1 ، 2002م ، ص 14 ، و ابن هشام وأصول النحو العربي ، عوني أحمد محمد ، اللغة العربية ، مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، العدد17 ، 2007م ، ص 158 159 .

[7] – شرح الجمل ، ابن الضائع ، ج1 ، ص 1121 ، نقلاً عن الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 109- 110 .

ويدعِّم أبو حيان رأي أستاذه بقوله :"إنّما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية "[1].

وقد بيَّن الدماميني[2] (ت 827ﻫ) حجتهم في ذلك فقال : " فقد منع ذلك بعضهم مستدلاً بأن الحديث يجوز نقله بالمعنى فلا يجزم بأن هذا لفظه ﷺ "[3].

ودليلهم في ذلك تلك القصة التي جرت في زمانه ﷺ بنقل تلك الألفاظ جميعها ، نحو ما روي من قوله ﷺ:"زوجتكها بما معك من القرآن"[4] ، "ملكتكها بما معك من القرآن"[5] ، "خذها بما معك معك من القرآن" ، وشبه ذلك من الألفاظ الواردة في هذه القصة ، فمن البديهي أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل يُحتمل أنه قال ألفاظاً مُرادفة لهذه الألفاظ ، فجاءت الرّواة بهذا المرادف ولم تأت بلفظه ، إذا المعنى عندهم هو المطلوب[6].

وبعد كل هذا ، يعنينا أن نذكر أن قسماً غير قليل من الأحاديث دوّنه رجال يحتج بأقوالهم في العربية ، وأن كثيراً من رواة الحديث كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، وهو ما يُساعد على روايتها بألفاظها ، فبإضافة هذا وذاك إلى ما وقع من التشديد في رواية الحديث بالمعنى ، وما عُرف من احتياط أئمة الحديث واستقرائهم في الرواية ، فيحصل الشك الكافي لرجحان أن تكون الأحاديث المدونة في العهد الأوّل مروية بألفاظها ممّن يحتج بكلامه[7].

الأمر الثاني : وفيه أشار أبو حيان إلى أنه وقع اللحن في كثير ممّا روي من الأحاديث ، وذلك لأن الرّواة كانوا من الأعاجم لا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، ما أدى إلى وقوع اللحن في كلامهم

---

[1] يُنظر الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 107 ، و في أصول النحو ، الأفغاني ، ص 47 .

[2] – هو بدر الدين الدماميني ، أحد النحويين المشهورين ، له شرح عل ألفية ابن مالك ، وحاشيتين (الهندية ، واليمنية) على مغني اللبيب ، له آراء صائبة في الاستشهاد بالحديث على إثبات القاعدة النحوية توفي سنة 827ﻫ ، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القاعدة النحوية ، مكاتبة بين الدماميني و البلقيني ، تح : رياض بن حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1998ﻡ ، ص 04 .

[3] – الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القاعدة النحوية ، ص 06 .

[4] – جاء في صحيح البخاري :" قد زوجناكها بما معك من القرآن" ، كتاب الوكالة ، ج3 ، 63 .

[5] – التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ، ج2 ، ص 120 ، نقلاً عن : في أصول النحو ، الأفغاني ، ص 48 .

[6] – يُنظر : الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 107- 108 ، و أصول النحو العربي ، نحلة ، ص 50 ، و في أصول النحو، الأفغاني ، ص 48 ، و أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 237 .

[7] – دراسات في العربية وتاريخها ،ص لا175 .

، وممّا لا ريب فيه أن المصطفى ﷺ كان أفصح الناس قاطبة ، مخاطباً كل قوم بلغتهم على طريق الإعجاز وتعليم المولى عزّ وجلّ ذلك له من غير مرشدٍ ولا معلِّم[1] .

وجاء السيوطي(ت911هـ) ، ونقل هذه الآراء في اقتراحه، بل إنه أعطى دليلاً لصحة ما ذهب إليه أصحاب هذا المذهب ؛ إذ يرى أن ابن مالك استشهد على لغة "أكلوني البراغيث"[2] بقوله ﷺ :" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"[3] ، وأكثر من هذا الاستشهاد إلى الحد الذي صار فيه يُسميها بلغة يتعاقبون ، وقد استدل[4] السّهيلي[5](ت583هـ) إلى جانب ابن مالك بهذا بهذا الحديث على هذه اللغة[6] .

ومن المفيد ها هنا ، أن نشير إلى أن هذا الأمر الثاني يُجابُ عنه بأن كثيراً ممّا جاء لحناً قد ظهر له وجه من الصحة ، وقد ألّف في هذا الباب ابن مالك كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) ، وذكر للأحاديث التي يشكل إعرابها وجوهاً يستبين بها أنها من قبيل العربي الصحيح ، وكثيرة هي الوجوه التي ينكرها اللغوي ويعُدُّها لحناً فيأتي لغوياً آخر فيذكر لها وجهاً من الصحة ، كما أن وجود ألفاظ غير موافقة للقياس المتفق عليه لا يقتضي ترك الاستشهاد بالحديث مطلقاً ، وإذا وقع في رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف فإنّ الأشعار هي الأخرى يقع فيها الغلط والتصحيف ، وهي حجة من غير خلاف بين النحاة[7] .

02 / مذهب المجيزين : ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى صحة الاستشهاد بكلام ﷺ في النحو ، وأغلب هؤلاء هم من اللغويين ،وأصحاب المعاجم ، وإنّ نظرة واحدة إلى تلك المعاجم ك : التهذيب للأزهري ، والصحاح للجوهري ، و المخصص لابن سيده ، ومقاييس اللغة لابن فارس ،

---

[1] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 108

[2] – شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، ص 247 .

[3] – صحيح البخاري ،كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ج1 ، ص 139 .

[4] – نتائج الفكر في النحو ، السهيلي ، تح : محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض ، الرياض ، ط2 ، 1984م ، ص 166 .

[5] – هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله ، ولد بمالقة وسمع من ابن الطراوة وغيره ، له مصنفات في النحو منها نتائج الفكر في النحو ، والأمالي ، له مسائل مع ابن خروف ، توفي بمراكش سنة 583هـ ،يُنظر ،كتاب الوفيات ،ص 292 ، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 138 .

[6] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 111 .

[7] – دراسات في العربية وتاريخها ، ص 175- 176 .

والفائق للزَّمخشري ،كافية لدحض ما أدعى ابن الضائع في شرح الجمل ،وأبو حيان في شرح التسهيل ، والسَّيوطي في الاقتراح[1] .

أمّا النّحاة، فقد قيل إنّ أوَّل من أقدم منهم على الاستشهاد بالحديث الزَّمخشري(ت538ﻫ)؛ الذي أكثر من الاحتجاج به ، بل تعدى ذلك إلى الاحتجاج بكلام أهل بيتهﷺ[2]، وكذلك السهيلي[3](ت583ﻫ)،وابن الطراوة[4](ت528ﻫ)، وابن خروف[5](609ﻫ) والعُكبري (ت616ﻫ) ؛الذي يعد كتابه إعراب الحديث النبوي أول مصنف يعالج الحديث معالجة نحوية[6] ، والبغدادي[7](1093ﻫ) ،

وليس مستغربا أن يكون على رأس هؤلاء ابن مالك[8](ت672ﻫ) وابن هشام[1](ت761ﻫ) ،وسار على غرارهم من المحدثين الشيخ محمود فجال ،ويظهر ذلك من قوله: "وأذهب مذهب من قال بجواز الاستشهاد بالحديث مطلقاً ، سواء أكان مروياً باللفظ أم المعنى "[2].

---

[1] – يُنظر : دراسات في العربية وتاريخها ، ص 168 ، وفي أصول النحو ، ص 50 ، و أصول التفكير النحوي ،ص 133 .

[2] – يُنظر المفصل في صنعة الإعراب ، ص 32- 50- 241 ، و أساس البلاغة ، ص 19- 99- 111- 444 .

[3] – يُنظر نتائج الفكر في النحو ، فهرس الأحاديث ،ص 455- 456 ، و أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه ، تح : محمد إبراهيم البنا ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دط ، 2002ﻡ ، فهرس الأحاديث ، ص 143 وما بعدها .

[4] – هو أبو الحسن سليمان بن محمد ، ولد بمالقة ورحل إلى قرطبة فسمع من الأعلم كتاب سيبويه ، وكان جريئاً في آرائه ، لهذا انفرد بمسائل جمة خالف فيها النحاة ، ومن مصنفاته المقدمات على كتاب سيبويه ، والترشيح ، توفي سنة 528ﻫ ،يُنظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 136 ، و أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو ، دراسة إبراهيم البنا ، دار بوسلامة ، تونس ، ط1 ، 1980ﻡ ، 09 وما بعدها .

[5] – هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضري الأشبيلي ، ولد في أشبيلية ، وبرز في العربية ، ومن مصنفاته النحوية نجد شرح كتاب سيبويه ، وشرح جمل الزجاجي ، توفي بأشبيلية سنة 610ﻫ ، يُنظر : كتاب الوفيات ، ص 304 ، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 138 .

[6] – إعراب الحديث النبوي ، العكبري ، تح : عبد الإله نبهان ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1989ﻡ ، ص06 .

[7] – هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي ، ولد في مدينة بغداد سنة 1030ﻫ ، غادر العراق للخلافات السياسية التي كانت فيها حينذاك إلى دمشق في نحو سنة 1048ﻫ ، وجلس في حلقة الإمام محمد بن يحي الفرضي ، فدرس عليه دراسة واسعة في علوم العربية ، حفظ في شبابه مقامات الحريري وطائفة من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم ، ومن أشهر مؤلفاته الخزانة المعروفة بخزانة الأدب ، توفي سنة 1093ﻫ ، خزانة الأدب، ج1 ، ص 03 وما بعدها .

[8] – يُنظر، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، فهرس الأحاديث ، ص 301 وما بعدها ، فتاوى في العربية ، ابن مالك ، تح : أحمد عبد الله المغربي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، الإمارات ، ط1 ، 2004ﻡ ، فهرس الأحاديث ، ص 80 ، وأصول النحو عند ابن مالك ، ص 84 وما بعدها .

وكان يستند هؤلاء إلى الإجماع على أن النبي ﷺ أفصح العرب لهجة ، وأن الأحاديث المروية أصّح سنداً ممّا ينقل من كلام العرب ، ولا عِبرة بأنّ أغلب الرّواة أعاجم ،لأنّه لا يمكن أن يُقال ذلك في رواية الشعر ، وعلى الرّغم من ذلك يحتج بما فيها بلا خلاف ،كما أنه قد ظهر أن كثيراً ممّا يُنسب إلى الغلط والتصحيف في حديثه ﷺ قد ظهر له وجه من الصحة ، وإنّما يسقط الحديث إذا أثبت المنكر أن الحديث المستدل به ليس من لفظه ﷺ ، وأن لفظه كان كذا والنّاقل غيَّره إلى كذا [3] .

أما الخلاف في جواز النقل بالمعنى ، إنّما هو كان فيما لم يُدوّن ،وإما ما دُوِّن في بطون الكُتب فلا يجُوز تبديل ألفاظه من غير خلاف[4] ، وفي هذا الشأن يقول ابن الصلاح في مقدمته :" إنّ هذا الخلاف لا نراه جارياً ولا أجراه النّاس – فيما نعلم– فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يُغيِّر لفظ شيء من كتاب مصنَّف ويُثبت فيه لفظاً آخر"[5].

وهكذا ينتهي أصحاب هذا الاتجاه الذين تزعمهم ابن مالك ، وابن هشام إلى أن الأحاديث حُجة يستوي في ذلك أن تُروى بالمعنى أو باللفظ ، لأن الرواية بالمعنى رواها عربٌ خُلَّص قبل تفشي الخطأ واللَّحن في اللُّغة[6] .

03 / مذهب المتوسطين بين المنع و الإيجاز : كان على رأس هذه الطائفة الإمام أبو الحسن الشاطبي[7](ت790ﻫ) ؛ الذي قسَّم الأحاديث إلى قسمين[8] :

1– قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه ، وهذا لم يقع به استشهاد أهل اللّسان .

---

[1] – يُنظر، مغني اللبيب ، ج1 ص 213– 450– 451 ، ج2 ، ص 742– 1103 ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، فهرس الأحاديث ، ص 337 ، و شرح شذور الذهب ، ص213– 245– 258– 393 – 451 وغيرها .

[2] – الحديث النبوي في النحو العربي ،ص 314 .

[3] – الاستدلال بالأحاديث النبوية على إثبات القواعد النحوية ، ص 05 ، وأصول النحو في فكر الأنباري ، ص 239 .

[4] – يُنظر، خزانة الأدب ، ج1 ، ص 15 ، و دراسات في العربية وتاريخها ، ص 171 .

[5] – مقدمة ابن الصلاح ، ص 330 ، 333 ، نقلاً عن خزانة الأدب ،ج1، ص 15 .

[6] – أصول التفكير النحوي ، ص 135 .

[7] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، نبغ في فنون مختلفة ، ومن مؤلفاته النحوية شرح على ألفية ابن مالك ، وله آراء صائبة في الاستشهاد بالحديث ، توفي بالأندلس سنة 790ﻫ ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 158 .

[8] – يُنظر، خزانة الأدب ، ج1 ، ص 12– 13 ، و الحديث النبوي في النحو العربي ، ص 09 ، وأصول التفكير النحوي ، ص 136 ، وأصول النحو العربي ، نحلة ،ص 53 ، الاستدلال بالأحاديث على إثبات القواعد النّحوية ، ص 10 .

2- قسم عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالأحاديث التي قصد بها فصاحته ﷺ ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حجر والأمثال النبوية ، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية .

ثم نعى – أي الشاطبي – على ابن مالك عدم هذا التفصيل فقال :" وابن مالك لم يُفصِّل هذا التفصيل الضروري الذي لا بدَّ منه وبنى الكلام على الحديث مطلقاً ... والحقّ أن ابن مالك غير مُصيب في هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الأحاديث بالمعنى ، وهو ضعيف"[1] .

وعلى النّقيض من ذلك نراه يقول :" لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم وأشعارهم التي فيها الفُحش والخنا ، ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها ..."[2].

فمن خلال هذين القولين يتضّح لنا أن الشاطبي يُفرِّق بين ما اعتنى الرّواة بألفاظه وما رُوي بمعناه ، فهو لا يوافق على أن تُطرح الأحاديث ألبتة ،كما لا يقبلها جملة ، بل يُفرِّق بينها .

وقد استثمر رأي الشاطبي هذا الشيخ محمد الخضر حسين ،بعد جولات له مع المجيزين والمانعين وارتأى أن يُستشهد – بلا خلاف– بستة أنواع من الأحاديث النبوية وهي[3] :

أحدها : ما يُروى من الأحاديث القصار ، بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام .

ثانيها: ما يُروى من الأقوال التي كان يتعبّد بها ، أو يأمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت والتاحيات .

ثالثها : ما يُروى شاهداً على أنه كان يُخاطب كل قوم من العرب بلغتهم ، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر .

رابعها : الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ، فإنّ اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرّواة لم يتصرّفوا في الألفاظ .

خامسها: الأحاديث التي دوّنها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس ، والشافعي .

سادسها: ما عُرِف من حال رواته أنهم لا يُجيزون رواية الحديث بالمعنى ، كابن سيرين وعلي بن المدني .

---

[1] – خزانة الأدب ،ج1 ، ص 13 .

[2] – م ن ،ج1، ص 09 .

[3] – درسات في العربية وتاريخها ، ص 177 .

ويضيف الشيخ محمد الخضر قائلاً:" ومن الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به ، وهي الأحاديث التي لم تُدوَّن في الصدر الأول ، وإنّما تروى في كتب بعض المتأخرين"[1].

ثُمّ قرّر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد مناقشته للمسألة واستفادته ممّا قدّمه الشيخ محمد الخضر حسين قراراً ، مفاده جواز الاحتجاج ببعض أنواع الحديث وحدّدها[2].

موقف محمد المزمّري من الاستشهاد بالحديث الشريف :

لقد سلك الشيخ المزمّري في مصنفاته مسلك أكثر النُّحاة في قضية الاستشهاد بالحديث الشريف ، وهو الإقلال من الاستشهاد به ، فبقراءة هذه الآثار تبيَّن لنا أنه لم يستشهد بالحديث إلاّ في مُصنَّف واحد من مصنفاته ، وبحديثين اثنين فقط في استنباط القاعدة النحوية .

كما استشهد في المصنّف ذاتِه بعدد قليل من الأحاديث النبوية؛ التي وردت في ثنايا كلامه ، لكنه لا يقصد من ورائها الاستدلال على القاعدة النحوية ، وإنّما كان يُوردها ليُدعم بها ما يذكره قصد تعميم الفائدة[3] ، ومن ذلك الحديث الذي استدلّ به على الاستعانة ،وكيف أنها لا تكون إلاَّ بالله ، بقوله :" وفي الحديث من استعان بمخلوقٍ كُتب الفقر بين عينيه"[4].

أمّا الحديثان اللّذان استشهد بهما من الناحية النحوية فهما:

أحدهما : الحديث الذي أدرجه في كلامه دون أن يُشير إلى أنّه قول المصطفىﷺ ، وهو المنهج الذي سار على شاكلته القدماء ، وورد ذلك في كلامه على حكم الجملة التابعة للجملة التي لا محل لها من الإعراب ،حيث يقول :" ومنه ليس منَّا من وسَّع الله عليه ثمَّ فَتَرَ على عياله"[5]،والشاهد في ذلك أن جملة (فَتر على عياله) معطوفة بـ (ثمّ) على جملة لا محلّ لها من الإعراب ، ومن المعلوم إن العطف يتبع المعطوف عليه ؛ وعليه يكون حكم جملة (فَتر على عياله) كذلك لا محل لها من الإعراب .

---

[1] – دراسات في العربية وتاريخها، ص 178 .

[2] – يُنظر هذا التحديد في : أصول النحو العربي ، نحلة ، ص 56- 57 ، و الاستدلال بالأحاديث على إثبات القواعد النّحوية ، ص 11- 12 ، و الاحتجاج اللغوي ، ص 75- 76 .

[3] – يُنظر هذه الأحاديث في : نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 04- 26- 27 .

[4] – م ن ، ص 04 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 14 .

الثاني : الحديث الذي صرّح به ، وجاء ذلك في حديثه عن الجملة الخبرية الواقعة خبراً لكاد ، ويظهر ذلك من قوله :" كان ﷺ يقول : كاد الفقر يكون كفراً "[1]،حيث أن جملة (يكون كفراً) هي في محل نصبٍ خبر للفعل (كاد) .

والذي يُلفت النّظر هنا، أن هذا الحديث الأخير هو نفسه الذي شكك الأنباري[2](ت577ﻫ) في مدى صحته ، بقوله :" فأمّا الحديث : كاد الفقر أن يكون كفراً ، فإن صحّ فزيادة (أن) من كلام الرّاوي لا من كلامه عليه السلام ، لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد"[3].

ويعدّ هذا الكلام على قدرٍ كبير من الأهمية ، لأن القارئ المنصف يكاد يظفر بشيئين مهمين هما[4] :

الأوّل : إن أبا البركات الأنباري يُشكّك في هذا الحديث ، ومدى صحته ، ويبدو ذلك من قوله (فإن صحّ) .

الثاني: إنه ممّن يعتقد بأنّ الرّواة غيَّروا في لفظ المروي ، ونقلوا الحديث بالمعنى ، ويبدو ذلك من قوله (فزيادة أن من كلام الراوي) .

ولقد نقل جلال الدين السيوطي(ت911ﻫ) في الاقتراح هذا الطعن ؛ الذي جاء به الأنباري في راوي الحديث " كاد الفقر أن يكون كفراً " ، واتهامه بأنّ زيادة (أن) من تغييرات الراوي ، لأن ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، مستدلاً بذلك على صحة ما قاله ابن الضائع ، وأبو حيان ، لأن الرواة كانوا ينقلون بالمعنى[5].

---

[1] – م ن ، ص 15 .

[2] – هو أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري ،ولد بالأنبار سنة 513ﻫ، لازم ابن الشجري ، وتبحر في علوم العربية ،ومن أهم مصنفاته:أسرار العربية ، والإنصاف في مسائل الخلاف ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ، توفي في بغداد سنة 577ﻫ،يُنظر ،كتاب الوفيات ،ص 290 ،والأعلام ، ج2 ،ص 23 ،ومقدمة نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،ص 05 وما بعدها .و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 124 ، وأصول النحو في فكر الأنباري ،ص 11 وما بعدها .

[3] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 (المسألة 77)، ص 462 .

[4] – يُنظر ، في أدلة النحو ، عفاف حسانين ، المكتبة الأكاديمية ،القاهرة ، ط1 ، 1996ﻡ ، ص 85،و أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 247 .

[5] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 111 .

وممّا لا شك فيه أن ذلك النّص – كلام الأنباري – يدلُّ على أن الأنباري يرفض الاحتجاج بالحديث لاعتقاده بأن الرّواة غيَّروا في لفظه ، وينقلون بالمعنى ، وكأن أبا البركات خشي من التصريح بهذا الرفض فلمّح له بذلك النص[1] .

وحَسبُك أن تسأل ، ما فائدة هذا التفصيل الذي أوردته في كلامك عن موقف محمّد المزمِّري من الحديث ؟ ، لنقول: إنّ الذي دعا إلى ضرورة التفصيل هو الوصول إلى النتيجة التي يستطيع المتمعن في الكلام السابق أن يستنبطها ، ومؤداها ما يلي : إذا كان أبو البركات الأنباري يرفض الاحتجاج بالحديث انطلاقاً من الحديث " كاد الفقر أن يكون كفراً " ، بحجة أن لفظة (أن) من كلام الراوي لا من كلام الرسول ﷺ ، فإنّ محمّد المزمِّري ؛ الذي عاش بعد الأنباري – ومن المحتمل جداً أن يكون قد صادف هذا التشكيك في هذا الحديث – استشهد به من غير لفظة (أن)، بل وصرّح على أنه قوله ﷺ ، ليكون باستشهاده هذا محاكياً للأنباري .

وعليه، وإذا سلَّمنا بهذه المحاكاة ، فإنّ موقف المزمِّري من الاحتجاج بالأحاديث النبوية هو موقف الرّفض ، لأنها مروية بالمعنى ، ولذلك استشهد بقوله ﷺ " كاد الفقر يكون كفراً " من غير لفظة (أن) التي قال عنها الأنباري(ت577هـ) إنها من كلام الراوي لا من كلامه ﷺ .

03– الشعر العربي :

موقف النُّحاة من الاحتجاج بالشعر :

لقد استأثر الشعر باهتمام النُّحاة واللغويين ، رغم أنّهم لم يُحاولوا الفصل بين الشعر والنثر أثناء تقعيدهم القواعد[2] ، بل إنهم قاموا نحوهم على الشعر وحده ؛ وهو لغة خاصةمن دون النثر[3] .

ولهذا بحث علماء العربية فيمن نقل الرواة عنهم من أهل المدر[4]، والوبر[5] ، قدماء ومحدثين ، فتقصُّوا أحوالهم ونقدوها ، حتى أجمعوا على الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامة عربيته[6]،

---

[1] – أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 247 .

[2] – القياس في النحو العربي (نشأته وتطوره) ، جاسم الزبيدي ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 1997م ، ص05 .

[3] – الأصول ، ص 94- 95 .

[4] – المدر هو قطع الطين ، والمراد بها أهل القرى والحواضر ، لأن بنيانها غالباً من هذه المادة . يُنظر، مادة (مدر) ، القاموس المحيط ،ص 497 ، و مختار الصحاح ، ص 416 .

[5] – الوبر ؛ أي صوف البعير والغنم ، والمراد بها الأعراب الذين يعيشون في الصحاري ، لأنهم يتخذون خيامهم من ذلك الصوف، يُنظر مادة(وبر) ، القاموس المحيط ، ص 513 ، ومختار الصحاح ، ص 475 .

[6] – في أصول النحو ، الأفغاني ، ص 19 .

حتى كان هذا المحتج بكلامه من الأطفال ، أو المجانين ، أو الفتاك ، أو الصعاليك ، لأن الجرح والتعديل لا ينطبق على الفصيح الذي قال وإنّما ينطبق على الراوية والرواية[1].

ومن ثمّ وضع النّحاة معايير زمانية ومكانية للذين يُؤخذ عنهم ويستشهد بكلامهم[2] :

1/ التحديد المكاني : اقتصر النّحاة في أخذهم اللغة على عدد من القبائل في وسط الجزيرة ، رأوا أنّها سلمت من نزوح الأعاجم ،وتفشي اللحن ، وأنها أكثر فصاحة من غيرها ، ولذلك قال أبو عمرو بن العلا(ت154ﻫ) قديماً : " لا أقول قالت العرب إلاّ ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية"[3]، وهو يريد بذلك ما بين نجد ، وجبال الحجاز ، حيث قبائل تميم وأسد ، وبعض قبائل قيس ، بل كان عثمان رضي الله عنه يقول :"لا يملين في مصاحفنا إلاّ غلمان قريش وثقيف"[4]

ويذكر السيوطي(ت911ﻫ) ، نقلاً عن الفارابي ، أن القبائل الذين نُقلت عنهم اللغة العربية، هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، و هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طي ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل[5].

كما استند السيوطي إلى علة ابن جني(ت392ﻫ) ، في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر ، الذي يقول :" علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ، ولو عُلم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم كما يُؤخذ عن أهل الوبر"[6] .

ثم بعد ذلك يقرر السيوطي قراراً مؤداه : أنه لم يؤخذ عن حضري قط ،ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم ، فإنّه لم يؤخذ من لخم ولا من حذام ، ولا من قضاعة ،ولا من غسان ، ولا من أباد ، ولا من تغلب والنمر ،ولا من البكر ، ولا من عبد القيس ، ولا من أزد عمان ، ولا من أهل اليمن ، ولا من بني حنيفة ، ولا من ثقيف، ولا من حاضرة الحجاز[7] .

---

[1] – الأصول ، ص 95 .

[2] – م ن ، ص 89 .

[3] – في أصول النحو ،الأفغاني ، ص 24 .

[4] – م ن ، ص 24 .

[5] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 112 .

[6] – الخصائص ، ج2 ، ص 03 .

[7] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 113 .

ويعلق الدكتور علي أبو المكارم على قرار السيوطي بقوله :" ليس صحيحاً ما قرّره السيوطي من أنه لم يؤخذ عن حضري قط ، فقد أخذ النحاة عن أهل الحضر كما أخذوا عن أهل البادية"[1]. والصواب من القول في ذلك ، أن الموقف العملي للنّحاة يناقض ما قرّره السيوطي ، فهذا سيبويه(ت180ﻫ) يأخذ عن عدة قبائل غير القبائل الست الذي ذكرها السيوطي ، فنجده يعتمد على شعر بكر وتغلب ، بعد شعراء تميم وهوزان ، بالإضافة إلى شعراء عبد القيس وإياد وغسان وقضاعة[2].

2/ التحديد الزماني : وضع النّحاة أيضاً إطاراً زمنياً للاستشهاد بالروايات الشعرية على القواعد النحوية وسموا هذا الإطار بعصر الاستشهاد[3] .

هذا العصر الذي سنوا فيه الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية ،وفصحاء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بالنسبة للحضر ؛ " لا يُفرّقون في ذلك بين شعر امرئ القيس وشعر ابن هرمة"[4] ، ، فهم يعدّون ابن هرمة(ت176ﻫ) آخر من يحتج بشعره ، بالنسبة للحضر ، وبشار بن برد(ت167ﻫ) أوّل من لا يحتج بشعره[5] من الشعراء ، وبالنسبة للبادية فإنّ منتصف القرن الرابع الهجري هو آخر الاحتجاج بلغة ابنائه لفساد سلائقه[6].

هذا وقد وضع العلماء الشعراء في طبقات – وفقاً للإطار الزمني– ، وبيّنوا موقف النحاة من الاحتجاج بأشعارهم وتمثلت هذه الطبقات فيما يلي[7] :

طبقة الجاهليين : وهم الذين لم يدركوا الإسلام ؛ كامرئ القيس ، وزهير ، والأعشى .

طبقة المخضرمين : وهم الذين عشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ؛ كلبيد ، وحسان بن ثابت .

---

[1] – أصول التفكير النحوي ، ص 40 .

[2] – شواهد الشعر في كتاب سيبويه ، ص 273 وما بعدها ، نقلاً عن أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 235 .

[3] – الأصول ، ص 89 .

[4] – م ن ، ص 89 – 101 .

[5] – كان سيبويه إذا سُئل عن شيء أجاب عنه ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به ، خوفاً من هجائه له ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص 60 .

[6] – يُنظر ،خزانة الأدب ، ج1 ، ص08 ، و الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 126– 127 ، و في أصول النحو ، الأفغاني ، ص 19– 20 ، وأصول التفكير النحوي ، ص 223 ، و عصور الاحتجاج في النحو العربي ، محمد إبراهيم عبادة، دار المعارف ، القاهرة ، 1980 ، ص 203 .

[7] – يُنظر هذه الطبقات في : خزانة الأدب ، ج1 ، ص 05– 06 ، و في أصول النحو ، الأفغاني ، ص 19 ، وأصول التفكير النحوي ، ص 51 ، و أصول النحو العربي ، نحلة ، ص 66– 67 ، و أصول النحو في فكر الأنباري، ص 255 .

طبقة الإسلاميين : ويُطلق عليهم المتقدِّمون ؛ وهم الذين عاشوا في صدر الإسلام ،ولم يدركوا الجاهلية ، كجرير ، والفرزدق .

طبقة المحدثين : ويُطلق عليه المولدون ؛ وهم الذين جاءوا بعد الإسلاميين ، كبشار ، وأبي نواس .

ولا خلاف بين النّحاة في صحة الاحتجاج بشعر الطبقتين الأولى والثانية في التقعيد النحوي ، وأما الطبقة الثالثة فقد اختلف النحاة في صحة الأخذ عنها ، لأن النّحاة الأوائل كانوا لا يستشهدون بشعرهم ، كأبي عمرو بن العلا الذي لا يعد من الشعراء إلا ما كان من المتقدمين[1]، ودليل ذلك ما قاله الأصمعي عنه :" جلست إلى أبي عمرو بن العلا عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[2].

وأمّا الطبقة الرابعة وما تلاها " فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا "، على حد قول البغدادي[3] .

وعلى النّقيض من ذلك نجد الزمخشري (ت538ﻫ) ، يحتج بشعر أبي تمام ، أحد شعراء الطبقة الرابعة ، ويُعلِّل ذلك قائلاً: " وهو وإن كان مُحدثاً لا يُستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلىقول العلماء : الدليل عليه لبيت الحماسة

فينتفعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه "[4].

لكن البغدادي ردّ عليه بقوله : " واعترض عليه بأنّ قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية و الإحاطة بقوانينها ، ومن البيّن أن إتقانه الرواية لا يستلزم إتقان الدراية "[5].

ويرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد طول الدراسة والتمحيص في ذلك :" أن العرب الذين يُوثق بعربيتهم ويُستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، أهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع "[6].

---

[1] – خزانة الأدب ، ج1 ، ص 06 .

[2] – م ن ، ج1 ، ص 06 .

[3] – م ن ، ج1 ، ص 06 .

[4] – الكشاف للزمخشري ، ج1 ، ص 220 ، نقلاً عن خزانة الأدب ، ج1 ، ص 07 ، وأصول النحو العربي ، محمد خير الحلواني ، الناشر الأطلسي ، الرباط ، ط2 ، 1983ﻫ ، ص 62 .

[5] – خزانة الأدب ، ج1 ، ص 07 .

[6] – مجلة مجمع اللغة العربية ، ج1 ، ص 202 ، نقلاً عن : الأصول النحوية عند المدرسة الأندلسية ، عبد العزيز المرسي الحداد ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، قسم اللغويات ، 2005ﻫ ، ص 264 .

ولعلّ من المجدي أن نذكر، أن النحاة قد اختلفوا في جواز الاحتجاج بالشعر المجهول القائل ، فانقسموا في ذلك بين رافض ، ومُجوِّز :

أ / موقف الرّفض : ومنهم الأنباري(ت577ﻫ) ؛ الذي يرفض الاحتجاج بشعر لا يُعرف قائله بحجة أن هذا الشعر المجهول ربما كان لمولدٍ لا يحتج بشعره ، أو لمن لا يُوثق بفصاحته ، ويظهر ذلك من قوله في ردِّه على استدلال الكوفيين بقول الشاعر :

أَرَدْت لِكِيمَا أنْ تَطِيرَ بِقِرْبَتِي فَتَتْرُكُهَا شَنَّاً بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ[1]

" إنّ هذا البيت غير معروف ، ولا يُعرف قائله : فلا يكون فيه حجة "[2].

ب / موقف الجواز : ونمثل لذلك بابن هشام (ت 761ﻫ) ؛ الذي يذهب إلى جواز الاحتجاج بالشعر المجهول القائل حين يُروى من ثقة ، وردَّ على من أنكر هذا الجواز ، بأنه لو صحّ ما ذهب إليه لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه ، فإنّ فيه ألف بيت قد عُرف قائلوها ، وخمسين منها مجهولة القائل[3] .

والذي يبدو من هذين الموقفين (الرفض ، والجواز) ، أن الصواب في جانب ابن هشام ، وهو صحة جواز الاحتجاج بشعر مجهول القائل إذا رُوي عن ثقة وكان معروفاً ، ولذا كانت شواهد سيبويه من هذا النوع في محل ثقة النّحاة على مرِّ العصور في مصنّفاتهم النحوية ، حيث عوّلوا على شواهده واستدلوا بها[4] .

المزمّري والاستشهاد بالشِّعر العربي :

لقد جاءت منزلة الاحتجاج بالشعر عنده تالية للاستشهاد بالقرآن الكريم ، وكان مسلكه في ذلك كعادة أكثر النُّحاة في التعامل مع الشواهد ؛ فنراه يذكر الشاهد الشعري أحياناً ناسباً إيّاه لقائله ، وأحياناً أخرى لا ينسبه لقائله وذلك كثير .

ومن الشواهد التي امتنع عن عزوها إلى قائليها نجد :

– يرى أن الجملة الاستئنافية الواقعة بعد حتى تأخذ حكم الجر،واحتّج[5] بقول الشاعر[1] : (طويل)

---

[1] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 (المسألة 80)، ص 473 .

[2] – م ن ، ص 475 .

[3] – تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد ، ابن هشام ، تح : عباس مصطفى الصالحي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1986ﻫ ، ص 313 .

[4] – الأصول النحوية عند المدرسة الأندلسية ، ص 266 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 09 .

سَرَيتُ بِهِمْ حَتّى تكِلَّ مَطِيُّهمْ وَحَتّى الجِيَادُ مَا يُقَدْن بِأرْسَانِ[2]

- أما في نسبة الجملة بقطع الهمزة للضرورة ، يستشهد بقوله[3] : (طويل)

ألاَ لاَ أرَى اثْنينِ أحْسَنَ شيْمةً عَلَى حَدَثَانِ الدَهْرِ مِنّي ومِن جُمْلِ[4].

- كما احتجّ على الجملة التفسيرية المقترنة بـ (أي)[5] ، بقول الشاعر[6] : (طويل)

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أي أنْتَ مُذْنِبُ وَتَقْلِينَنِي ولَكِنْ إياكَ لاَ أقْلِي[7].

- ونجده يذكر أن لفظة (مثل) هي بمعنى (أنا) ، ويحتجّ[8] لذلك بقول الشاعر : (سريع)

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَا مِثْلِي لاَ يَقْبَلُ من مِثْلِكَا[9].

- أما عن الجملة الاعتراضية بين الفعل والفاعل ، نجده يستحضر[10] قول الشاعر : (طويل)

وَقَدْ أدْرَكَتْنِي وَالحَوادِثُ جَمَّةٌ أسِنةٌ قوم لاَ ضعَافٌ ولا عُزْلُ[11].

- وعن اقتران الفاء بالجملة الاعتراضية يستشهد[12] بقول الشاعر : (كامل)

واعْلَمْ فَعِلْمُ المرْءِ يَنْفَعُهُ أنْ سَوفَ يأتِي كُل مَا قُدِّرا[13].

- وكان يرى أن الجملة المعترضة بين اسم إنّ وخبرها تقع طلبية ، واحتجّ لذلك بقوله[1]:(سريع)

---

[1] – هو امرؤ القيس (ت 80 ق هـ) ، ونسبه له سيبويه في الكتاب ، ج3 ، ص 25 ، و ابن هشام في مغني اللبيب ، ج1 ، ص 292 .

[2] – البيت جاء شاهداً بلا نسبة في : المقتضب ، ج2 ، ص 341 ، ومعاني القرآن ، الفراء ، ج1 ، ص 97 ، وأسرار العربية، ص 198 .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[4] – البيت هو لجيل بثينة (ت82هـ) ، ديوان جميل بثينة ، تح : حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 181 ، و هو من شواهد الأخفش ، معاني القرآن ، الأخفش ، تح : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 2003م ، ص 135 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

[6] – هو أبو ثروان ، وقد نسبه له الفراء ، معاني القرآن ، ج2 ، ص 68 .

[7] – البيت جاء شاهداً بلا نسبة في : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، ص 142 ، ومغني اللبيب ، ج1 ، ص 173 .

[8] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 88 .

[9] – البيت جاء شاهداً لنفس الغرض ، وبلا نسبة في : الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1(المسألة 40) ، ص 245 .

[10] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

[11] – البيت هو نفسه الذي استشهد به ابن هشام ، وللشاهد ذاته وبلا نسبة ، مغني اللبيب ، ج2 ، ص 823 .

[12] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[13] – وقد استشهد بالبيت ابن هشام عن حرف التنفيس (سوف) ، ودون عزوه لصاحبه ، شرح شذور الذهب، ص 302 .

إنّ الثَّمانِينَ – وبُلِّغْتَهَا– قَدْ أحْوَجَتْ سَمْعِي إلَى تَرْجُمَانِ[2].

– ونراه يقول ، إن سوف من دليل الاستقبال[3] واستدل بقول الشاعر[4] : (وافر)

وَمَا أدْرِي وَسَوفَ أخَالُ أدْرِي أقَومٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِساءُ[5].

– وفي حديثه عن الجملة التابعة لجملةٍ لا محلّ لها من الإعراب[6] ، يأتي بقول الشاعر : (كامل)

وَاللهُ أنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ والبرُّ خيرُ حَقِيبة الرُّحَلِ[7].

– ويحتجُّ عن حذف الفاء المقترنة بجملة جواب الشرط الجازم للضرورة[8]،بقول الشاعر[9] :(بسيط)

مَن يَفْعَلِ الحَسنَات اللهُ يَشْكُرُهَا والشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ سيَّانِ[10].

– وعن الجملة الواقعة بعد معرفة ، يستشهد بجملة (سرباله لم يخرق) من قول الشاعر[11] : (طويل)

وَلَولاَ سَوَادُ اللّيلِ مَا آبَ عَامِرٌ إلَى جَعْفَرٍ سِرْبَاله لم يُخَرَّقِ[12].

وجملة (قد غيّر البلى) من قول الشاعر[13] : (طويل)

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الدَارِ قَدْ غَيّرَ البَلَى مَعَارِفُها والسَّارِيَات الهَواطِلُ[14].

– وفي حديثه عن معاني حروف الجر، يحتج على معنى حرف الجر(على)[15]بقول الشاعر: (كامل)

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[2] – احتج به ابن هشام في الشاهد ذاته ،و بلا نسبة ، شرح شذور الذهب ، ص 74 .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[4] – هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى (ت13ق هـ) ، يُنظر البيت في : دراسة في الشعر الجاهلي ، زكريا صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1984م ، ص 330 .

[5] – البيت من شواهد ابن هشام في حديثه على (أم) ، مغني اللبيب ، ج1 ، ص 86 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 14 .

[7] – البيت لامرئ القيس الجاهلي .

[8] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[9] – الشاعر هو : عبد الرحمان بن حسان بن ثابت ، وجاء البيت شاهداً في: الكتاب ، ج3 ، ص 73 ، و معاني القرآن ، الفراء ، ج1 ، ص 320 ، الخصائص ، ج2 ، ص 186 ، و إعراب الحديث النبوي ، ص 122 ، و شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، ص 193 ، ومغني اللبيب ، ج1 ، ص 125 .

[10] – ورواية البيت في كل الكتب السابقة جاءت بعبارة (مثلان) بدل (سيان) .

[11] – هو الشاعر الجاهلي سلامة بن جندل (ت23 ق هـ) .

[12] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17 .

[13] – هو الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني (ت18ق هـ) .

[14] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17 .

[15] – م ن، ص 18 .

ولَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لاَ يَعْنِينِي[1].

- ويرى بأن حرف الجر (الكاف) قد يأتي بمعنى (مثل)[2] ، واحتج لذلك بقول الشاعر[3] :(بسيط)

أَتَنْهُونَ وَلَن يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزّيْتُ وَالفُتُلُ[4].

- أما عن تعلق حروف الجر بالاسم الذي يشبه الفعل[5] ، فنجده يحتج بقول الشاعر[6] : (طويل)

قَلَى دِينَهُ واهْتَاجَ لِلشّوقِ إنَّهَا عَلى الشَّوقِ إخْوَانَ العَزَاءِ هَيُوجُ[7].

ـ ونجده في جواز حذف صدر الصلة لطولها بالمعمول يحتج[8] بقول الشاعر : (طويل)

وَمَا الدّهْرُ إلاّ مَنْجَنُوناً بِأهْلِهِ وَمَا صَاحِبُ الحَاجَاتِ إلاّ مُعَذَّبَا[9].

- ويرى أن لا الامتناعية هي حرف جر متعلق إذا وليها ضمير متصل ، وذلك نحو لولاي ، ولولاك ، ولولاه[10] ، ويستشهد بقول الشاعر[11] : (طويل)

وَكَمْ مَوْطنٍ لَولاَيَ طِحْتُ كَمَا هَوَى بأجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيقِ مُنْهَوِي[12].

- ويحتجّ على أن (حاشا) و(عدا) و(خلا) هي حروف جر[13] ، بقول الشاعر: (أخذ الكامل)

حَاشَا أَبِي ثَوْبَانَ إنّ أبا ثَوبَانَ لَيسَ بِبكْمَة فَدَمْ[1].

---

[1] – البيت هو للشاعر الجاهلي (شمر الحنفي) ، وقد استشهد به كلاً من ابن هشام ، وابن عقيل ، وبلا نسبة ، مغني اللبيب، ج1 ، ص 230 ، شرح ابن عقيل ، ج3 ، ص 196 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 18 .

[3] – هو الشاعر الجاهلي الأعشى، والبيت ورد في ديوانه ، ديوان الأعشى ، شرح : محمد محمد حسن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1983م ، ص 113 .

[4] – البيت من شواهد المقتضب ، ج4 ، ص 415 ، وأسرار العربية ، ص 192 ، وشرح ابن عقيل ، ج3 ، ص 27 ، وبلا نسبة .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 19 .

[6] – هو الشاعر أبو ذؤيب الهذلي ، وقد احتج ببيته هذا سيبويه ونسبه له ، الكتاب ، ج1 ، ص 165 .

[7] – جاء البيت شاهداً ومن غير نسبة ،في شرح ابن عقيل ، ج3 ، ص 113

[8] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 19 .

[9] – استشهد بهذا البيت ابن هشام ، وبلا نسبة ، مغني اللبيب ، ج 1 ، ص 165 .

[10] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 19 .

[11] – هو يزيد بن الحكم الثقفي (ت105هـ) ، وقد استشهد به سيبويه ونسبه له ، الكتاب ، ج2 ، ص 395 .

[12] – جاء البيت شاهداً وبلا نسبة في : معاني القرآن ، الفراء ، ج2 ، ص 19 ، و الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 (المسألة 97)، ص 566 ، وشرح ابن عقيل ، ج3 ، ص 08 .

[13] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21 .

وقول الشاعر : (وافر)

أَبَحْنَا حَيَّهُمْ قَتْلاً وَسْراً عَدَا الشَّمْطَاءِ والطِّفْلِ الضَّغِيرِ[2].

وقول الآخر : (طويل)

خَلاَ اللهِ لاَ أَرْجُو سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَعُدُّ عِيَالِي شُعْبَةً مِنْ عِيَالِكَا [3].

– كما كان يرى أن (على) تأتي اسماً بمعنى (فوق) لدخول حرف الجر (من) عليها[4] ، ويستدل لذلك بقول الشاعر : (طويل)

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظِمْؤُهَا تَصِلُّ وَعنْ قَيْضٍ بزَيْزَاءَ مَجْهَلِ[5].

– وفي حديثه على أن الظرف يقع حالاً بعد المعرفة المحضة[6] ، استشهد بقول الشاعر[7] : (طويل)

أَيَا ظَبيةَ الوَعْسَاءِ بَين جُلاجِلٍ وَبينَ النَّقَا أَأَنْتِ أمْ أُمُّ سَالِمِ[8].

– وفي كلامه عن أن الظرف يحتمل الوصفية والحالية بعد المعرفة غير المحضة[9] ، نجده يحتج بقول الشاعر[10] : (طويل)

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسَقْط اللِّوى بَينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ[11].

أما عن الشواهد الشعرية التي احتج بها من الناحية النحوية ونسبها إلى أصحابها ، فهي :

– جاء في حديثه عن اقتران الواو بالجملة الاعتراضية إذا كان الفعل المضارع صدرها ، قول المتنبي(ت354هـ) : (منسرح)

يَا حَادِيَي عِيرِهَا وأحسَبُنِي أوجَدُ مَيِّتاً قُبَيلَ أفقِدُهَا

---

[1] – البيت هو للشاعر الجاهلي ، الجميح الأسدي (ت53ق هـ) .

[2] – احتج ابن عقيل بالبيت على نفس الغرض ، وبلا نسبة ، شرح ابن عقيل ، ج2 ، ص 263 .

[3] – البيت استشهد به ابن عقيل على الشاهد نفسه ، وبدون عزو ، شرح ابن عقيل ، ج2 ، ص 234 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 22 .

[5] – البيت هو للشاعر الأموي مزاحم العقيلي (ت120هـ) ، وقد أُحتجَّ به بلا نسبة في : المقتضب ، ج3 ، ص 45 ، وأسرار العربية ، ص 191 ، ومغني اللبيب ، ج1 ، ص 337 ، وشرح ابن عقيل ، ج3 ، ص 28 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 25 .

[7] – هو ذو الرمة(ت117هـ) ، جاء بيته هذا شاهدا منسوباً إليه عند سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص 31 .

[8] – وقد احتج بالبيت الأخفش وبدون نسبة ، معاني القرآن ، ص 156 .

[9] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 25 .

[10] – هو الشاعر الجاهلي امرؤ القيس ، والبيت هو مطلع معلقته ، دراسة في الشعر الجاهلي ، ص 176 .

[11] – البيت جاء شاهداً في : الكتاب ، ج 4 ، ص 320 ، و الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2(المسألة 94)، ص 540 ، ومغني اللبيب ، ج 1 ، ص 337 ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 86 .

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلاَ أَقَلّ مِن نَظْرَةٍ أُزَوِّدُهَا

حيث أن جملة (وأحسبني) هي جملة اعتراضية لا حالية ، إذ لايجوز اقتران الحالية المبدوءة بالمضارع بالواو[1] .

- وعن الجملة الواقعة بعد معرفة[2] ، يستشهد بجملة (يشتكون) من قول البوصيري(ت696هـ) : (خفيف)

وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا وَزَحَاء يُودِي الأَنَامَ غَلاَءُ[3].

- أما اسم الزمان المضاف إلى المفرد[4] ، فيحتج له بقول الحريري (ت516هـ) : (منسرح)

فَهْوَ الذِي تَعْنُوا الوجُوهُ لَهُ يَومٌ وجُوهُ الجَمْعِ سُودٌ وَبِيضُ .

كانت هذه هي بعض الشواهد الشعرية التي نستطيع من خلالها تحديد موقف محمد المزمّري من الشعر العربي، فلقد استشهد بما أجمع عليه النحاة من أشعار الطبقات المذكورة آنفاً ، بل تعدى في ذلك إلى الطبقات المتأخرة التي كان النحاة يرفضون الأخذ عنها .

والذي يلفت الانتباه في هذه الشواهد ، هو : أن كل الشواهد التي لم يعزوها إلى أصحابها – بغض النظر عن التي لم نعرف قائليها – كانت في حدود الطبقات التي أجمع النحاة على الاحتجاج بشعرها ؛ فممن احتج بشعرهم من الجاهليين : امرؤ القيس ، والأعشى ، والنابغة الذبياني، وشمر الحنفي ، والجميح الأسدي ، وزهير بن أبي سلمى ، وأبو ذؤيب الهذلي ، ومن المخضرمين : حسان بن ثابت ، ومن الإسلاميين : ذو الرمة ، وجميل بثينة ، ومن الأمويين : يزيد بن الحكم الثقفي ، ومزاحم العقيلي .

فهو كما ترى ملتزم بما نصّ عليه النحاة من الاحتجاج بشعر الطبقات المتقدمة ، ولم يتعداه إلى الاستشهاد بشعر المولدين أو المحدثين إلاَّ ما كان منه أثناء تصريحه بالاحتجاج بشعر المتنبي ، والحريري ، والبوصيري .

04- الأقوال والأمثال :

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[2] – م ن ، ص 17 .

[3] – متن الهمزية في مدح خير البرية ﷺ ، البوصيري ، مكتبة المعارف ، تيميمون ، أدرار ، دط ،دت ، ص 12 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 15 .

تعتبر الأقوال والأمثال الجزء النثري من كلام العرب ؛ الذي يعد مصدراً من مصادر الاحتجاج ، وشأن هذا الجانب النثري في الاستشهاد شأن الأشعار .

والمقصود بالنثر ، في الاستشهاد النحوي شيئين اثنين هما[1] :

1/ لغة الحديث اليومي المستعملة في التخاطب ، وهي تلك اللغة الدارجة المستعملة في البوادي ، أو المدن طوال عصور الفصاحة .

2 / لغة الأمثال ؛ وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها وتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها، ومن مميزاتها : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه[2] .

كما تعتبر الشواهد النثرية عند النحاة أقلّ حظاً من الشواهد الشعرية ، فقد انصرف النّحاة عن الكلام النثري ؛لأنهم وجدوا " في بيوت الشعر الأمثال ، والأوابد ومنها الشواهد والشوارد "[3].

هذا وقد احتفظت كتب النحو بطائفة من أقوال العرب وأمثالهم ، احتج بها النحاة للقواعد النحوية ، وهي ترِد في مصنفاتهم[4] على نحو : زعموا أن بعضهم قال ، وقالوا ، هذا قولهم ، ومَثَلُ ذلك ، قول العرب في مَثَلٍ من أمثالهم ، تقول العرب ، وشبه ذلك من العبارات .

المُزمِّري والاستشهاد بأقوال العرب وأمثالهم :

لقد استشهد محمد بن أُبّ بقليل من الأساليب والأمثال العربية ، ومن ذلك :

احتجاجه بقول العرب " هذا جحر ضب خرب"[5] ، وذلك في حديثه عن الجر بالجوار ، ويظهر ذلك من قوله[6] : (رجز)

وَجَرَّ بِالجِوَارِ بعْضُ العَرَبِ كَقَولِهِمْ ذَا جُحْرُ ضَبٍ خَرِبِ

---

[1] – القياس في النحو العربي ، ص 115 .

[2] – كتاب الأمثال ، أبو عبيد سلام ، ص34 ، نقلاً : الأمثال العربية في العصر الجاهلي (دراسة تحليلية) ، محمد توفيق أبو علي ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1988، ص 36.

[3] – البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، دت ، ج2 ، ص 09 .

[4] – يُنظر على سبيل المثال : الكتاب ، ج5 (فهرس الألفاظ والأساليب) ، ص 128 وما بعدها ، و (فهرس الأمثال) ، ص 28- 29 .و المقتضب ، ج3 (فهرس الأمثال) ، ص 32- 33 . و معاني القرآن ، الأخفش ، ص 24 وما بعدها.و نتائج الفكر في النحو (فهرس الأمثال) ، ص 457 ، و(فهرس كلام العرب) ص 458 ، وأمالي السهيلي (فهرس الأمثال) ، ص 146 ، و شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (فهرس أقوال العرب) ، ص 306- 307 . و شرح قطر الندى وبل الصدى (فهرس الأمثال العربية)، ص 338 .

[5] – احتج بهذا الشاهد سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 113 – 550 .

[6] – نزهة الحلوم في منثور ابن آجروم ، باب المخفوضات .

واحتج بقولهم "جاءني النِّسوة ليس فلانة"[1]، في كلامه عن المستثنى بـ(إلاّ) ؛ الذي يأتي بعد تمام الكلام ، ونلمس ذلك في قوله[2] : (رجز)

بَعدَ كَلاَمٍ مَوجِبٍ قَدْ تَمَا كَجَاءَنِي النِّسْوَةُ إلاّ سَلمَى

كما احتجّ بقولهم " أدخلت في رأسي القلنسوة"[3]، في حديثه على أن المجرور يأتي في موضع الصفة، بقوله "... وموضع الصفة نحو جاءني رجل على رأسه قلنسوة"[4].

أما في مجال الأمثال ، فقد احتجّ بمثَلين ، جاء الأوّل منهما في استشهاده للفظ (مثل) على أنها ترِد بمعنى (أنت) ، وهو قوله[5] : " وقولهم : مثلك[6] لا يبخل ، أي أنت لا تبخل "[7].

والمثل الثاني هو من الأمثال الشعبية المتداولة في المنطقة ، وجاء به كشاهداً في معنى (إجرد) ، حيث قال:" إجرد – بكسر أوله وثالثه وبينهما جيم – : هو نبت يدل على الكمأة[8] ، يُسمى بلغة أعراب باديتنا اليوم الرّقيق[9] – بالقاف المعقودة – ، ومن أمثلتهم[10] : أرِني الرّقِيق نُرِكَ الثَّرْفَاس"[11].

05 – اللغات :

تعد اللغة من العوامل التي تتميز بها المجتمعات ، ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه تؤدي اللغة دوراً ذا أهمية أساسية ، إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع ، وليست اللغة رباطاً بين أبناء المجتمع في جيل فحسب ، بل هي رباط بين الأجيال المتعاقبة من المجتمع الواحد ، فهي أداة

---

[1] – وجاء هذا الشاهد في : المقتضب ، ج2 ، ص 625 ، و علل النحو ،أبي الحسن الوراق ، تح : محمود محمد محمود نصار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2002ْ ، ص 546 .

[2] – نزهة الحلوم في منثور ابن آجروم ، فصل المستثنى .

[3] – استشهد بهذا القول سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، 240 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 24 .

[5] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 87 .

[6] – الكتاب ، ج2 ، ص 11- 23- 50- 109 ، والمقتضب ، ج2 ، ص 524 .

[7] – والمثل وارد في المنطقة بلفظ " اللّي كيفك ما يبْخَلْ" ، وربما أعاد الشيخ صياغته بألفاظ فصيحة .

[8] – الكمأة : هي نبتة ، وتسمى بذلك لانشقاق الأرض عنها ، فتخرج كما يخرج الفطر من الأرض ، يُنظر مادة (كمأ) ، معجم المقاييس في اللغة ، ص 908 ، والقاموس المحيط ، ص 79 .

[9] – الرقيق : هو نبات أخضر اللون وبه أوراق صغيرة ، وتشترك مع نبات الكمأة في التبادل الحيوي .

[10] – وأصل المثل بلغة العامة " وَرِيْنِي الرْقِيقْ نْوَرِيك الثّرْفَاسْ" ، وهو متداول بكثرة في الجنوب الغربي من الجزائر ، وبخاصة المناطق التي يكثر فيها هذا النبات ، مثل بشار ، والمشرية ،و النعامة ،و البيض ، وعين الصفراء ، وأدرار .

[11] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 101 .

الاستمرار الشعبي عبر القرون[1] ، فلغة العرب إذن هي مظهر لتلك المجتمعات ، تفرّعت بدورها إلى لهجات كتفرع أهلها إلى قبائل وعشائر ، ومن هنا نشأت لكل قبيلة أو عشيرة لهجة تتكلمها وتلتزم بها[2] .

وعليه ، فاللغة إذن هي منظمة عرفية ترمز إلى نشاط المجتمع ، كما تشتمل هذه المنظمة على عدد من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني أو المباني[3] .

وقد كان لعلماء العربية اليد الطولى في الاحتجاج بلغات قبائل العرب وحفظها ، ونجد ذلك متناثراً في كتب اللغة والأدب والتراجم[4].

كما أن اللسان العربي يحمل في طياته لغات شتى ولكنها تختلف اختلافاً يسيراً ، فضلاً عن كون هذه اللغات تتفاوت في الجودة وفصاحة اللهجة ، ورغم كل ذلك فإنّ جميعها مما يصح القياس عليه كما ذكر ابن جني (ت392هـ) في باب اختلاف اللغات وكلها حجة :" فالناطق على قياس لغة من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ"[5].

المزمّري ولغات العرب :

ومن استشهاده بلغات العرب نعثر له على شاهدين :

01 / لغة عقيل : وجاء ذلك في حديثه عن (لعلَّ) الجارة لما بعدها ، حيث يقول :"ولعلّ في لغة من يجرّ بها،وهم **عقيل**، يقولون مثلاً :لعل زيدٍ قائمٌ ، بجر زيد ورفع قائم، قال شاعرهم[6]:(طويل)

فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوتَ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي المِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ"[7].

02 / لغة أعراب البادية :وهو يقصد بها الجنوب الغربي من الجزائر ، واحتجّ بهذه اللغة في كلامه عن نبات الكمأة ، فقال :" يسمى بلغة **أعراب باديتنا** اليوم الرقيق"[8].

---

[1] – اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ، 2000م ، ص 17 .

[2] – دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 292 .

[3] – اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ، 2004م ، ص 32 .

[4] – اللغات العربية في تفسير المحيط لأبي حيان ، دينا محمد ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والنحو والصرف ، جامعة أم القرى ، السعودية ، فرع اللغة ، 1995م ، المقدمة ، ص (ب) .

[5] – الخصائص ، ج2 ، ص 08 .

[6] – البيت هو للشاعر المخضرم : كعب بن سعد الغنوي (ت05 ق هـ) .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21– 22 .

[8] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 101 .

وأخيراً ، يمكن القول إنّ محمد المزمّري استطاع أن يُوظِّف كل مصادر الاستشهاد النَّحوي ، المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب شعره ونثره ، في مصنفاته ، وكان له في كل منها موقف – كما رأينا– كما كان لغيره من النُّحاة ، وهو بهذا يكون قد بادر مبادرة تُحسبُ له حجراً رمى به في دائرة النحو وأصوله.

المبحث الثاني: منهجه في الدَّرس النَّحوي

أ – ابن أُبَّ وأصول النّحو:

1/ توظيف المصطلح النّحوي

2/ موقفه من السماع

3 / موقفه من القياس

4/ تعليلاته النحوية

5/ نظرية العامل النحوي

ب– موقفه من آراء النحاة:

1/ ما وافق فيه البصريين

2/ ما وافق فيه الكوفيين

3/ اختياراته النحوية

أ – ابن أُبَّ وأصول النّحو:

إنّ القصد من هذه الوقفة هو توضيح موقف الشيخ المزمّري من الأصول النحوية ، لذا سنركز الكلام على أشهر هذه الأصول المتمثلة في : قضية المصطلح ، والسّماع ، والقياس ، والتعليل ، ونظرية العامل .

1/ توظيف المصطلح النّحوي.

تعريف المصطلح لغة : كلمة المصطلح في اللغة العربية هي مصدر ميمي للفعل (اصطلح) ، مأخوذة من أصل المادة (صلح) ، وحددت المعاجم العربية دلالة هذه المادة بأنها ضد الفساد ، ونقول مصالحة وصِلاحاً،وأصَّالحا وتصالحا واصتلحا واصطلحا عليه[1].

اصطلاحا: هو اتفاق القوم على وضع اللَّفظ بإزاء المعنى[2] ، وهذا الاتفاق يكون من قِبلِ المختصين، فإن تمّ هذا الاتفاق بين جماعة الفقهاء نتج عنه مصطلحاً في الفقه ، وإن كانوا محدِّثين تفتَّق عنه مصطلحاً في الحديث ، وإن كان بين النّحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً ؛ وهذا الاتفاق الأخير الذي يتم

---

[1] – يُنظر، مادة(صلح) في :المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج 3 ، ص 109- 110، وأساس البلاغة ، ص 359، والقاموس لمحيط ، ص 255 ، ومختار الصحاح ، ص 253.

[2] – يُنظر ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، محمود فهمي حجازي ، دار غريب ، القاهرة ، دط ،دت ، ص10 ، و المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري) ، عوض حمد القوزي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1، 1981م ، ص 22 ، و المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علمن الاصطلاح الحديث ، إيناس كمال الحديدي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1 ، 2006م ، هامش ص 18 ، و وضع المصطلحات ، محمد طبي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، دط ، 1992م ، ص38 .

بين جماعة النحاة على استعمال اللفظ في التعبير عن الأفكار والمعاني النحوية هو ما يُعبَّرُ عنه بالمصطلح النحوي[1] .

قضية المصطلح عند النحاة :

وتأسيساً على ما سبق ، فإنّ الاسم ،والفعل، والحرف ، والفاعل ، والمفعول بأنواعه، والصفة وغيرها هي مصطلحات اتفق النحويون عل تسميتها لألفاظ معينة ، غير أن هذا الاتفاق قد لا نجده عند غيرهم بالمعاني الاصطلاحية نفسها ، بل وقد يختلف هؤلاء النحاة في تسمية هذه الألفاظ، ومرّد ذلك إلى المناهج العلمية التي اتسمت بها كل طائفة منهم ، ولهذا كان للبصريين مصطلح وللكوفيين مصطلح يختلف كل منهما عن الآخر[2] .

والمصطلحات النحوية التي اصطنعتها المدرستان يمكن تقسيمها إلى ثلاث جوانب :

1/ وجود مصطلح كوفي يقابل المصطلح البصري[3] : ونجمل ذلك في الجدول التالي :

المصطلح البصري	المصطلح الكوفي
الضمير	المكنى أو الكناية
ضمير الشأن	المجهول
ضمير الفصل	العماد أو الدعامة
الظرف	الصفة أو المحل
البدل	الترجمة
الفعل المتعدي	الفعل الواقع
التمييز	التفسير
لا النافية للجنس	لا التبرئة

(1 – 4)– يُنظر ، المصطلح النحوي ،حمد القوزي ، ص 22– 23– 24، و دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 208 - 209.

1– دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني الفراء ، ص 208– 209 .

3 – يُنظر ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 305 وما بعدها ، و المدارس النحوية ، ص 165 وما بعدها ، والمدارس النحوية أسطورة وواقع ، إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ، الإسكندرية ، ط1 ، 1987ٱ ، ص 97 وما بعدها ، و دروس في المذاهب النحوية ، عبده الراجحي ، دار المعرفة ، الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 1992ٱ ، ص 91– 92 ، و دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 207 وما بعدها ، والمصطلح النحوي ، ص 168 وما بعدها .

الأسماء المحضة	الاسم الموضوع
الصفة	النعت
ألف الوصل	الألف الخفيفة
العطف	النسق
اسم الفاعل	الفعل الدائم
حروف النفي	حروف الجحد
ما ينصرف وما لا ينصرف	ما يُجْرَى وما لا يُجْرَى
الفعل المتعدي	الفعل الواقع
نائب الفاعل	الذي لم يُسمّ فاعله
حروف الزيادة	الصلة[1]
حروف الجر	الصفة
الجر	الخفض
المنادى	المدعو
حروف المعاني	الأدوات
الاسم المبهم	ما ليس معلوم من الأشياء
الحال	القطع
الأسماء الستة	الأسماء المضافة
التوكيد	القطع

ويمكن أن نستخلص من هذا الجدول ، أن أغلب المصطلحات البصرية خاضعة للمعنى وناشئة منه ، فكثير من المصطلحات وُضعت لِتساير معنى التركيب اللغوي ، مثل مصطلح (الظرف) الذي وُضع ليُساير معنى الظرف الذي هو المكان والزما ن اللذان يقع فيهما الفعل ، فهما يعتبران وعاء لحدوث الفعل ،كما أن الإبريق وعاء لِما فيه[2] .

[1] – مصطلح الصلة والحشو هما مشتهران عند البصريين إلا أنهما يُنسبان إلى الكوفيين ، ويُقابلهما عند جماعة أهل البصرة الزيادة ، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري ، يحي عطية عبابنة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2006، ص 26 .

[2] – م ن ، ص 306 .

2 / مصطلح بصري رفضه الكوفيون : ومن هذا الجانب نجد :

لام الابتداء :هو مصطلح بصري أنكره الكوفيون وأبدلوه بمصطلح (لام القسم)[1] ، لأن " اللام في قولهم : لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو ، جواب قسم مقدر ، والتقدير : والله لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو ،

فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها"[2].

اسم الفعل : وهو كذلك مصطلح لم يوافق الكوفيون على تسميته بهذا الاسم ، وعدّوه فعلاً حقيقياً ، لأنه احتفظ بالمعنى الفعلي ؛ وهو الدلالة على الحدث مقروناً بالزمان الذي أقرَّه البصريون بتقسيمهم إياه إلى : اسم فعل ماض ، واسم فعل مضارع ، واسم فعل أمر[3] .

المفاعيل (به ، المطلق ، لأجله ، فيه ، معه) : وهي مصطلحات لا يعترف بها الكوفيون ، ويقتصرون في ذلك على المفعول به وحده ، ويعللون ذلك بأن للفعل مفعولاً واحداً هو المفعول به، أما باقي ذلك فهي أشباه بالمفاعيل[4] .

ألقاب الإعراب والبناء : كما هو معلوم أن للإعراب علامات وللبناء علامات ؛ (فالضم والفتح والكسر والسكون) هي علامات البناء ، تشترك فيها الأسماء والأفعال والحروف ، (والرفع والنصب والجر والجزم) هي علامات الإعراب ، تختص الأفعال منها بالجزم والأسماء بالجر ويشتركان في الباقي ، أما الحروف فكلها مبنية[5] ، لكن الكوفيين لا يُفرِّقون بين ذلك[6]، وعلى رأسهم الفراء (ت207هـ) الذي ينكر هذه الألقاب ؛ فتراه لا يفرِّق بينهما ، فيضع أحياناً علامات الإعراب للبناء[7] ، وأحياناً يضع العكس[8] ، وأحياناً أخرى يستعمل المصطلح كما يستعمله البصريون[9] .

---

[1] – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 307 .

[2] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 (المسألة 58)، 330 .

[3] – يُنظر ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 308 ،و المصطلح النحوي ، ص 183 ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 117– 118 ، وتطور المصطلح النحوي البصري ، ص 46 .

[4] – يُنظر ، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 221 ، و مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 308 ، و المصطلح النحوي ، ص 184 ، والمدارس النحوية ، ص 166 .

[5] – الكتاب ، ج 1 ، ص 41 وما بعدها ، و المقتضب ، ج1 ، ص 51 وما بعدها .

[6] – يُنظر ، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 214 وما بعدها ، و المدارس النحوية ، ص 168 ، المصطلح النحوي ، ص 185 ، والمدارس النحوية أسطورة وواقع ، ص 101– 102 .

[7] – يُنظر ، معاني القرآن ، ج1 ، ص 24– 25– 337 ، ج3 ، ص 12– 23 .

[8] – م ن ، ج1 ، ص 34 .

[9] – م ن ، ج1 ، ص 185 ، ج2 ، ص 308 .

فعل الأمر : هذا المصطلح الذي ظهر عند البصريين في تقسيمهم الفعل إلى: ماضٍ ومضارع وأمر[1]، رفضه الكوفيون بحجة أه مقتطع من المضارع ، فقسموا الفعل إلى : ماضٍ ومضارع (أو مستقبل) ، وفعل دائم[2] .

عطف البيان : وهو من أشهر المصطلحات البصرية وأقدمها[3] ، غير أن الكوفيين لم يُترجموا له ولم يعرفوه[4] .

3 / مصطلح كوفي خالص : كان للكوفيين كما رأينا مصطلحات خاصة بهم ساد بعضها النحو العربي ؛ كالخفض ، والتفسير ، وعطف النسق ، وظل بعضها الآخر منسوباً إليهم ؛ كالمصطلحات التالية :

الصرف : هو مصطلح جعلوه علة لنصب المفعول معه ، ونصب المضارع الواقع بعد الواو ، والفاء، و أو ، في حين أن البصريين ذهبوا إلى أن المفعول معه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو ، والفعل المضارع بعد هذه الأحرف (الواو ، الفاء، أو) منصوب بـ(أن) مضمرة[5] .

الخلاف : وهو عامل معنوي جعلوه علة النصب في الظرف إذا وقع خبراً في مثل قولك: (محمّد أمامك) ؛ فأمامك هنا هو ظرف منصوب بالخلاف – في نظرهم – ، بينما يرى البصريون أن الظرف هنا متعلق بمحذوف خبر للمبتدأ [6] .

الخروج : هو مصطلح استعمله الفراء ، ويعني به مخالفة الاسم أو الفعل لما قبله ، ويظهر ذلك عند إعرابه كلمة "قَادِرِينَ" من قوله تعالى: ﴿أَيَحْسِبُ الإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أن

---

[1] – الكتاب ، ج1 ، ص 40 .

[2] – يُنظر ، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن لفراء ، ص 219 ، و المصطلح النحوي ، ص 181- 182 ، و المدارس النحوية ، ص 166 ، والمدارس النحوية أسطورة وواقع ن ص 113- 114 .

[3] – تطور المصطلح النحوي البصري ، ص 177 .

[4] – الأشباه والنظائر ، ج2 ، ص 122 .

[5] – يُنظر ،معاني القرآن ، الفراء ، ج1 ، ص 35- 166 ، و المدارس النحوية ، ص 165- 166 ، و مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 306 ، و دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 288 ، ودروس في المذاهب النحوية ، ص 91 ، والمصطلح النحوي ، ص 187 .

[6] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ،(المسألة 29) ، ص 197 ، و المدارس النحوية ، ص 165 ، ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 293 وما بعدها ، و دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 286- 287 ، و دروس في المذاهب النحوية ، ص 91 ، والمصطلح النحوي ، ص 187 .

نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة ، الآيتان 03- 04] ، قال :"قادرين نُصِبت على الخروج من يجمع"[1] ، فالخروج هنا لا يُفهم منه إلاّ مخالفة (قادرين) في النصب لمفعول (يجمع)[2] .

وكل هذه المصطلحات (الصرف ، الخلاف ، الخروج) تدور حول مخالفة اللّفظ المتأخر لأحكام اللّفظ الذي سبقه ، سواء كان اسماً أو فعلاً ، فهي تعني عدم المماثلة ، وعليه يكون الصرف خلاف والخلاف خروج[3] .

وفي الأخير يمكن القول، إنّ هذه المصطلحات الكوفية التي ظهرت –كما هو معلوم– متأخرة عن المصطلحات البصرية ، وهي مصطلحات أُريد بها مجرد الخلاف على مدرسة البصرة ، ودليل ذلك موقفهم من ألقاب الإعراب والبناء التي وضعتها المدرسة البصرية ، فميّزت بين علامات الإعراب وعلامات البناء ، فجاء الكوفيون وفكّروا طويلاً في إيجاد لقب أو اسم جديد لها ، حتى إذا أعياهم ذلك اضطّروا إلى قلبها ، فجعلوا ما كان علامة للمعرب علامة للمبني ، وما كان للمبني علامة للمعرب[4] .

المُزمِّري وتوظيفه للمصطلح النَّحوي :

سبق القول إنّ النّحويين المتأخرين ظلُّوا عالة على المتقدِّمين منهم ، يترسّمون خُطاهم ويهتدون في النحو بهداهم ، حتى في مجال المصطلح الذي كان الخلاف فيه كبيراً بين مدرستي أهل العراق ؛ منبع النحو (البصرة ، والكوفة) ، حتى شاع بين الدارسين المتأخرين أن هذا مصطلح بصري وذاك مصطلح كوفي كما رأينا .

وكان لمحمد المزمِّري مصطلحات ثابتة مستقرة التزم بها في شتى المواطن والمناسبات النحوية ، وهي استعماله للمصطلحات البصرية في مصنفاته ، إلاّ أربع مصطلحات كوفية جاء ذكرها داخل آثاره ، وهي :

1 / النعت[5] : وهو مصطلح يقصد به البصريون (الصفة) .

2 / الخفض[1] : وهو مصطلح يقصد به أهل البصرة (الجر) .

---

[1] – معاني القرآن ، ج 3 ، ص 100 .

[2] – دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، ص 289 .

[3] – المصطلح النحوي ، ص 188 .

[4] – المدارس النحوية ، ص 168 .

[5] – يُنظر ، ونيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 16– 17– 18 ، و (باب النعت) في : نظم مقدمة ابن آجروم ، ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

3 / الجحد[2] : وهو مصطلح نجده عند البصريين باسم النّفي ، و هو مصطلح يطلقه الفراء (ت207هـ) على الإنكار والنفي ، ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى :﴿بَلَى[1] مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيآتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة ، الآية 80] : " وُضِعت ﴿بَلَى﴾ لكل إقرار في أوله جحد ، و وُضعت (نعم) للاستفهام الذي لا جحد فيه"[3].

4 / المفعول الذي لم يُسمّ فاعله[4] : هومصطلح يُعنى به نائب الفاعل عند البصريين كما رأينا.

لكنّ الذي يُلفت النظر هنا ، أن هذه المصطلحات لم يلتزم بها في ثنايا مؤلفاته ، بل أنها لم تستقر حتى في طيَّات المصنف الواحد ، إذ تراه يُسميها أحياناً كما يُسميها البصريون باسم الصفة[5]، والجر[6] ، والنفي[7] .

ومن المصطلحات البصرية التي تداولت عنده نذكر ما يلي : مصطلح العطف[8] ، والتمييز[9] ، و الفعل المتعدي[10] ، وفعل الأمر[1] ،

---

[1] – يُنظر ، نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 ، و (باب الكلام) ، (باب علامات الإعراب)، (باب مخفوضات الأسماء)، في : نظم مقدمة ابن آجروم ، ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم.

[2]– يُنظر،(باب الأفعال) في:نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[3] – معاني القرآن ، ج1 ، ص 46 .

[4] – يُنظر ، (باب المفعول الذي لم يُسمّ فاعله) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[5]– يُنظر ،نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17– 18– 23 – 25– 28 ، وشرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 120 .

[6] – يُنظر ، نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 07– 09– 13– 18– 20– 21– 22– 23– 24 ، وشرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 102 ، و (باب المستثنى) ، (باب مخفوضات الأسماء) في : نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[7] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 22– 23 .

[8] – يُنظر ، م ن ، ص 10– 12– 17– 20 ، و (باب العطف) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[9] – يُنظر ، (باب الكلام) ، (باب التمييز) ، في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، و نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 11 .

[10] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 04 ، وقد سمى إحدى نُظمه كما رأينا في آثاره بـ : نظم بعض من أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرد .

والظرف[2] ، والبدل[3]، والمفعول فيه[4] ، والمفعول معه[5] ، والمفعول لأجله[6] ، ولا النافية للجنس[7] ، والمنادى[8] ، والتوكيد[9] ، والحال[10] ، وضمير الشأن[11] ، والاسم المبهم[12] ، والضمير[13] ، وعطف البيان[14] ، واسم الفاعل[15] ، والحرف الزائد[16] ، والأسماء الستة[17] ، أضف إلى ذلك أنه فرّق بين ألقاب الإعراب والبناء[18] كما فعل البصريون .

ونستطيع القول من خلال كل هذا ، إنّ محمد بن أُبَّ قد وُفِق في استخدام المصطلحات النحوية وذلك من النواحي التالية :

---

[1] – يُنظر ، (باب الأفعال) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[2] – يُنظر ، نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 03- 06- 15- 16- 25- 27 ، و (باب المبتدأ والخبر) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[3] – يُنظر ، نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 ، و (باب البدل) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[4] – يُنظر ، (باب المفعول فيه) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[5] – يُنظر ،(باب المفعول معه) في : م ن .

[6] – يُنظر ، (باب المفعول لأجله) في : م ن .

[7] – يُنظر، (باب لا النافية للجنس) في : م ن .

[8] – يُنظر ، (باب المنادى) في : م ن ، و نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21 .

[9] – يُنظر ، (باب التوكيد) في : نظم مقدمة ابن آجروم،ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم،وكشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[10] – يُنظر، (باب الحال) في : م ن ، ونيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 06- 11- 12- 14- 18- 23- 24 .

[11] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 09 .

[12] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب النعت .

[13] – يُنظر ، شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 99 ، و نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 02- 23- 28 ، و كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، باب علامة الرفع .

[14] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

[15] – م ن ، ص 17 .

[16] – م ن ، ص 20 .

[17] – يُنظر ، (باب علامات الإعراب) في : نظم مقدمة ابن آجروم، ونزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، وعدّها في مؤلفه كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم (خمسة أسماء) .

[18] – يُنظر ، (باب معرفة علامات الإعراب) في: م ن .

أ – دقته في تحرّي المصطلح البصري الذي كان معروفاً لدى علماء البصرة الذين تفتّق النحو على أيديهم .

ب – استعمال المصطلح ، وهو ما يدل على تحريه الدقيق كذلك لمصطلحات الكوفيين .

ج – إنّ هذا الإلمام الواسع بمصطلحات كل من البصريين والكوفيين ، هو ما ساعده على أن يستعمل لكل مذهب مصطلحه ، مع الالتزام بالتوسع في استخدام المصطلحات البصرية .

2 – موقفه من السَّماع اللغوي :

تعريف السماع : لغة : هو مصدر الفعل(سَمِعَ) الشيء بالكسر سمعاً وسماع ، وجمعه أسماع ، وجمع الأسماع على أسامع ، واستمع التلميذ للأستاذ أي أصغى إليه ،و يُقال ذهب سمعه في الناس أي صيته ، والسمع الذكر الجميل وهو ما تلتقطه الأذن[1] .

المعنى الاصطلاحي :

أوّد بادئ ذي بدءٍ أن أشير إلى أن مصطلح السّماع يُطلق على ما يرويه العالم بعد سماعه بنفسه ، وأمّا ما تتم روايته عن عالم آخر ، أو عن جيل سابق من العلماء ، أو عن مُصنّفٍ من المصنّفات اللغوية أو النّحويّة ، فلا يمكن أن نعدّه سماعاً وإنّما نُسميه رواية ، وعيه فإنّ الفرق جلي بين المصطلحين (السماع ، والرواية) ؛ وهو متمثل في مباشرة الأخذ عن العرب في مصطلح السماع ، والتوسط لذلك بالسامع مع المشافه في مصطلح الرواية[2] ، ولكنّ هذا الأخذ المباشر عن العرب؛ أي السماع غالباً ما يُطلق على النّقل لأنه أساس هذا العمل .

وهذا النّقل يعرّفه الأنباري(ت577هـ) بقوله :" هو الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حدِّ القلة إلى حدِّ الكثرة"[3] .

ومن خلال هذا التعريف يتبين أنّه يشترط في النَّص المنقول توافر أمور ، أوما يُطلق عليها بشروط السماع .

شروط السَّماع : من خلال التعريف السابق نستنتج الشروط ثلاث شروط ، وهي :

---

[1] يُنظر ، مادة (سمع) في : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج 1 ، ص 318، ومعجم المقاييس في اللغة ، ص 491 – 492، وأساس البلاغة ، ص 308 ، والقاموس المحيط ، ص 742 ، و مختار الصحاح ، ص 219.

[2] – أصول التفكير النحوي ، ص 33 .

[3] – يُنظر ، الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلة في أصول النحو ، الأنباري ، تح : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية، دط ، 1975م ، ص 45 – 81 .

1/ الفصاحة : وتعني الأخذ بكل كلام عربي استوفى الشروط المثمثلة في : السلامة اللغوية ، ووضوح الكلام لجميع أفراد المجتمع العربي ، وأن يكون المتكلم ذا سليقة عربية اكتسبها من البيئة التي نشأ فيها وبدون تلقين[1] .

2/ صحة النّقل : أي أن الكلام يكون مسموع عن أعراب ذوي ثقة ، خارج عن كلام المولّدين[2]، مع التحرّي والإحاطة بما يُسمى بعلم الرّجال أو علم الجرح والتعديل[3].

3/ الكثرة :وهي تعني تواتر عدد كبير من النّقلة على رواية واحدة للوقوف في وجه التحريف والتزييف[4] ، وطرح الشاذ والقليل[5] .

موقف البصريين والكوفيين من السماع :

وهذه الشروط الثلاثة تُذكرنا بما أُثِير حول الرواية بين مدرستي البصرة والكوفة ؛ فالكوفيون وسّعوا مجالهم في السماع اللغوي ، والرواية وتساهلوا في ذلك تساهلاً كثيراً ، حتى شمل أخذهم كل القبائل ، في حين أن البصريين تشدّدوا في ذلك بعزل جانباً كبيراً من اللّهجات واللُّغات ، حيث أنّهم لم يأخذوا إلاّ بلهجات الأعراب الذين بقيت لغته على السجية والسليقة[6]، حتى قال قائلهم يفتخر بسماع البصريين : " إنّما أخذنا نحن اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشوارِيز"[7] ، إلاّ أن الواقع لم يكن كذلك ، لأن الكوفيين كالبصريين كالبصريين في عنايتهم بسلامة اللغة وصحتها[8] .

مصادر السماع : لقد اتفق النّحاة على أن النقل أو السماع يشمل ثلاثة مصادر أساسة هي أدلة قطعية من أدلة النحو ، وهي تلك التي رأيناها سابقاً في الكلام عن مصادر الاستشهاد النحوي ؛

---

[1] – السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، عبد الرحمان الحاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، دط ، 2007ْ ، ص 38- 39 .

[2] – في أصول النحو ، صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2005ْ ، ص 33 .

[3] – يُنظر ، في أدلة النحو ، ص 21- 22 ، و محاضرات في أصول النحو ، التواتي بن التواتي ، مطبعة روبغي ، الأغواط ، ط1 ، 2006ْ ، ص 66 .

[4] – م ن ، ص 66 .

[5] – في أدلة النحو ، ص 24 ، و أصول النحو في فكر الأنباري ، ص 154 .

[6] – يُنظر ، المدارس النحوية ، ص 46 وما بعدها ، و ص 159 وما بعدها ، و المفيد في المدارس النحوية ، إبراهيم عبود السامرائي ، دار المسيرة ، الأردن ، ط1 ، 2007ْ ، ص 29- 30 ى، ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 384- 385 ، وفي أدلة النحو ، ص 18 .

[7] – أخبار النحويين البصريين ، السيرافي، تح : محمد إبراهيم البنّا ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط14 ، 2006ْ ، ص 108.

[8] – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 384 .

والمتمثلة في :القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب شعره ونثره ، ويمكن أن يستنتج القارئ ذلك من تعريف السيوطي(ت911ﻫ) للسماع بقوله : " وأعني به : ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل : كلام الله – تعالى– وهو القرآن ، وكلام نبيه ﷺ، و كلام العرب قبل بعثته ، وفي زمنه ، وبعده ، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين نظماً ونثراً "[1].

موقف المزمّري من السَّماع :

يُمثِّل السَّماع عند الشيخ المزمّري ركيزة أساسية من ركائز الدرس النحوي عنده ، وقد ظهر ذلك جلياً في حديثنا عن مصادره في الاستشهاد النحوي .

ولأن السَّماع هو الأصل الأوَّل من ألأصول النحوية ، فإنّ محمد المزمري استند إليه ، واستدلَّ بمصادره على صحة الأحكام والقواعد النحوية والصرفية وتعضيدها .

ويمكن تلخيص موقفه من السماع اللغوي في النِّقاط التالية :

01/ رأينا كيف أنه كان يقبل الاستشهاد بالقرآن الكريم ويعتمد عليه في مختلف المستويات ، حيث كانت القراءة عنده ما ثبت سماعها ، وصحّ نقلها عن النبي ﷺ.

02/ لقد التزم الشيخ في الاستشهاد بالحديث النبوي طريقة أكثر النُّحاة وجمهورهم– كما رأينا–، وهو إقصاء الحديث الشريف عن مجال الاحتجاج به في النحو ، ولذلك لم يورد في مصنفاته سوى حديثين استدل بهما من الناحية النحوية .

03/ رأينا أنه التزم بما أجمع عليه اللغويون والنحويون في الاستشهاد بشعر الطبقات الثلاث الأولى، إلاّ ما كان منه في تصريحه بالاحتجاج بشعر المتنبي ، والحريري ، والبوصيري .

04/ كان يحتج بالنثر العربي ، ولغات العرب على صحة القاعدة النحوية .

أمَّا تفصيل ذلك وذكر بعض الشواهد والأمثلة التي طبَّق فيها المزمّري موقفه من السماع ومصادره ، فقد تمّ رصده في حديثنا عن مصادره في الاستشهاد النحوي بصورة موَّسعة .

3 – موقفه من القياس النّحوي :

تعريف القياس : **لغة** : يعني التقدير ، وهو من قولهم : قاس الشيء بالشيء ، وقاسه عليه قيساً وقياساً ، إذا قدّره على مثاله[2].

---

[1] – الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 96 .

[2] – يُنظر ، مادة (قيس) ، في أساس البلاغة ، ص 530 ، والقاموس المحيط ، ص 593 ، و مختار الصحاح ، ص 376.

الاصطلاح العام : إذا أخذنا القياس في أدنى معانيه ظهر لنا أنه عملية فكرية يقوم بها الفرد داخل جماعة لغوية، ويجري بمقتضاها على الاستعمال اليومي المطّرد في هذه الجماعة ، وهي حقيقة من حقائق الاجتماع اللغوي التي تنبني عليها الاستعمالات اللّغوية[1] .

الاصطلاح النحوي :هو حمل فرع على أصلٍ بعلة ، وبعبارة أخرى هو إجراء حكم الأصل على الفرع بجامع بينهما ، على حد تعريف الأنباري في لُمَعِهِ[2] .

والمفهوم من هذا التعريف أن القياس يقتضي عملية عقلية تُعطى فيها قضية حادثة حكم القضية السابقة لوجود العلة بينهما .

ومثّل ابن الأنباري لهذا التعريف بتركيب قياس في الدلالة على رفع نائب الفاعل قياساً على الفاعل ، فالأصل هو الفاعل والفرع هو نائب الفاعل والعلّة بينهما هي الإسناد والحكم هو الرّفع ، والأصل في الرفع أن يكون للفاعل الذي هو الفاعل ، وإنّما أُجري على الفرع الذي هو نائب الفاعل بالعلة الجامعة بينهما ، وهي الإسناد ، وعلى هذا النحو تركيب قياس كل قياس من أقيسة النّحو[3]، وعليه كانت فكرة الأصل والفرع هي عماد أصل القياس ودعامته ، وأضحى الأصل في النحو هو القاعدة والعلة والدليل[4] .

وفي خِضَمِّ هذا المضمار فإنّ هذا العمل الذي يقوم به الباحث اللغوي ممَّا سُمي قياساً يتطلب وجود أربعة معطيات ، يُسميها العلماء بأركان القياس ، إذ لا يتصور وقوعه عند فقدها أو فقد أحدها ، وهي[5] : الأصل ، والفرع ، والعلة ، والحكم .

كما أن حجيّة القياس أمر مُسلمٌ به لدى النحويين واللغويين ، ولم ينكره أحد ، إلاَّ ما كان من ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ) في حملته المعروفة على إلغاء بعض القضايا من الدرس النحوي، منها رفضه للقياس إذا لم ترد نصوص تؤيده [6].

---

[1] – القياس في النحو ، منى إلياس ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1985م ، ص09 .

[2] – لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 93 .

[3] – م ن ، ص 93 .

[4] – نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، حسن خميس الملخ ، دار الشروق ، الأردن ، ط1 ، 2001م ، ص25 .

[5] – لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 93 .

[6] – يُنظر ، الرد على النحاة ، (باب إسقاط العلل الثواني والثوالث) ، ص 72 ، وأصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 1997م ، ص 84 .

ويقول الأنباري في الرَّد على من أنكر القياس :" اعلم أن إنكار القياس في النَّحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حدِّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولا نعلم أحداً من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة "[1].

أقسام القياس : لقد قسّم العلماء والدارسين القياس إلى عدّة أقسام ، أشهرها[2] :

1/ قياس العلة : وهو حمل الفرع على الأصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الأصل[3] ، وينقسم هذا القياس إلى :

أ- **قياس المساوي** : ويتمثل في حمل الفرع على الأصل[4] ، مثل حمل نائب الفاعل على الفاعل الفاعل بعلة الإسناد[5].

ب- قياس الأولى : وهو حمل أصل على فرع ، أي كون العلة في الفرع أقوى منها في الأصل[6].

ج- قياس الأدون : وهو حمل ضد على ضد ، أي أن العلة في الفرع أضعف منها في الأصل[7].

2/ قياس الشبه : وهو حمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه بين الأصل والفرع غير العلة التي عُلق عيها الحكم في الأصل ، مثل إعراب المضارع قياساً على الاسم لتخصصه بعد شياعه وتشابههما في مواضع الحركات والسكنات[8].

3/ قياس الطرد : وهو وجود الحكم مع فقدان الإخالة في العلة المعينة لحكم ما ، كتعليل بناء ليس بعدم التصريف لاطراد البناء في كل فعل غير متصرف ، وإعراب ما لا ينصرف بعدم الانصراف لاطراد الإعراب في كل اسم غير منصرف[9].

---

[1] - لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 95 .

[2] - يُنظر ، م ن ، ص 105 وما بعدها ، و القياس في اللغة العربية ، محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1995م ، ص 21- 22 ، و القياس في اللغة العربية ، محمد الخضر حسين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط، 1986م ، ص 91 ، والقياس في النحو العربي (نشأته وتطوره) ، ص 41 وما بعدها .

[3] - لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 105 .

[4] - الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 160 .

[5] - لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 93 .

[6] - الاقتراح في علم أصول النحو ، ص 160 .

[7] - م ن ، ص 160 .

[8] - لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 106- 107 .

[9] - لمع الأدلة في أصول النحو ، ص 110 .

موقف البصريين والكوفيين من القياس :

لقد كان البصريون يبنون قواعدهم على الشواهد الكثيرة والصحيحة ، الموثوق بقائليها ، ولذلك كثُر عندهم الشذوذ ، كما تشدَّدوا في قبول الشواهد ، وغضوا الطرف في الأخذ بالقليل النادر ، ولم يقبلوا الشواهد المجهولة القائل أو القليلة النادرة ، وحكموا عليها بالشذوذ والضرورة[1] ، أما الكوفيون فقد اعتمدوا على كل مسموع عن العرب ، وقاسوا عليه ولو كان شاهداً واحداً ، وإن كان مجهول القائل ، فتوّسعوا في القياس ، وغزُرت المادة المسموعة عندهم وكثُرت ، وقلَّ عندهم الشذوذ وكثرت الأقيسة والأبنية ، لأنهم أقامُوا لكل مسموع وزناً وقاسُوا عليه وجعلوه أصلاً لقاعدة[2] .

موقف محمّد بن أُبّ من القياس :

اعتدّ الشيخ ابن أُبَّ المزمّري بالقياس اعتداداً واضحاً ، حيث تكرّر كثيراً مصطلح القياس في ثنايا مصنفيه (نيل المراد من لامية ابن المجراد ، وشرح روضة النسرين في مسائل التمرين) ، و ممّا يؤكد اهتمامه بالقياس أنه كان يجعله حَكَماً في قبول بعض القضايا النَّحوية والصرفية أو ردِّها ، بحسب موافقتها للقياس أو مخالفتها .

كما عبّر عن مصطلح القياس بأكثر من صورة ، فتراه أحياناً يُصرِّح به ؛ وهو كثير، وأحياناً أخرى لا يُصرِّح به وإنما يورده بألفاظ أخرى تعني القياس .

ومن تعابيره عن مصطلح القياس التي صرّح بها نجد قوله :

- " ...وعملت ما يقتضيه القياس بالمعنى المذكور..."[3].
- "... وحذفت ما في حُذف في الأصل قياساً... "[4] .
- " ...وقياس قول أناس آخرين... "[5].
- "... لأنه ليس في الفرع قياس يقتضي حذف إحدى الراءين..."[6].
- "... لأنه ليس في الفرع قياس يقتضي التغيير"[1].

---

[1] – يُنظر ، المدارس النحوية ، ص 159 وما بعدها ، و المفيد في المدارس النحوية ،ص 31- 32 .

[2] – يُنظر ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 376 وما بعدها ، و المدارس النحوية ، ص 159 وما بعدها ، و المفيد في المدارس النحوية ، ص 32 .

[3] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 92 .

[4] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 92 .

[5] – م ن ، ص 92 .

[6] – م ن ، ص 94.

- "...لأنه إنما يُحذف من الفرع ما حُذف من الأصل قياساً "[2].
- "...وكل جملة وقعت خبراً للمبتدأ فهي في محل رفع ،فهذه الجملة في محل رفع وقِسْ على ذلك ".[3]
- " ... لأنهم يحذفون ما حُذف في الأصل قياساً أو غير قياس"[4].
- " ... لأن القياس إذا بُني رباعي أو خماسي من ثلاثي ، أن تكرّر اللام"[5].
- " ... وقياس ما اجتمع فيه ثلاث ياءات أن تحذف الأخير حذفاً اعتباطياً على الأكثر"[6].
- " ... والحذف منه ليس قياس"[7].
- " ... لأنه يُحذف من الفرع ما يقتضي القياس حذفه في الأصل "[8].
- " ... وحذف تاء الإستفعال مع الهمزة غير قياس "[9].
- " ... ولو أعلّ بما يقتضيه القياس في الفرع ، لقيل ... "[10].

وأمّا التعابير التي كان يريد بها القياس لكنه لم يصرح بذلك ، فنجد قوله :

- " ... فحكم الأصل معتبر فيه من غير خلاف "[11].
- " ... لأنه لا يوجد في الأصل"[12]
- " ... فوجب أن يُحذف ذلك في الفرع "[13].
- " ... وهذا هو الأصل"[14].

---

[1] - م ن ، ص 94 .

[2] - م ن ، ص 95 .

[3] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 03 .

[4] - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 96 .

[5] - م ن ، ص 98 .

[6] - م ن ، ص 102 .

[7] - م ن ، ص 105 .

[8] - م ن ، ص 108 .

[9] - م ن ، ص 109 .

[10] - م ن ، 120 .

[11] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[12] - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 96 .

[13] - م ن ، ص 94 .

[14] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 08 .

- " ... وترجع الهمزة المنقلبة إلى أصلها"[1].
- " ... ولا يصح كونها حالاً من المنكر"[2].
- " ... لأن الأصل عدم التقدير"[3] .
- " ... لأن أصل (مسطار) ، (مستطار) ، وهو في الأصل (مستطير) "[4].
- " ... وهو ممنوع اتفاقاً "[5].
- "... فجائز اتفاقاً "[6].

وبعد ذكر هذه الشواهد والأمثلة ، يظهر لنا موقف المزمِّري من القياس ، الذي يمكن تلخيصه فيما يلي :

01/ اعتمد الشيخ على القياس كركيزة أساسية من ركائز الدَّرس النحوي والصرفي .

02/ عبّر عن القياس بلفظه المباشر ، واستخدم مصطلح القياس في كثير من المواضع كما مرَّ بنا .

03/ عبّر عن القياس بألفاظ أخرى دون تصريحه بمصطلح القياس ، وذلك مثل قوله : وهو جائز اتفاقاً، ولا يجوز أن يكون كذا ، وهذا هو الأصل ، فواجب أن يُحذف ذلك في الفرع ، وهو ممنوع اتفاقاً ، وشبه ذلك من العبارات التي عُجَّت بها أوراقه .

04/ إكثاره من استعمال كلمتي (الأصل ، والفرع) ، وهما عماد أصل القياس ودعامته .

05/ كان يُراعي موافقة القياس للقاعدة النّحوية والصرفية التي قرّرها النحاة ، وموافقة القياس لِما سُمع واطّرد سماعه عن العرب .

06/ كان يُعلّل للقاعدة المتفقة مع القياس ، وكذا المخالفة له ، ويكثر من ذلك بقوله "لأن" .

07/ كان يُؤول[7] النصوص المخالفة للقياس حتى تتفق معه ومع الكثير المسموع عن العرب .

---

[1] - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 104 .

[2] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17 .

[3] - م ن ، ص 19 .

[4] - شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، ص 108 .

[5] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21 .

[6] - م ن ، ص 29 .

[7] - يُنظر هذه التآويل ، في : نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص05- 06 - 09 - 10 - 13- 15- 17- 19 .

4 / موقفه من التعليل النحوي :

تعريف العلة : **لغة** : هي من الفعل (علَّل) ، الذي يدل على الطرد والتجدد ، ومعناه الشرب بعد الشرب ، أو السقي بعد السقي ، والعِلّة بالكسر هي المرض ، وتعلّل الأمر أي تشاغل أو تجزّأ، والحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً يمنع عن الشغل الأوّل[1] .

اصطلاحاً :العلة في عمومها هي بيان سبب وجود الشيء ، وتقريب ثبوت المؤثر لإثبات الأثر ، ويطلق على ما يُستدل قيه من العلة على المعلول[2] .

ويُعرِّفها الجرجاني (ت 816ﻫ) بقوله : " هي ما يتوافق عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه "[3]، كما أن العلة في النحو " ليست موجبة وإنّما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس ، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها "[4].

أقسام العلّة : يقسِّم الزجاجي (338ﻫ) العلّة إلى ثلاثة أضرب ، هي :

01 – العلّة التعليمية : هي التي يُتوصل بها إلى تعلم كلام العرب ، كأن تقول (إنَّ زيداً قائمٌ) ، فإن قيل بِمَ نصبت زيداً ؟ قلت :بـ (إنَّ) ، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ، لأننا سمعناه وتعلّمناه ونعلِّمه[5] .

02 – العلّة القياسيّة : ومثّل لها بالسؤال التالي : لِمَ وجب أن تنصب (إنَّ) الاسم في (إنَّ زيداً قائمٌ) ؟ فيقال لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول ، فحُملت عليه فعملت عمله لما ضارعته[6] ، ومن الواضح أن السؤال الذي أورده الزجاجي هنا يختلف عن السؤال الأول الوارد في العلّة التعليمية ، والذي كان الجواب فيه مقتصراً على الظاهر ، في حين أن الجواب على السؤال الثاني يتعدّاه إلى معرفة الأسباب ، وعليه يمكن تعريف هذه العلّة القياسية بأنها :" هي التي يتوصل بها إلى إثبات أصل

---

[1] – يُنظر ، مادة (علّل) في : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج 1 ، ص 44، وأساس البلاغة ، ص 433 – 434، والقاموس المحيط ، ص 1047، و مختار الصحاح ، ص 308.

[2] – نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ،حسن خميس الملخ ،دار الشروق ، الأردن ، ط1 ،2000م،ص 29.

[3] – التعريفات للجرجاني ، ص 88 ، نقلاً عن : العلة النحوية – تأريخ وتطور حتى نهاية القرن السادس الهجري – ، محمود جاسم الدرويش ، مطبعة السطور ، بغداد ، ط1 ، 2002م ، ص 18 .

[4] – الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تح : مازن المبارك ، دار النّفائس ، بيروت ، ط4 ، 1982م ، ص 64 .

[5] – م ن ، ص 64 .

[6] – الإيضاح في علل النحو ، ص 64 .

الحكم بالاعتماد ، أو بافتراض شبه بين المقيس والمقيس عليه "[1]، وهذه العلّة هي القسم الثاني من أقسام القياس التي رأيناها سابقاً ، وعنها يقول محمد الخضر حسين : " وقد يُبنى القياس على اشتراك المقيس و المقيس عليه في العلة التي تقع في ظنهم أن الحكم قائم عليها ، ويُسمى هذا الضرب قياس العلة "[2].

03 – العلّة الجدليّة النظريّة : وهي كل ما يعتل به في باب (إنّ) بعد هذا ، مثل أن يسأل السائل بعد السؤالين السابقين:فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ ،وبأي الأفعال شبهتموها ؟ ، أبالماضية ، أم المستقبلية ، أم الحالية ؟ ، وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها ؟ ، وأي علة دعتكم إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول ؟ ، ... ، وكل شيء اعتلَّ به المسؤول جواباً عن هذا السائل فهو داخل في الجدل والنّظر[3] .

ويكون الزجاجي بتقسيمه هذا قد جمع بين العلم النظري والتطبيق العملي ، بالأضافة إلى أنه قد عرَّف بما هو علة ضرورية للمعلمين المتطلعين إلى إتقان كلام العرب ، وما هو علة للقياس عللا هذا الكلام ، وما هو بعد ذلك نظري يتمرّس به المختصون من مجيء النظر والجدل ، فلا يختلط علينا الأمر ولا يتعثر بنا الطريق[4] .

موقف النّحاة من العلل : لقد ارتبطت البداية الحقيقية للتعليل بابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) ، فقد قيل إنه أوّل من علّل النحو[5] ، وإذا تقدّمنا مع الزمن فإنّنا نجد النّحاة من بعده وقفوا وقفوا مواقف متباينة من هذه العلل ونجملها في ثلاثة مواقف :

الموقف الأول : يرى أصحابه أن هذه العلل مجرد وسائل لإدراك ضوابط اللّغة من استنتاج العلماء، وليس من الضروري أن يكون العرب قد قصدوا هذه العلل في كلامهم[6] ، ويمثل هذا الموقف الخليل (ت175هـ) ؛ الذي يرى أن التعليل عملية نسبية يقوم على التأويل ، ولم تنقل عن كلام العرب بل

---

[1] – مدخل إلى أصول النحو ، محمد خان ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 56 .

[2] – القياس في اللغة العربية ، 91 .

[3] – الإيضاح في علل النحو ، ص 65 .

[4] – م ن ، مقدمة المحقق ، ص 19 .

[5] – يُنظر ، نزهة الألباء قي طبقات الأدباء ، ص 27 ، وطبقات الزبيدي ، ص 31 .

[6] – مدخل إلى أصول النحو ، ص 59 .

هي من تجريد وصنعة النحاة[1] ، وقد حذا حذوه تلميذه سيبويه(ت180هـ) الذي يقول : " وليس شيء يضطّرون إليه إلاّ وهم يُحاولون به وجهاً"[2].

ويبدو أن سيبويه أخذ هذا الزعم عن أستاذه الخليل الذي سُئل ذات مرّة عن العلل التي يعتلُّ بها ، أعن العرب أخذتها أم أخترعتها من نفسك ؟ ، فقال : " إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم يُنقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه ، فإن أكن أصبت العلّة فهو الذي التمست ، وإن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام ؛ وقد صحّت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة ، والحجج اللائحة ، فكلّما وقف هذا الرجل في الدار على شيءٍ منها قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا . سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك ، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة ، إلاَّ أن ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك ، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعاول فليأت بها"[3].

وعلى هذا الأساس يمكن أن يوافق ما ذهب إليه النحوي مقصد العرب من كلامهم ، وممكن ألاّ يُوافق .

الموقف الثاني : وهو فريق يرى أن للعرب وعياً بالعلل ، وأنهم كانوا يقصدونها في كلامهم[4] ، ويمثل ويمثل هذا الاتجاه ابن جني(ت392هـ) الذي عقد له باباً في الخصائص ، يقول فيه :" باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه ، وحملناه عليها ، اعلم أن هذا الموضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مُسكة وعِصمة ، لأن فيه تصحيح ما ندّعيه على العرب : من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا ، وهو أجزم لها ، وأجلّ بها ، وأدلّ على الحكمة المنسوبة إليها ، ... ألا ترى إلى اطّراد رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، والجر بحروف الجر ، والنصب بحروفه ، والجزم بحروفه ، ... فهل يحسن بذي لبٍ أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع،

---

[1] – الأصول ، ص 162 .

[2] – الكتاب ،ج1 ، ص 65 .

[3] – الإيضاح في علل النحو ، ص 66 .

[4] – ظاهرة التعليل في النحو عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص ، جاب الله يازيد ، مذكرة معدَّة لنيل شهادة الماجستير، في تخصص الدراسات اللغوية النظرية ، جامعة الجزائر ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2005/2004م، ص 127- 128 .

وتوارد اتّجه"[1].

ويكون ابن جني بهذا الكلام قد أكّد على أن العرب تكلّمت وفق القواعد النحوية ، وفي نفس الوقت كانوا يدركون علل ذلك ، ولكن الأمثلة التي ذكرها ابن جني تشير إلى العلّة التعليمية، أما القياسية والجدلية فلم يقصدها هؤلاء العرب ، ومردّ ذلك إلى الاختلاف الذي كان موجوداً فيهما ، بل ولعلّ من أسباب الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة منهج كل منهما في التعليل[2].

الموقف الثالث : فريق لا يُقرّ بالعلل القياسية والجدلية ألبتة ، ولا يرى من أنواع العلة إلاّ التعليمية التي بفضلها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر[3]، ويمثل هذا الاتجاه ابن مضاء الأندلسي(ت592هـ)؛ الذي سمى العلتين القياسية والجدلية بالعلل الثواني والثوالث ، وعقد لهما باباً في كتابه ، فقال :" اسقاط العلل الثواني والثوالث ، وممّا يجب أن يسقط من النحو : العلل الثواني والثوالث ، وذلك مثل سؤال السائل عن زيد من قولنا : (قام زيدٌ) : لِمَ رُفع ؟ فيقال : لأنه فاعل ، وكل فاعل مرفوع ، فيقول : لِم رفع الفاعل ؟ فالصواب أن يُقال له : كذا نطقت به العرب ، ... ولو أجبنا السائل عن سؤاله بأن نقول له : للفرق بين والمفعول لم يقنعه "[4].

ومن خلال هذا الكلام يتضّح لنا أن ابن مضاء لا يرفض العلل كلها ، ولا يرى عدم جدواها، بل أقرَّ العلة الأولى لفائدتها التعليمية .

موقف محمد بن أُبَّ من التعليل النحوي :

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن آثار المزمّري هي مصنفات تعليمية محضة ، ومن أجل نيل مبتغاه التعليمي فقد حرص على تبسيط وتعليل كل قاعدة أو ظاهرة ، ليزداد اهتمام وولوع الطلبة بها ، وهو لا يرجع في الغالب إلاّ إلى العلل التعليمية اللائقة بالمتعلم الناشئ ، كما نجده يذكر العلة التي يختارها بعقب الأحكام دون أن يشير إلى أنه يُعلّل ، ودون أن يقول (والعلة في ذلك كذا) ، فهو لا يُصرِّح باسم العلة ، وإنّما يكتفي بأن يقول (لأن) ، و (ذلك لأن) ، و (لأنه) ،و(لـ) ومن أمثله هذا التعليل الذي وُظِف بصورة كثيرة نذكر ما يلي :

---

[1] – الخصائص ، ج1 ، ص 210 .

[2] – مدخل إلى أصول النحو ، ص 60- 61 .

[3] – الرّد على النّحاة ، ص 69 .

[4] – م ن ، ص 68 .

– كان يرى أن الجملة تنسب إلى الفعل إذا تأخر في الكلام ، ويعلل ذلك بقوله : " هذا اللفظ الذي هو (عمراً رأيت) جملة فعلية ، لأن عمراً مفعول رأيت ، فهو في نية التأخير عن الفعل ، وكذا (خالداً أجره) ، لأن خالداً منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديره (رجى خالداً أجره) "[1].

– ويرى أن الجملة (كيف أتى زيد) هي كذلك فعلية ، ويعلل ذلك بقوله :" لأن الاسم الذي هو (كيف) حال من (زيد) ، فهو وإن صُدِّر وجوباً في نية التأخير عن الفعل العامل فيه ، وليس يصدَّر في أصل الكلام"[2].

– يقول في تفسير أصل البناء : " وإن قولهم من كذا مثل كذا يقتضي التغاير في صيغتي المبنى والمبنى منه ومادتيهما ، فلا يقال كيف تبني من (ضرب) مثل (خرج) ، إذ لا تغيير ، ولا من (ضرب) مثل (يضرب) ، إذ يتم الغرض بأن يُقال : كيف يكون مضارع(ضرب) ، وأنه لا يُبنى من شيء أقل منه ، كأن يُبنى من رباعي ثلاثي ، لأن ذلك هدم لا بناء"[3].

– يقول إن جملة (محمد أتى) ، هي جملة ذات وجهين ، وتسمى جملة كبرى ، ويعلّل سبب هذه التسمية بقوله :" وسُميت بذلك لأنها جملة بضمنها جملة أخرى مبنية على مبتدإها "[4].

– وعن جملة صلة الموصول وما أخذته من حكم ، وهو أنها لا محلّ لها من الإعراب ، يعلل بقوله : " لأنها بمنزلة الجزء من الاسم والجزء وحده لا محلّ له من الإعراب ، فكذلك (ما) هو بمنزلته– أي الاسم – ومثلها في عدم المحلية صلته ، أي جملة صلة الموصول"[5] .

– كما أشار إلى أن الجملة الحالية لا تقع طلبية ، وعلّل ذلك بقوله :"لأنها قيد لصاحبها ، والتقييد إنّما يكون بأمر ثابت مقرر موجود ، والطلبية لا تدل على شيء من ذاك "[6].

– يقول في بناء مثل (مُحَوِّيّ) من (ضَرَبَ)، وفي أصل (مُحويٌّ) : " قال فيه الأكثر (مُضَرّبِيٌّ) – بتشديد الراء – ، لأنه ليس في الفرع قياس يقتضي حذف إحدى الراءين ، والياء منه" ، ويواصل تعليله قائلاً :" لأن قولك (مُحَوِّيٌّ) نسبة إلى اسم الفاعل من حيا يحي "[7].

– عند احتجاجه للجملة الاعتراضية بـ (وأحسبني) من قول المتنبي :

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[2] – م ن ، ص 06 .

[3] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 93 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 06 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 09 .

[6] – م ن ، ص 12 .

[7] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 94 .

يَا حَادِيَي عِيرِهَا وأحسَبُنِي أوجَدُ مَيِّتاً قُبَيلَ أفقِدُهَا

يقول أنها اعتراضية لا حالية ، ويعلّل ذلك قائلاً:" إذ لا يجوز اقتران الحالية المبدوءة بالمضارع المثبت بالواو ، ... لأن المضارع مشابه للاسم فلا تدخل عليه الواو كما لا تدخل على الاسم"[1].

– يقول في التعليل لأصل البناء :" واعلم أن البناء المذكور إنّما يكون من الحروف الأصلية لا من الزوائد إن كانت ، حتى لو قيل لك كيف تبني من (مُسْتَغْفِرْ) مثل (جِذْعُ) ، لقلت : (غِفْرٌ) ، بحذف الزوائد"[2].

– يرى بأنه لا محل لجملتي الشرط من قوله تعالى :﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾[الأسراء ، الآية 08] ، وقوله : ﴿وَإِنْ يَّتَفَرَّقَا يُغْنِ االلهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾[النساء ، الآية 129] ، ويعلِّل ذلك بقوله :"فلا محلّ لجملة الشرط في المثال الأول، لأن المحكوم بموضعه بالجزم إنّما هو الفعل الماضي وحده لا الجملة بأسرها ، ولا فيما بعده لظهور الجزم في المضارع"[3].

– يعرب جملة (يشتكون) من قول البوصيري :

وَأتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أذَاهَا وَرَخَاء يُودِي الأنَامَ غَلاَءُ

على أنها حال للمعرّف الذي قبلها ، ويعلل بقوله :" لأن الجملة في تأويل النكرة ، فلو جعلناها نعتاً بعد المعرفة لأدى إلى نعت المعرفة بالنكرة ، وذلك تناقض"[4].

– ويقول بأن أصل (إيويًّا) هو (إئْويْيَ) ، ويفسِّر ذلك بقوله :" قلبت الهمزة الثانية ياءً وجوباً ، ثم أدغمت الياء التي بعد الواو في الياء بعدها ، وقلبت الياء الأخيرة ألفاً لِما مرّ ، فصار (إيْوَيًّا) ، ولم يدغم الياء في الواو " ، ويعلّل ذلك قائلاً :" لأن الهمزة همزة وصل ، فلو وصلت حذفتها ، وترجع الهمزة المنقلبة ياء إلى أصلها ، فتقول : قال (إئْوَيًّا) ، فلذلك لم يدغم بخلاف مثل (إوزة) ، لأن الهمزة همزة قطع "[5].

– يعلّل عن الزوائد بأنها لم تتعلق بقوله : " لأن معنى التعليق الارتباط المعنوي ، ... والزوائد إنما دخلت الكلام تقوية له وتوكيداً ولم تدخل للربط ، فلهذا كانت لا تتعلق بشيء"[6].

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 12 .

[2] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 93 .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 13 .

[4] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 17 .

[5] – شرح روضة النسرين في مسائل التمري ، ص 104 .

[6] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .

– يرى أن السبب في عدم تعليق أحرف الاستثناء (خلا، عدا ، حاشا) هو : " وإنّما لم تتعلق بشيء لأنها لا تغني الفعل إلى الاسم ، أي لا توصل معناه إليه"[1].

– يقول إن أصل (قِرَأْيٌ) ، (قِرَأْءُ) بهمزتين ويعلل ذلك قائلاً:" قلبت الثانية ياءً لتصرفها ، وقلبت ياءً لا واواً ، لأن وقوع اللام ياءً أكثر من وقوعها واواً "[2].

إلى غير ذلك من الأمثلة التي وظفها الشيخ قاصداً بها التعليل على القاعدة النحوية أو الظاهرة الصرفية ، وهو ما يعكس لنا حرصه على إقناع سامعيه وقارئيه من الطلبة وغيرهم .

5 / نظريّة العامل النّحوي :

مفهوم العامل : كلمة العامل في اللغة هي اسم فاعل من عمل يعمل عملاً ، والعوامل الأرجُل ، والرجل يعتمل لنفسه ، ويستعمل غيره ويعمل رأيه ، وعمل الشيء في الشيء أحدث نوعاً من الإعراب[3].

أما في الاصطلاح النحوي ، فقد لاحظ اللغويون العرب منذ بداية دراستهم لكلام العرب اختلافاً تجلى في أواخر الكلمات المعربة ، وكان من شأن ذلك الاختلاف أن يلفت نظرهم إلى التفكير في أسباب وجوده وما هي ؟ ، وما الذي أوجد الضمة والفتحة والكسرة في الكلام ؟ ، واستقرّ في عقلهم أنه لا مرفوع إلاّ برافع ولا منصوب إلاّ بناصب ، ولا مجرور إلاّ بجارٍ ، فهذه الحركات الإعرابية هي أثر لمؤثر أوجدها ، وهو الذي سموه بفكرة العامل[4].

وعليه ، فالعامل هو كل ما يؤثر في غيره من رفع أو نصب أو جر أو جزم ، على حساب اختلاف هذه العوامل[5] .

أقسام العامل : اتفق الجمهور على اعتماد العوامل النحوية ، وإن كانت محل خلاف بين المدارس النحوية ، كما اجتمعوا أيضاً على أنها تنقسم إلى قسمين لفظي ومعنوي[6].

---

[1] – م ن ، ص 21 .

[2] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 119 .

[3] – يُنظر ، مادة (عمل) في : القاموس المحيط ، ص 1049 ،و المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ج2 ، ص 127– 128 ، وأساس البلاغة ، ص 435– 436 ، ومختار الصحاح ،ص 310 .

[4] – نظرية العامل في النحو العربي (عرضاً ونقداً) ، وليد عاطف الأنصاري ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، ط2 ، 2006م ، ص 43 .

[5] – م ن ، ص 47 .

[6] – يُنظر ، المدارس النحوية ، ص 38 ، و نظرية العامل في النحو العربي ، ص 53 ، و مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2003م ، ص 33 .

يرى عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابه العوامل ، إن العوامل في النحو مائة عامل ، ستون منها تُسمى عاملاً وثلاثون منها تُسمى معمولاً ، وعشرة منها تُسمى عملاً وإعراباً ، والعامل على ضربين لفظي ومعنوي[1] .

01 – العوامل اللّفظيّة : وهي ثلاثة أنواع :

أ / الأفعال : أدرك النحويون أنها أقوى القرائن التي ترتبط بها حالات الأعراب ،فهي ترفع الفاعل وتنصب المفعولات كلها ، كما تنصب الحال والتمييز ، بل أنها تعمل في ما تقدّم عليها وفي ما تأخّر ،والأفعال كلها عاملة ، تامها ، وناقصها ، ومتصرفها ، وجامدها[2].

ب / الحروف : يرى النحاة أن بعض الحروف عامل ، وبعضها الآخر غير عامل ، ومن الحروف العاملة :حروف الجر ، وجوازم المضارع ونواصبه ، حروف الشرط ، والحروف المشبهة بليس[3] .

ج / الأسماء : يرى النّحاة أن الأصل في الأسماء ألاّ تعمل ، لأن الإعراب خاص بها ، وهو ما يعني أنها معمولات لا عوامل ، ولكن لاحظوا أن بعض هذه الأسماء أشبه الفعل فعمل عمله ، وبعضها الآخر ضُمن معنى الحرف أو ناب عنه فعمل عمله ، ومن هذه الأسماء العاملة نجد : المصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ، واسم التفضيل ، وصاحب الحال ، وصاحب التمييز ، وأسماء الشرط ، والمضاف[4] .

02 – العوامل المعنويّة : وهي عوامل يدل عليها اسمها ، إذ تعتبر معنى من المعاني لا نطق فيه ، وهو معنى يُعرف بالقلب ليس للفظ فيه حظ[5] ، ونذكر من هذه العوامل :

الابتداء : وهو عامل بصري ، يرفع المبتدأ ، وأما الخبر فقد يرتفع بالابتداء وحده ، أو بالمبتدأ وحده ، أو بهما معاً على خلاف بينهم[1] .

---

[1] – متون في اللغة العربية ، العوامل ، عبد القاهر الجرجاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2005م ، ص 87 .

[2] – يُنظر ،العوامل ، ص 91 ، و نظرية العامل في النحو العربي ، ص 56 وما بعدها ، و أصول النحو العربي ، الحلواني ، ص 149 وما بعدها .

[3] – يُنظر ، العوامل ، ص 87 وما بعدها ، و نظرية العامل في النحو العربي ، ص 59- 60 ، وأصول النحو العربي ، الحلواني ، ص 153 وما بعدها .

[4] – يُنظر ، العوامل ، ص 91 ، و نظرية العامل في النحو العربي ، ص 61 وما بعدها ، و أصول النحو العربي ،الحلواني ، ص 161 وما بعدها .

[5] – نظرية العامل في النحو العربي ، ص 53 .

وقوع الفعل المضارع موقع الاسم : وهو كذلك عامل بصري ، ومفاده :إن الفعل المضارع أُعرب لمضارعته الاسم ، والمضارعة المشابهة ، فالفعل المضارع يشبه الاسم في إبهامه وتخصيصه[2] .

الخلاف ، والصرف : وهما من العوامل الكوفيه ، وقد سبق لنا وأن عرّفنا بهما في الحديث عن المصطلحات الكوفية .

التجرّد أو التعري : وهو عامل كوفي ، مؤداه : إن الفعل المضارع يُرفع إذا لم تدخله النواصب والجوازم ، فهو معرى أو مجرد منها[3].

فكرة العامل بين القدماء والمحدثين :

ما من ريب في أن قدماء النحاة العرب أجمعوا على موقف القبول العام لفكرة العامل ، كما تدل عليه آثارهم ، ابتداءً بالإعراب الذي كان نتيجة وعي أبي الأسود الدؤلي(ت69ﻫ) بدلالة علامات الإعراب على وجود أسباب أسفرت عنه ، ومروراً بجهود ابن أبي إسحاق (ت117ﻫ) في تعليل الظواهر النحوية ، والتي جعلته أول من ينسب إليه مدّ الكلام في علله وعوامله ، ووقوفاً عند تعليلات الخليل (ت175ﻫ) التي لم يدَّع لها الإصابة المطلقة في إجابته على السؤال الذي وُجِّه إليه إزاءها ، وليس مستغرباً أن يسير على خطاه تلميذه سيبويه(ت180ﻫ) الذي عجَّ كتابه بالعوامل[4] .

أما نحاة الكوفة فهم أقلّ من البصريين إمعاناً في هذه الفكرة ، رغم تأثيرهم بالمنهج الكلامي، وكان منهجهم أقرب إلى روح المنهج اللغوي من منهج البصريين[5] .

وأما ابن جني(ت392ﻫ) الذي يقول في كتابه الخصائص :" وإنّما قال النحويون : عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه ، ... وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ... فأما الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنّما هو للمتكلم نفسه ، لا لشيء غيره ، وإنّما قالوا : لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم

---

[1] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ،ج1 ،(المسألة 05)، ص 38 ، و التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبي البقاء العكبري ، تح : عبد الرحمان بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1986ˈ ،(المسألة 28) ص 224– 225 ، والمدارس النحوية ، ص 38 ، ونظرية العامل في النحو العربي ، ص 66 ،

[2] – يُنظر ، أسرار العربية ، ص 48 ، ونظرية العامل في النحو العربي ، و مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، ص 78، وأصول النحو العربي ، الحلواني ، ص 169 .

[3] – يُنظر ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 293 ، والمدارس النحوية ، ص 205 ، ونظرية العامل في النحو العربي، ص 77 .

[4] – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 257 وما بعدها .

[5] – م ن ، ص 263 .

بمضامة اللفظ للفظ "[1] ، فكان قصده كشف النّقاب عن طبيعة العامل ، كما أن الكلمة عنده ليست لديها القدرة على التأثير في غيرها من الكلمات وإحداث العمل ، بل إنَّ المتكلم بكلام العرب هو الذي يحدث هذا العمل[2] .

وعلى نفس الشاكلة ذهب الأنباري(ت577ﻫ) ، الذي يرى أن العامل مجرد أمارة وعلامة ، وليس له تأثير حسي كالماء والنار[3] .

وإذا تقدّمنا مع الزمن ، فإنّنا نجد ابن مضاء (ت 592ﻫ) يُنادي بإلغاء نظرية العامل من النحو العربي ، وينسبه للمتكلم لا للألفاظ ؛ وهي كلمة سبقه بها ابن جني ، بل ذهب إلى أبعد من هذا فقال :" وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل ، لا لألفاظها ولا معانيها ، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع "[4].

أما اللغويون المحدثون العرب ، فقد انبهر كثير منهم بدعوة ابن مضاء ، وطفق يؤيدها بما يوصله تفكيره من مبررات ، كما فعل الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو ؛ فنفي أي أثر للكلمات في بعضها البعض ، وأن الفتحة عنده ليست علماً على أي معنى ، وإنما هي الحركة المستخفة عند العرب[5] ، كما يرى أن الإعراب ليس أثراً للعامل الذي قال به النحويون ، بل هو ممّا يحدثه المتكلِّم في تأليف الجملة ونظم الكلام[6] .

وبمضي الزمن يطلع الدكتور تمام حسَّان على الدارسين بنظرية تُغني – في نظره– عن نظرية العامل، في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ، ويُسميها بنظرية قرائن التعليق المعنوية واللّفظية ، ويقول إنه استلهمها من عبد القاهر الجرجاني بأخذه مصطلح (التعليق) منه[7] .

موقف المزمّري من نظرية العامل :

لقد تبع الشيخ المزمّري جمهور النُّحاة الذين يقولون بفكرة العامل في النحو العربي ، وكان متأثراً بذلك تأثراً ظاهراً بهذه النظرية في مصنفاته .

---

[1] – الخصائص ، ج1 ، ص 111 .

[2] – يُنظر ، ظاهرة التعليل في النحو عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص ،ص 115 وما بعدها ، و نظرية العامل في النحو العربي ، ص 50 .

[3] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1 ،(المسألة 05) ، ص 39- 40 .

[4] – الرّد على النحاة ، ص 14 .

[5] – إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2003ْ ، (مقدمة المؤلف ، ص ز) .

[6] – م ن ، ص 04 .

[7] – اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 180 وما بعدها .

وتتمثل مظاهر اهتمامه بهذه النظرية فيما يلي :

01 / العناية بذكر العامل وتحديده إذا كان ظاهراً : ومن أمثلة هذا البند نجد ما يأتي :

- يعرِّف الإعراب بقوله :

إنّ الدُّخُولَ عَامِلٌ تَغَيَّرَا آخِرُ كِلمَةٍ فَإعْرَابٌ طَرَا [1]

- كان يرى أن الفعل أصل في العمل[2] .

- في حديثه عن (رُبَّ) يقول : " والعامل فيه عند سيبويه محذوف ، أي رأيت أو وجدت "[3]

- نجده يسمي أبواب النواسخ في معالجة لمقدمة ابن آجروم بتسميات يذكر فيها مصطلح العامل ، وهي : فصل في عمل كان وإنّ وظن وأخوات الكل في المبتدأ والخبر[4] ، باب ذكر العوامل الداخلة على المبتدأ و الخبر[5] ، باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر[6] .

- وتراه يقسم العامل إلى لفظي ومعنوي كما قسَّمه النحاة ، ويظهر ذلك من إشارته إلى العامل اللفظي في الأبيات التالية :

وَمَا مِن اسْمٍ ذِي ارْتِفَاعٍ فَقَدَا عَوَامِلاً لَفظِيَّةً فالمبْتَدَا [7]

وفي نفس الباب من كشف الغموم يقول :

ومَرْفُوعَ الاسْنَاءِ ادْعُ مُبْتَدءاً إذَا عَنِ العَامِلِ اللَفظِي قَدْ بَانَ مَنزِلاَ[8]

ويقول كذلك في نظمه على مقدمة الآجرومية :

المبْتَدأ اسْمٌ مِن عَوَامِلٍ سَلِمْ لَفظِيَّة وهْوَ بِرَفْعٍ قَدْ وُسِم [9].

02 / تقدير العامل إذا لم يكن ظاهراً : ومن أمثلة ذلك نذكر :

- يقول عن النداء (يا زيد) : " تقديره (أدعوا زيدا) ، فحذفن أدعوا لنيابة ياء النداء عنه"[10].

---

[1] - نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، باب الإعراب .

[2] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 23 .

[3] - م ن ، ص 20 .

[4] - نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم .

[5] - كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .

[6] - نظم مقدمة ابن آجروم .

[7] - نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، باب المبتدأ والخبر .

[8] - كشف الغموم في مظم مقدمة ابن آجروم ، باب المبتدأ والخبر .

[9] - نظم مقدمة ابن آجروم ، باب المبتدأ والخبر .

[10] - نيل المراد من لامية ابن المجراد ن ص 05 .

– يرى بأن جملتي الشرط ، من قوله تعالى :﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾[الانشقاق ، الآية 01]، وقوله: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾[التوبة، الآية 06] ، فعليتين ، وصدر الجملة في الحقيقة فعل مقدّر بعد (أن) يفسره الظاهر ، والتقدير (أتاك زيد أتاك) من قولك (أتاك زيد)[1].

– يرى أن جملة(أفي الدار زيد) تحتمل الوجهين ، الاسمية والفعلية ، ويقول : " فعلى احتمال كون (زيد) مبتدأ خبره ما قبله أو مرفوعاً على أنه فاعل أغنى عن الخبر بمبتدأ مقدّر تقديره (كائن ، أو مستقر) ، فالجملة اسمية ، وعلى احتمال كونه فاعلاً بـ (استقر) أو نحوه فالجملة فعلية "[2].

– في حديثه عن الجملة التفسيرية نراه يُقدِّر بعض العوامل،ومن ذلك قوله تعالى :﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر ، الآية 49] ،فيقول ابن أُبّ :" إذا التقدير :إنّا خلقنا كل شيء خلقناه "[3].

– في إعرابه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَذِي فِي السَّمَآءِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف ، الآية 84] ، يقول :" فالمجرور متعلق بـ (الله) لتأويله بمعبود ، وهو ممّا يشبه الفعل وهو خبر لـ (هو) محذوفاً ، والتقدير : وهو الذي هو إله في السماء "[4].

03 / الحديث عن بعض أحكام العامل وقضاياه : ومن أمثلة ذلك قوله في تعريف التعليق :" هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام "[5].

04 / العناية بتعيين متعلق الجار والمجرور ، والظرف : ومن أمثلة ذلك :

– في حديثه عن الجملة الاعتراضية بين المعطوف عليه والمعطوف ، يمثل لها بقوله (درهم ذا في الكيس) ، ويقول :"إذ يُحتمل أن يكون متعلق المجرور فعلاً كـ (استقر) ، فيكون جملة كبرى ، أو اسم فاعل كـ (مستقر) فيكون جملة صغرى"[6].

– وتراه يقول :" وكل حروف الجر ؛ أي الخفض بالفعل غُلِّقت ، أي رُبطت ، والتعليق الارتباط نحو : ءامنت بالله وصليت على نبيه "[7].

– يرى بأن المجرور (في قومه) من قولك (فلان حاتم في قومه) ، متعلق بحاتم[1] .

---

[1] – م ن ، ص 06 .

[2] – م ن ، ص 06 .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 10 .

[4] – م ن ، ص 19 .

[5] – م ن ، ص 14 .

[6] – م ن ، ص 07 .

[7] – م ن ، ص 18 .

– يقول عن حروف الجر المتعلقة : وقيل المتعلق الجار والمجرور معاً ، ورجّحه بعضهم سوى ستة فلا تتعلق بشيء ؛ وهي: 1/ الاستثناء ، 2/ لا الامتناعية عند من جعلها حرف جر وهو سيبويه إذا وليها ضمير متصل مثل (لولاي ، لولاك ، لولاه) ، 3/ أحرف الاستثناء(خلا، عدا، حاشا) ، 4/ لعل الجارة في لغة من يجرون بها وهم عقيل ، 5/ حرف الجر الزائد رُبَّ ،6/ الحرف الزائد في المبتدأ مثل الكاف من قولك : كغريب في البيت[2] .

– يرى بأن حروف الجر تتعلق بأحرف المعنى كحروف النفي وحروف النداء[3] .

– جواز تعليق حروف الجر بالفعل إن يك ناقصاً ككان وأخواتها[4] .

– أما عن الظرف فيقول :" وما قلناه في المجرور ، فالظرف مثله لدى التعلق ، ... فالظرف يُساوي المجرور في جميع ما ثبت لم من الأحكام المقدمة"[5].

ب – موقفه من آراء النحاة :

لم يكن محمد المزمّري مجرد ناقل لآراء النُّحاة في آثاره ، بل كان له رأيه وموقفه الخاص من المسائل النحوية ، ولذا ظهرت له بعض الآراء الموافقة للمذهب البصري ، وبعض الآراء موافقة للمذهب الكوفي ، ونذكر فيما يلي شواهد لبعض هذه الآراء :

01 / ما وافق فيه البصريين : وهي آراء كثيرة وظفها الشيخ المزمّري داخل مصنفاته ، ونأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

1 – أصل اشتقاق الاسم من "السمو" : ونلمس ذلك في قوله :" دِعْوٌ – بكسر الدال وضمها– مثل :(اسم) ، فإن أصله (سِمْوٌ) – بكسر السين وضمها– "[6]، ويكرّر ذلك في موضع آخر بقوله: " أصل (اسم) سِمو أو سُمو"[7]، في حين أن الكوفيين يرون أن الاسم مشتق من الوسم[8] .

---

[1] – م ن ، ص 19 .

[2] – م ن ، ص 19 وما بعدها .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21 .

[4] – م ن ، ص 21 .

[5] – م ن ، ص 25 .

[6] – شرح روضة النّسرين في مسائل التمرين ، ص 95 .

[7] – م ن ، ص 100 .

[8] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 01) ، ص 08 ، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 04) ، ص 132 ، و مسائل خلافية في النحو ، العكبري ، تح : عبد الفتاح سليم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 2004ْ ، (المسألة 04) ، ص 55 .

2 – رافع المبتدأ هو الابتداء : وجاء ذلك في قوله في باب المبتدأ والخبر[1] :

المُبْتَدَا اسْمٌ مِنْ عَوَامِلٍ سَلَمْ لَفْظِيَّة وَهْوَ بِرَفْعٍ قَدْ وُسِمْ

فقوله (من عوامل سلم لفظية) ؛ يعني به التعرية من العوامل اللّفظية[2]، وقال ابن الخشاب :" ومجموع هذه الصفات هو الابتداء"[3] ،

وهو على خلاف الكوفيين الذين يرفعون بالمبتدأ بالخبر ، وهو عامل لفظي[4] .

3 – ناصب المشغول عنه هو فعل محذوف وجوباً يفسره الفعل الظاهر : ويظهر ذلك جلياً في قوله :" ... وكذا (خالداً أجره) ، لأن خالداً منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديره (رجى خالداً أجره) "[5] ، أما الكوفيون فيرون أنه منصوب بالفعل الواقع على الهاء[6] .

4 – حاشا في الاستثناء هي ذات وجهين (حرف جر ، وفعل) : وهو رأي أبي العباس المبرد(ت285هـ) من البصريين[7]، وجاء ذلك في قوله[8] :

وَانْصبْ وأجْرِرْ مَا بِحَاشَا وعَدَا خَلاَ قَدْ اِسْتَثْنَيْتَهُ مُعْتَقِدَا

فِي حَالَةِ النّصْبِ بِها **الفِعْلِية** وَحَالَةِ الجَرِّ بِهَا **الحَرْفِيّة**

ويقول في نيل المراد من لامية ابن المجراد :" ...يعني خلا وعدا وحاشا ، إذا الخفض في الاسم الواقع بعدها أتى على أنها حرف جر "[9]، وهنا نراه يقول بوجه واحد وهو : حرف الجر؛ وهو رأي باقي البصريين ، أما الكوفيون فيرون أنها فعل ماض[10] .

---

[1] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب المبتدأ والخبر .

[2] – مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أُبّ لآجروم ، ص 31 .

[3] – التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ،(المسألة 27) ، هامش ص 224 .

[4] – يُنظر ، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 27) ، ص 224- 225 ، و الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 05) ، ص 38 ، وأسرار العربية ، ص 72 .

[5] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[6] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 (المسألة 12) ، ص 69 ، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، (المسألة 37) ، ص 266 ، والمدارس النحوية ، ص 185 .

[7] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 37) ، ص 226 .

[8] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب الاستثناء .

[9] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 21 .

[10] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 37) ، ص 226 ، و التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 69) ، ص 410 .

5 – عامل الرّفع في الاسم المرفوع بعد (إن) الشرطية هو فعل مقدّر يفسره الفعل الظاهر : وجاء ذلك في قوله :"... وكذا (إن زيدٌ أتاك) ، لأن (إن) الشرطية ممّا يختص بالفعل ، فصدر الجملة في الحقيقة فعل مقدّر بعد(إن) يفسره الظاهر ، والتقدير (أتاك زيدٌ أتاك) ، على حدِ :وإنْ أحَدٌ مِنَ المشْرِكِينَ اسْتجَارَكَ "[1] ، وذلك على خلاف الكوفيين الذين يذهبون إلى أن عامل الرّفع هنا هو ما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل[2] .

6 – رُبَّ هي حرف جر : ووظّف ذلك في قوله :" إن رُبّ حرف جر يجر النّكرات ، ولا بد لمجرورها غالباً من الصفة "[3] ،كما تراه يجعلها ضمن حروف الجر من قوله[4] :

وَبِحُرُوفِ الجَرِّ وَهْي مِنْ إلَى وَعَنْ وَفِي وَ**رُبَّ** والبَا وَعَلَى
والكَافُ واللاَم و واوٌ والتَا وَمُذْ وَمُنْذُ ولَعلّ حَتّى

في حين إن الكوفيين يذهبون إلى أن (رُبَّ) اسم[5] .

7 – وزن (سيّد) هو (فيعل) : و يتجلى ذلك في قوله : " والأصل (إئويٌ) ، قلبت الهمزة الثانية ياء وجوباً لسكونها بعد همزة مكسورة ، ثم قلبت الواو ياء ، وادغم فيها اليا كـ (سيّد) "[6]، فهو ذكر وزن وزن (سيّد) على خلاف الكوفيين الذين يذهبون إلى أن (سيّد) هي على وزن (سويد) أي (فُعيل)[7] .

8 – تقدير الجار والمجرور والظرف ، حين يقعان خبراً أو صفة أو حالاً : وجاء ذلك في قوله :" إذ يُحتمل أن يكون متعلق المجرور فعلاً كـ (استقرّ) ، أو اسم فاعل كـ (مستقر) "[8]، وهو ما كان يفعله

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 06 .
[2] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2 ، (المسألة 85) ، ص 504 .
[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 20 .
[4] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب الكلام .
[5] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 (المسألة 121) ، ص 686 ، و مسائل خلافية في النحو ، (المسألة 07) ، ص 110- 111 .
[6] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 101- 102 .
[7] – الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 ، (المسألة 115) ، ص 656 .
[8] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 07 .

البصريون ، عكس الكوفيين الذين كانوا يُعرِبون الظرف مثلاً حين يقع مبتدأ في مثل (محمد عندك) ، خبراً منصوباً على الخلاف[1] .

9 – عامل النصب في المنادى هو فعل محذوف لا يُذكر لنيابة (يا) عنه : وورد ذلك في قوله :"... وكذا (يا زيدُ) ، لأن التقدير (أدعو زيداً) ، فحُذفت (أدعو) لنيابة ياء النداء عنه "[2]، وهو على خلاف الكوفيين الذين ينصبون المنادى بـ (الياء) وأخواتها[3] .

10 – ظن تنصب المبتدأ والخبر على أنهما مفعولان لها : ويظهر ذلك من قوله[4] :

ونَصْبُهُمْ لِلْمُبْتَدَا والَّذِي يَلِي بِظَنَّ وَمَا مَعْهَا مِنَ الكَلِمِ انْجَلاَ

فهو هنا يذهب مذهب البصريين ، لا الكوفيين الذين يرون في ذلك أن (ظن) تقتصر على نصب الأول على المفعولية ، في حين أن الثاني منصوب على الحالية[5] .

11 – النّكرة لا تؤكّد : وثبت ذلك في قوله[6] :

وَتَوكِيدُهُمْ يَتْلُو المؤَكَّدِ دَائماً فِي الإعْرَابِ والتّعْرِيفِ لاَ غَير فَاسْتَلاَ

حيث تبع البصريين الذين يشترطون التعريف في التوكيد ، خلاف الكوفيين الذين يذهبون إلى أن توكيد النكرة جائز[7] .

12 – المنادى المفرد مبني : وجاء ذلك في قوله في باب المنادى[8] :

إنّ المنَادَى فِي الكَلاَمِ يأتِي خَمْسَةَ أنْوَاعٍ لَدَى النُّحَاةِ
المفْرَدُ العَلَمُ ثُمّ النّكِرة أعْنِي بِها المقْصُودَة المشْتَهرَة
كَذَاكَ ضِدُ هَذِهِ فَانْتَبِهِ ثُـمّ المضَـاف والمشَبَّهِ بِهِ
فالأوّلان ابْنِهِمَا بِالضَّمِّ أوْ مَا يَنُوبُ عَنْهُ يَا ذَا الفَهْمِ

---

[1] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 29) ، ص 197 ، و التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 33) ، ص 249 ، و المدارس النحوية ، ص 210 .

[2] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 05 .

[3] – يُنظر ، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 80) ، ص 442 ، و أسرار العربية ، ص 173 .

[4] – كشف الغموم في مظم مقدمة ابن آجروم ، باب ظن وأخواتها .

[5] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 ، (المسألة 119) ، ص 676 ، وأسرار العربية ، ص 129- 130 .

[6] - كشف الغموم في مظم مقدمة ابن آجروم ، باب التوكيد .

[7] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 ، (المسألة 63) ، ص 369 ، وأسرار العربية ، ص 211- 212 .

[8] – نظم مقدمة ابن آجروم ، باب المنادى .

فالقارئ للبيت الأخير ، يظهر له رأي المزمّري في بناء المنادى المفرد ، عكس الكوفيين الذين يذهبون إلى أن المنادى الفرد مُعرب[1] .

وشبه ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تشيع فيها محمد المزمّري للمدرسة البصرية .

02 / ما وافق فيه الكوفيين : وهي آراء قليلة جداً ، بل نادرة ، إذ قلّما تراه ينحاز إلى رأي الكوفيين في بناء القواعد النحوية والصرفية ، إلاّ في مسألة واحدة وهي :

– رافع الفعل المضارع هو التجرّد من عوامل النصب والجزم : وجاء ذلك في قوله في باب الأفعال :

ثُمّ المضَارِعُ الذِي في صَدْرِهِ إحْدَى زَوائِدُ أنَيْتُ فَادْرِهِ
وَحُكْمُهُ الرَّفْعُ إذَا يُجَرَّدُ مِنْ نَاصِبٍ وَجَازِمٍ كَتَسْعَدُ

فبعد تعريفه للفعل المضارع ؛ الذي تتصدره بعض الزوائد المجموعة في (أنيت) ، يأتي بحكمه وهو الرفع إذا تعرّى أو تجرّد من عوامل النصب أو عوامل الجزم ، وهو ما ذهب إليه الفراء من الكوفيين ، والأخفش الأوسط من البصريين ، وتبعهما في ذلك من المتأخرين ابن هشام الأنصاري، وأما البصريون فقالوا : إن المضارع يرتفع لوقوعه موقع الاسم ، وهي مسألة اختلفت فيها الآراء بين النحاة ، بل حتى عند أصحاب المذهب الواحد[2] .

و عليه، يمكن أن يكون مبتغاه التعليمي ، وهو الذي جعله يبتعد عن حشو مؤلفاته بالخلافات النحوية ، إذ قدّم إلى تلاميذه –كما رأينا– آراء موّحدة دون النزوع إلى تلك الخلافات إلاّ نادراً طلباً للسهولة ، وتجنباً للتعقيد .

03 / اختياراته النحوية: كما نعلم أن النحو قد اكتمل على أيدي الأوائل ، وما ترك الأول للآخر شيئاً سوى الاجتهاد ، ودليل ذلك أن الأبواب النحوية منذ سيبويه إلى اليوم لم تتغير مثل الفعل، والفاعل، والصفة، والتمييز ، والحال ، وغيرها من الأبواب ، وإنما أُضيف إليها شيء من الاجتهاد بعد التعمق والدراسة ، ومن آراء الشيخ المزمّري الخاصة به نجد :

– نراه في حديثه عن جملة جواب القسم يقول : " وإن تقع الجملة أيضاً لليمين متعلق بـ (تقع) ،أي للقسم ، جوابه حال من فاعل تقع جرّ به على غير الغالب مجيء الحال بلفظ المعرفة مؤولاً بنكرة كـ (أجتهد وحدك) ، أي منفرداً ، فيؤول جوابه ... والأولى عندي أن يتعلق المجرور بمحذوف

---

[1] – يُنظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 ، (المسألة 45) ، ص 264 ، و التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، (المسألة 78) ، ص 438 ، و مسائل خلافية في النحو ، (المسألة 13) ، ص 124 .

[2] – يُنظر هذه الآراء في: الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 ،(المسألة 73) ،ص 446– 447 ،وأسرار العربية ، ص 50 .

حال من فاعل (تقع) ، وينتصب جوابه بـ (أعني) محذوف ، والتقدير : وإن تقع ملابسة لليمين أعني جوابه"[1] .

– في حديثه عن (إذا) تطرّق للخلاف في إن هناك من يرى أنها (اسم) ، وآخرون يرون أنها(حرف) ، ثم بعد ذلك قال :" وأمّا على قول من قال إنها حرف فلا ، لأن الحرف لا يُضاف و لا يُضاف إليه"[2].

– يرى بجواز تعليق حروف الجر بالفعل إن كان ناقصاً ككان وأخواتها ، وذلك في قوله :"... مختلف فيه فبعضهم يقول به ، أي بالجواز بناءً على أن الفعل الناقص يدل على الحدث ، وبعضهم يقول بالمنع بناءً على أنه لا يدل عليه ، ... والصحيح أنها كلها دالة عليه إلاّ ليس "[3].

– كان ير أن المجرور الواقع حالاً يُعلّق مع الجار تفضُّلاً بفعل محذوف ، ويظهر ذلك من قوله :" وإن وقع المجرور حال كونه حالاً ، وذلك كقولك (جاءني غلام في ثوب) ، ومثله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) ، فعلِّقه ، أي المجرور مع الجار تفضُّلاً ، إمّا بفعل منقول ضميره إلى المجرور بمعنى (استقرّ ، وثبت ، وحصل ، وكان) ونحو ذلك ممّا يليق بالمقام ، ... ويكون حينئذٍ من قبيل الجملة حال كونه واجب الحذف عندهم ، وإن كان هو الحال في الحقيقة"[4].

فمن خلال كل ما سبق ، يتضح لنا أن المزمّري لم يصرّح بمذهبه النحوي الذي كان يلتزمه في مصنفاته ، ويمكن بعد الإطلاع على هذه المصنفات التي رأيناها ، وبناءً على تلك المواقف من أصول النحو ، والآراء ، أن نقول : إنّه كان كغيره من الكثيرين من النحاة ، يقرأ لجميع المدارس والمذاهب النحوية ، ويستوعب ما فيها ، ويختار منها ما يراه صحيحاً دون تعصب لمدرسة أو لرأي معين ، ودون مخالفة صريحة أو اعتراض لأي مذهب معين .

هذا ، وإن كان الشيخ ظاهر الميل في الكثير من آرائه إلى مدرسة البصرة النحوية ، لكنه لم يُشِر في موضع واحد إلى أنه يتبع مدرسة البصرة ، بل كان يعرض لمذهب البصريين كما يعرض لمذهب الكوفيين ، ولا يُشير أدنى إشارة إلى تفضيل أي مدرسة على الأخرى ، وحين كان يورد مذهب البصريين في آرائه ، لم يقل – على سبيل المثال– أصحابنا ، أو ما شابه ذلك ممّا يدل على انتمائه لهم ، وهو ما يُصعِّب مهمَّة تحديد انتماء محمد بن أُبّ المذهبي .

---

[1] – نيل المراد من لامية ابن المجراد ، ص 13 .

[2] – م ن ، ص 16 .

[3] – نيل المراد من لامية ابن المجراد، ص 21 .

[4] – م ن ، ص 23 .

غير أن الدكتور أحمد جعفري ، يقول في نهاية تحقيقه لكتاب (شرح روضة النسرين في مسائل التمرين) ، الواردة في شافية ابن الحاجب : " وإذا كان شوقي ضيف يُصنِّف ابن الحاجب ضمن أقطاب المدرسة المصرية[1] ، التي نحت اتجاه المدرسة البغدادية ،... وإذا كان محمّد بن أُبّ متأثراً بابن الحاجب ، أو بمن سار على نهجه ... فإنه يمكننا الحكم على انتماء الشيخ المذهبي في النحو إلى المدرسة المصرية"[2]، وذلك لاعتبارات عدة منها[3] :

01 / اعتبار مصر نقطة توقف أساسية في رحلات علماء منطقة توات إلى الشرق والحجاز ، بل إن الشيخ عبد الرحمان بن عمر تلميذ الشيخ ابن أُبَّ أدركه الأجل هناك في مصر .

02 / رسائل ومناظرات علماء منطقة توات مع علماء مصر ، كالمناظرة التي رأيناها في مدخل هذا البحث بين الشيخ المغيلي التواتي (ت909ﻫ) ،وجلال الدين السيوطي المصري (ت911ﻫ)، حول علم المنطق .

03 / اعتماد كثير من المتون والمدائح المصرية النحوية وغيرها في مدارس وزوايا منطقة توت ؛ مثل شافية ابن الحاجب ، والخريدة البهية في العقائد التوحيدية ، وأقرب المسالك على بُلغة السالك في الفقه للدرديري .

04 / دخول كتب ابن الحاجب اللغوية والدينية إلى منطقة توات على يد الرواة ابتداءً من القرن التاسع الهجري ، حيث قدم في عام 890ﻫ ، ولد الباي من طرابلس ، وتجوّل في توات ،ومعه عشرة من العلماء كل واحد منهم يحفظ بعض أصول لمذهب ، وكتب ابن الحاجب ، وعلم المعاني ، والبيان .

ويبدو أن هذا الحكم على منهج المزمّري في النحو فيه شيء كثير من الصحة ؛ وذلك لأن من خصائص المدرسة النحوية في مصر : وضع المتون ، وكثرة الشروح ، وكثرة المنظومات ، والتدريب على الإعراب ، والألغاز النحوية ، والاهتمام بشواهد الشعر ، والاستشهاد بالقرآن الكريم ، والاستشهاد بالحديث النبوي ، والاجتهاد[4] .

---

[1] – المدارس النحوية ، ص 343 .

[2] – شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، ص 210 .

[3] – م ن ، ص 210- 211 .

[4] – المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1990ﻫ ، ص 440 وما بعدها .

وتلك سمات لمسناها كلها – ما عدا الاحتجاج بالحديث الشريف– في مسيرة هذا الرحلة مع شخص العالم محمد بن أُبّ المزمّري.

الخاتمة

الخاتمة :

إنّه من فضل الله تعالى عليّ أن وفّقني لإتمام هذه الرحلة المضنية مع شخص العالم محمّد بن أُبَّ المزمّري بحثاً عن جهوده في النحو العربي من خلال مؤلفاته ، وما أروع تلك السويعات التي كنت أقضيها في ربوع تلك الآثار والمصنفات ، التي تعكس فكر الرجل ، والتي بفضلها يمكن أن يُسَجَّلَ اسمه ضمن مصافِّ الأعلام النحاة .

وبعد دراسة تلك الجهود والتطواف معها نستطيع أن نقول : إن هذه الدراسة قد وضعت أيدينا على الحقائق التالية ، والتي تعد أهم النتائج التي توصّلنا إليها ، وهي :

01/ انقسام منطقة توات إلى ثلاثة مناطق : قورارة ، وتوات الوسطى ، وتديكلت .

02/ قدرة علماء منطقة توات على تحصيل العلم أينما كان ، حتى نبغ فيهم العلماء والأدباء الذين تولوا الإفتاء والتدريس ، وكذا إدارة الزوايا التعليمية .

03/ تعتبر منطقة توات منطقة أمان واستقرار ، الأمر الذي جعلها محجَّ الثقافات المتعددة ، وقبلة لكل ذي حاجة ، فكانت المنطقة في تلك الحقبة أرضاً خصبة للعلوم والمعارف ، حيث وفد إليها العلماء من شتى الأمصار ، فصارت ملتقى الأفكار العلمية بما تحويه من الزوايا الكبرى التي تأسست بفضلهم .

04/ لقد اتخذ التصنيف النحوي في منطقة توات طابعاً خاصاً في معظم أحواله ، حيث جاء في صورة متون ومختصرات ، وشروح لها ، وقلَّما تجد مصنفاً قد خرج عن هذا الطابع .

05/ إن كانت المتون والشروح غير صالحة لتعليم النحو – في نظر البعض– لأنها تعقيبات واستدراكات ، فإنّها بلا شك تفيد المتخصصين في بحوثهم النحوية بوجه خاص ، واللغوية بوجه عام ، على أنها ضرورية بالنسبة للمتعلمين في تعديل مسار القاعدة وتصويبها من بعض الجوانب ، فلا ينبغي أن نستهين بهذا النوع من المصنفات ، وأن نعدها تراثاً مهملاً غير موائم لعصرنا .

06/ تعتبر شخصية محمّد المزمّري شخصية جامعة للمناطق التواتية الثلاثة ؛ فهو تديكلتي المولد ، تواتي المنشأ والتعليم ، قوراري المدفن والمضجع الأخير .

07/ كثرة الإطناب في الترجمة لشخصيته ، وهذا راجع لشهرته ، فلا نكاد نعثر على كتاب لتراجم أعلام المنطقة إلاّ وفيه ذكر مطول لشخصية العالم ابن أُبَّ المزمّري.

08/ إن الرّجل كان قمة في حسن العشرة ، والوفاء إلى مشايخه ، شغوفاً بالعلم ضجوراً وقلقاً على مستقبل طلبته .

09/ كانت ثقافته متنوعة ومتعددة المشارب ، وظهرت في المجالات التي كتب فيها ، فلم يترك مجالاً إلاّ وكتب فيه ، كالعقيدة ، والفقه ، والسيرة ،والنحو ، والصرف ، والبلاغة ،والعروض، وكان كل ذلك في الغالب على طابع شعري .

10/ تفوَّق في علم العروض إلى الحد الذي تمكن فيه من إضافة بحره الجديد ، الذي سماه ببحر المضطرب .

11/ إنّ عام وفاة الشيخ (1160ﻫ) ، هو عام حزن بالنسبة لمنطقة توات ،حيث غارت عيون عدة أنفاس لعلماء كبار في المنطقة خلال هذه السنة كما رأينا .

12/ كان له الدور البارز في تيسير النحو ، وتذليل صعوبته على المتعلمين الناشئة ، وتمثل ذلك في وضع المادة النحوية داخل منظومات كي يسهل حفظها ، وتُضبط قواعدها ، وكذلك شرحه للمختصرات النحوية وتوضيح مبهمها ، وكذا ابتعاده من كثرة الخلافات النحوية والتعليلات المفرطة .

13/ لا نكاد نجد في مصنفاته النحوية ألواناً من التجديد والابتكار في الآراء إلا ما تمثل في طريقة ترتيب المادة العلمية ، وتصنيفها كما فعل مع مقدمة الآجرومية ، وجمع الحشود من الأقوال والآراء، واختيار بعضها أو ترجيحه ، إذ كان في كثير من الأحيان متَّبِعاً في هذه الاختيارات أو الترجيح صاحب المختصر الذي يشرحه أو جمهور النُّحاة ، كما فعل في شرحيه للامية ابن المجراد ، ومسائل التمرين لابن الحاجب .

14/ لا شكّ أن مصنفاته هذه تحمل بين دفتيها قيمة علمية عظيمة ، إذ هي مصنفات تعليمية صالحة للتلقي .

15/ لم تغض طريقته في التدريس ، وعدم ميله إلى التجديد والابتكار من قيمة ما بذله في حفظ التراث ، لأنه وجّه كل همّه إلى الاحتفاظ بهذا التراث خوفاً عليه من الضياع والاندثار ، واستغلّ ذلك في تلقينه لطلابه ، ولولا جهوده هذه ما وصلت إلينا بعض مصنفات من سبقوه فضلاً عن مصنفاته .

16/ أدى احترامه للمسموع أن جعل القرآن الكريم في المرتبة الأولى بين مصادر الاحتجاج في النحو .

17/ لم يخرج موقفه من الاستشهاد بالحديث الشريف عن موقف جمهور النحاة من عدم الأخذ به مصدراً من مصادر الاستشهاد ، وفي الوقت نفسه لم يشأ أن يُصرِّح بموقفه هذا .

18/ التزم المزمّري في الاستشهاد بما أجمع عليه النحاة من الاحتجاج بأشعار الطبقات الثلاث ، من الجاهليين و المخضرمين والإسلاميين ، ولكنّ ذلك جاء في الأشعار التي لم يُصرِّح بأسماء قائليها، أمّا التي صرّح بها – كما رأينا– فقد خرج بها عن عصر الاحتجاج الذي وضعه النحاة .

19/ احتجّ بأبيات مجهولة القائل على الرغم من منع بعض النحاة ذلك ، غير أن البيت المجهول القائل –كما عرفنا – إن صدر من ثقة وعُرف راويه يصح الاحتجاج به ، ولذا كانت شواهد سيبويه موضع ثقة .

20/ احتج بلغات العرب وأمثالهم مع الاحترام لها.

21/ توفيقه في توظيف المصطلح النحوي داخل رسائله بصورة موسعة، كان الميل فيها إلى الاصطلاح البصري .

22/ أثبتت الدّراسة جهود محمد بن أُبَّ في مدى اعتداده بأصول النحو ، كنظريتي العلة والعامل ، فضلاً عن اعتماده على القياس ، والسماع الذي يؤيد القياس في كثير من المسائل .

23/ اعتماده في التعليل على العلل التعليمية حرصاً منه على الابتعاد من التعقيد ، ومن أجل بلوغ هدفه التعليمي .

24/ عوّل في كثير من آرائه على المدرسة البصرية ، مع القليل من الآراء الكوفية ،كما انفرد بآراء تدل على تبحره في هذا الفن .

25/ انتماء الشيخ إلى المدرسة المصرية التي نحت اتجاه المدرسة البغدادية القائمة على الانتخاب من كلا المذهبين البصري والكوفي .

كانت تلك أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدّراسة ، والتي كنت فيها مجرد باحث لا مؤلف ولا مبدع ، ولقد بذلت قُصارى جهدي وعصارة فكري ، فأرجوا أن أكون قد ألقيت شيئاً من الضوء على شخص النحوي محمّد بن أُبَّ ، هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان غير ذلك فحسبي أنّي أخلصت النية في هذا العمل ، ونأمل أن تتيح لنا الأيام تلافي ما أمكن من ذلك .

كما نأمل كذلك بعد كل هذا ، أن تكون نهاية بحثنا بداية لبحوث أخرى تثري المكتبة الجزائرية، ونلفت النظر بذلك إلى ضرورة الاهتمام بمصنفات محمّد بن أُبَّ الكثيرة ، و الحبيسة في مخازن دور الكتب والمخطوطات التواتية ، والتي أراها جديرة بالتحقيق والدراسة ، لأن ما بقي منها مخطوطاً أكثر وأضعاف ما طبع ونشر ، فلا بدّ أن تتكاثف الجهود لإخراج هذا التراث من الظلمات إلى النور ، خدمة للتراث اللغوي من جهة ، ومساهمة في كسر جدار الصمت المخيم على المخطوطات من جهة أخرى .

وأخيراً ... وبعد أن نثني عنان القلم ، نكرّر الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم ، رواية ورش عن نافع .

ثانياً :**المخطوطة**

1) – أبيات في البحور المهملات ودوائرها ، محمد بن أُبَّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73) ، أدرار

2) أسماء البحور وأوزانها ، محمد بن أُبَّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73)، أدرار.

3) أوزان البحور المهملات ، محمد بن أُبَّ ،مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73) ، أدرار.

4) جوهرة المعاني في التعريف بعلماء الألف الثاني ، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، مخطوط بخزانة المطارفة ،أدرار .

5) دُرر النحور في فك البحور ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ،(ص ب 73)، أدرار.

6) الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينلاني ، مخطوط بخزانة بن الوليد وليد أدرار .

7) دعاء على حروف قوله تعالى : ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، محمد بن أبَّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد ،(ص ب 73)، أدرار.

8) رحلة إلى الديار التواتية لزيارة قبر الوالد ، ضيف الله بن محمد بن أُبَّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد (ص ب 73)، أدرار.

9) روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل ، محمد بن أبَّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد،(ص ب 73)، أدرار.

10) قصيدة في مدح مولاي عبد المالك الرقاني ، محمد بن أُبّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73) ، أدرار .

11) كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم ، محمد بن أب المزمري ، مخطوط بخزانة ابن الوليد(ص ب 73) ، أدرار ، و خزانة الشيخ باي ، أولف .

12) محاضرة حول التعريف بحياة الشيخ الإمام محمّد بن أُبَّ المزمِّري ، محمد باي بلعالم ، مخطوط بخزانة الشيخ باي ، آولف .

13) محاضرة حول منظومات السيرة النبوية ، جلال شوقي ، جامعة قطر .

14) مقدم العي المصروم شرح على نظم ابن أبّ لآجروم ، محمد بن بادي ،مخطوط (طبعة حجرية) .

15) منظومة في أمثلة المتعدي واللازم من الرباعي المجرّد ، محمد بن أُبّ ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73) ، أدرار .

16) نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم ، محمد بن أبّ المزمِّري ، مخطوط بخزانة ابن الوليد وليد(ص ب 73) ، أدرار ، وخزانة الشيخ باي آولف .

17) نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعلماء العالمين الثقات، ومعه حديث جابر ، ، أحمد الطاهري، مخطوط (طبعة حجرية) .

18) نيل المراد من لامية ابن المجراد ، محمد بن أب المزمري ، مخطوط بخزانة ابن الوليد ،(ص ب 73) ، أدرار .

ثالثاً : المطبوعة

19) أبحاث في اللغة والنحو والقراءات ، محمود حسني مغالسة ، دار البشير ، عمان ، ط1 ، 2002م.
20) ابن هشام وأثره في النحو ، يوسف عبد الرحمان الضبع ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1998م.
21) أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو ، دراسة إبراهيم البنا ، دار بوسلامة ، تونس ، ط1، 1980م.
22) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، تح : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، دط ، 2007م .
23) أثر القراءات في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم ،دار المعارف ،القاهرة ، دط ، 1978م .
24) إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2003م .
25) أخبار النحويين البصريين ، السيرافي، تح :محمد إبراهيم البنّا ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط14 ، 2006م .
26) أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، 2004م .
27) الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القاعدة النحوية ، مكاتبة بين الدماميني و البلقيني ، تح : رياض بن حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1998م .
28) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1988م .
29) أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، تح: بركات يوسف هبود ، دار الأرقم ،لبنان ،ط1 1999م.
30) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، محمود فهمي حجازي ، دار غريب ، القاهرة ، دط ،دت.
31) الأشباه والنظائر في النحو ، السيوطي ، تح: فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1996م .
32) إصلاح المنطق ، ابن السكيت ، تح : عبد السلام هارون – محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، دت .
33) أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ،2006م.
34) الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو – فقه اللغة- البلاغة ، تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، دط ، 2000م .
35) الأصول في النحو ، ابن السراج ، تح: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1999م .
36) أصول النحو دراسة في فكر الأنبا ري، محمد سالم صالح ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، 2006م.
37) أصول النحو العربي ، محمد خير الحلواني ، الناشر الأطلسي ، الرباط ، ط2 ، 1983م .
38) أصول النحو العربي ، محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، دط ، 2002م.

39) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 1997م .

40) أصول النحو عند ابن مالك ، خالد سعد محمد شعبان ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ،2006م .

41) إعراب الحديث النبوي ، العكبري ، تح : عبد الإله نبهان ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1989م .

42) الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ،الزركلي،دار العلم للملايين، بيروت ،ط15 ،2002م .

43) الإغراب في جدل الإعراب ، ولمع الأدلة في أصول النحو ، الأنباري ، تح : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، دط ، 1975م .

44) الاقتراح في علم أصول النحو ، السيوطي ، تح : حمدي مصطفى خليل ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط2 ، 2001م .

45) أمالي السهيلي ، في النحو واللغة والحديث والفقه ، تح : إبراهيم البنا ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،دط ،2002م .

46) الأمثال العربية في العصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، محمد توفيق أبو علي ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1988م.

47) إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء العبكري ، تح : نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط1 ،2002م .

48) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، الأنباري ، تح : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ط1 ، 2003م .

49) أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي) ،محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، ط2، 2007م.

50) الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تح : مازن المبارك ، دار النّفائس ، بيروت ، ط4 ، 1982م.

51) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط2 ، 1979م.

52) البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، دت .

53) تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون ،تح : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، دط ، 2000م .

54) التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ ، الصديق حاج أحمد، مديرية الثقافة لولاية أدرار،ط1 ،2003م.

55) تاريخ السودان ، عبد الرحمان السعدي ، طبعة هوداس ، باريس ، دط ، 1964م.

56) تاريخ النحو وأصوله ، عبد الحميد السيد ، مكتبة الشباب ،القاهرة ، دط ، دت.

57) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ، أبي البقاء العكبري ، تح : عبد الرحمان بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1986ْ .

58) تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري ، يحي عطية عبابنة ، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط1 ، 2006ْ .

59) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، إشراف :محمد بنيس ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 2006ْ.

60) تقريب النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تح : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث، طنطا ، دط ، 2002ْ .

61) تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد ، ابن هشام ، تح : عباس مصطفى الصالحي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1986ْ.

62) تهذيب سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تح : شعيب الأرنؤوط ،وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 ، 1991ْ .

63) توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850إلى 1902ْ ، أحمد العماري ، منشورات كلية الآداب بفاس ، المغرب ،ط1 ، 1988ْ .

64) توات والأزواد ، محمد الصالح حوتية ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دط ، 2007ْ .

65) جامع الدروس العربية ، الغلاييني ، تح : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط1 ، 2007ْ .

66) الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري ، مصطفى سعيد الصليبي ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 1996ْ.

67) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمان الثعالبي ، تح :أبي محمد الغماري الأدريسي الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1996ْ .

68) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ، دار السلام ، القاهرة ، ط2 ، 2005ْ.

69) الحجة في القراءات السبع ، ابن خالويه ، تح : عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط1، 2000ْ .

70) الحديث النبوي في النحو العربي ،(دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربي ودراسة نحوية للأحاديث الواردة في أكثر شروح ألفية ابن مالك) ،محمود فجال ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط2 ، 1997ْ.

71) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1988ْ .

72) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، البغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1998ْ

73) الخصائص ، ابن جني ، تح : عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، دط ،دت .

74) خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري ، سعود بن غازي ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2005ْ.
75) الخلاف بين النحويين ، سيد رزق الطويل ، المكتبة الفيصلية ،مكة المكرمة ،ط1 ، 1985ْ.
76) دراسات في العربية وتاريخها ، محمد الخضر حسين ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ، ط2 ، 1960ْ .
77) دراسة في الشعر الجاهلي ، زكريا صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1984ْ.
78) دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء ، المختار أحمد ديرة ، دار قتيبة ، بيروت ، ط1، 1999ْ.
79) الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجروم ، أحمد الطاهري ، مطبعة الواحات ، غرداية ، دت.
80) دروس في المذاهب النحوية ، عبده الراجحي ، دار المعرفة ، الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 1992ْ .
81) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، عبد السلام المسري ، دار الفكر ، بيروت ،÷ ط1 ، 1997ْ .
82) دور نحاة القرن العاشر الهجري في حفظ التراث النحوي ، أحمد محمد عبد الرضى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ْ.
83) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ، ابن فرحون المالكي ، تح : مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1996ْ .
84) ديوان الأعشى ، شرح : محمد محمد حسن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1983ْ.
85) ديوان جميل بثينة ، تح : حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، دط ، دت .
86) الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، محمد باي بلعالم ، دار هومة ، دط، دت .
87) الرحلة المغربية ، محمد العبدري البلنسي ، تق:سعد بوفلاقة ، منشورات بونة ، الجزائر ، ط2،2007ْ.
88) الرّد على النحاة ، ابن مضاء ، تح: محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2007ْ .
89) سلسلة علماء توات ، عبد الحميد بكري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزائر ، دط، دت
90) سلسلة النوات في أبرز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات ، مولاي التهامي غيتاوي ، المطبعة الحديثة ، دط، 2005ْ.
91) السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، عبد الرحمان الحاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، دط ، 2007ْ.
92) سنن الترمذي ، تح : أحمد محمد شاكر ،دار المعارف،القاهرة ، دط ، 1354ْ.
93) شذا العرف في فن الصرف ، الحملاوي ، تح محمد بن عبد المعطي ، دار الكيان ، الرياض ، ط1 ، 2005ْ .

94) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،تح ، محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دط، 1997م.

95) شرح شافية ابن الحاجب ، الإستراباذي ، تح : محمد نور حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1982م.

96) شرح شذور الذهب ، ابن هشام ، تح: محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،لبنان،دط،2002م.

97) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام ، تح: إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2007م.

98) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، ابن مالك ، تح: طه محسن ، دار آفاق عربية ، العراق ، دط ، 1985م .

99) الشيخ محمد بن بادي الكنتي حيلته وآثاره ، الصديق حاج أحمد ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، دط ، 2007م.

100) الصحراء الكبرى وشواطئها ، إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط ،1983م .

101) صحيح البخاري ، شركة الشهاب ، الجزائر ، دط ، 1990م.

102) صحيح مسلم ،تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ، دط ، دت .

103) صفحات من تاريخ منطقة آولف ، عبد المجيد قدي ، أبحاث للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2007م.

104) طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،مصر ، ط2 ،1973م.

105) عصور الاحتجاج في النحو العربي ، محمد إبراهيم عبادة، دار المعارف ، القاهرة ، 1980م .

106) العلة النحوية – تأريخ وتطور حتى نهاية القرن السادس الهجري – ، محمود جاسم الدرويش ، مطبعة السطور ، بغداد ، ط1 ، 2002م

107) علل النحو ،أبي الحسن الوراق ، تح : محمود محمد محمود نصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2002م .

108) علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2006م.

109) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، الغبريني ، دار البصائر ، الجزائر ، ط1، 2007م .

110) الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني ، محمد باي بلعالم ، دار هومة ، الجزائر،دط،2004م .

111) فتاوى في العربية ، ابن مالك ، تح : أحمد عبد الله المغربي ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، الإمارات ، ط1 ، 2004م.

112) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الولاتي ، تح : محمد إبراهيم الكتاني- محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1981ْ.
113) الفروق اللغوية ، العسكري ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2 ، 2003ْ.
114) في أدلة النحو ، عفاف حسانين ، المكتبة الأكاديمية ،القاهرة ، ط1 ، 1996ْ .
115) في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، لبنان ، دط ،دت.
116) في أصول النحو ، صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2005ْ.
117) القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، تح : أبو الوفا نصر الهوريني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 2007ْ
118) قبيلة فلان في الماضي والحاضر ، محمد باي بلعالم ، دارهومة ، الجزائر دط ، دت .
119) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، عبد الفتاح القاضي،دار الكتاب العربي ، بيروت ،دط ، 1981ْ .
120) قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، محمد عبد العزيز سيدي عمر ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2002ْ .
121) القياس في اللغة العربية ، محمد الخضر حسين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط، 1986ْ .
122) القياس في اللغة العربية ، محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1995ْ.
123) القياس في النحو ، منى إلياس ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1985ْ.
124) القياس في النحو العربي (نشأته وتطوره) ، جاسم الزبيدي ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 1997ْ .
125) الكتاب ، سيبويه ،تح : إميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط1 ، 1999ْ.
126) كتاب العبقري في حكم سهو الأخضري ، محمد بن أب المزمري ،جمع : عبد الجليل أبو أحمد ، مكتبة المعارف ، تيميمون ، دط ،دت .
127) كتاب العروض ، الأخفش ، تح : سيد البحراوي ، مراجعة : محمود مكي ، فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط ، 1986ْ .
128) كتاب الوفيات ، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ، تح : عادل نويهض ، دار المعارف ، بيروت ، ط4 ، 1983ْ .
129) لامية في النحو ، الآثاري ، تح : هلال ناجي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1999ْ .
130) اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ، 2000ْ .
131) اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط4 ، 2004ْ
132) متن الآجرومية ، ابي عبد الله ابن آجروم الصنهاجي ، دار عمر بن الخطاب ، القاهرة ، ط1 ، 2007ْ.

133) متن ألفية ابن مالك ، ابن مالك ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط2 ، 2007م .
134) متن الهمزية في مدح خير البرية ﷺ ، البوصيري ، مكتبة المعارف ، تيميمون ، أدرار ، دط ،دت .
135) متون في اللغة العربية،(كتاب العوامل ، عبد القاهر الجرجاني) ، (شافية ابن الحاجب)، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2005م .
136) محاضرات في أصول النحو ، التواتي بن التواتي ، مطبعة روبغي ، الأغواط ، ط1 ، 2006م
137) محمد بن أبّ المزمّري حياته وآثاره ،ويليه مخطوط شرح روضة النسرين في مسائل التمرين ، تح ، أحمد أبا الصافي جعفري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط03 ، 2008م .
138)مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ط1 ، 1993م .
139) المختار المصون من أعلام القرون ، من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر ، محمد حسن بن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط1 ،1995م.
140) مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك ، عبد الرحمان الأخضري ، دط ،دت .
141) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، ابن سيدة ، تح : عبد الستار أحمد فرّاج ، ط1 ، 1985م.
142) المدارس النحوية أسطورة وواقع ، إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ، الإسكندرية ، ط1 ، 1987م .
143) المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 09 ، دت .
144) مدخل إلى أصول النحو ، محمد خان ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، دت .
145) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مهدي المخزومي،دار الرائد العربي ، لبنان ، ط3 ، 1986م.
146) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1990م .
147)المدخل إلى علم النحو والصرف ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، دت .
148) مسائل خلافية في النحو ، العكبري ، تح : عبد الفتاح سليم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 2004م .
149) مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2003م.
150) المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث ، إيناس كمال الحديدي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1 ، 2006م
151) المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري) ، عوض حمد القوزي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1981م .
152) المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون ، مختار بوعناني ن دار هومة ،الجزائر ، دط ، 2001م.
153) معاني القرآن ، الأخفش ، تح : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 2003م.

154) معاني القرآن ، الفراء ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2002ﻡ
155) معجم مشاهير المغاربة ، أبو عمران الشيخ وآخرون ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ، جامعة الجزائر ، 1995ﻡ .
156) معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، قصر الثقافة ، دار الثقافة ، الجزائر ، دط ، دت .
157) معجم المقاييس في اللغة ، ابن فارس ، تح : شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، دط،دت.
158) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تح : محمود البكار ، دار السلام ، القاهرة ، ط2 ، 2005ﻡ .
159) المفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري ، تح علي بوملحم ، دار الهلال ، لبنان ، دط ، 2003ﻡ
160) المفيد في المدارس النحوية ، إبراهيم عبود السامرائي ، دار المسيرة ، الأردن ، ط1 ، 2007ﻡ.
161) المقتضب ، المبرد ، تح حسن حمد وإميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2007ﻡ .
162) المقدمة ، ابن خلدون ،نسخة محققة لونان بإخراج جديد، دار الفكر ، بيروت ،دط ، 2004ﻡ.
163) ملاحن القراء ، بن حامني ، تح : عبد الله بن عمر ، دار الفكر ، لبنان ، دط ،دت .
164) مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، حسين هنداوي ، دار القلم ، دمشق، دط ، دت.
165) المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف) ، المازني ، تح : إبراهيم مصطفى ، مطبعة الحلبي ،مصر، ط1 ، 1945ﻡ.
166) المؤلفات الصوفية في الجزائر ، عبد المنعم القاسمي الحسني ، تق: عمار جيدل ، دار الخليل ، بوسعادة،الجزائر، ط1 ، 2005ﻡ.
167) المورد العنبري لمعاني العبقري ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن باعومر ، جمع و تح : عبد الجليل أبو محمد ، مطبعة المعارف ، تيميمون ، دط ،دت .
168) نتائج الفكر في النحو ، السهيلي ، تح : محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض ، الرياض ، ط2 ، 1984ﻡ.
169) النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، عبد الحميد بكري ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر،ط2 ،2007ﻡ .
170) النحو التعليمي في التراث العربي، محمد إبراهيم عبادة ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، دط ، دت.
171) نحو الجمل ، المرادي ، تح : مختار بوعناني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، دط ، 1995ﻡ.
172)النحو العربي ، صلاح رواي ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2003ﻡ .
173) النحو الوظيفي عبد العليم إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ،1998ﻡ.
174) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد عرفة ،دون مكان الطبعة ، دط ،دت

175) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،الأنباري ، تح : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط3 ، 1985ْ،

176) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، تح : محمد حسين عقيل ، دار الأندلس، جدة ، دط ، 1991ْ

177) نزهة الطرف في علم الصرف ، ابن هشام ، تح : أحمد عبد المجيد هريدي ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، 1990ْ .

178) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، دار المنار ، دط ، 1991ْ .

179) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري ،مراجعة:علي محمد الضباع،دار الكتب العلمية،بيروت،دط،دت

180) نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، حسن خميس الملخ ، دار الشروق ، الأردن ، ط1 ، 2001ْ.

181) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ،حسن خميس الملخ ،دار الشروق ، الأردن ، ط1،2000ْ.

182) نظرية العامل في النحو العربي (عرضاً ونقداً) ، وليد عاطف الأنصاري ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن، ط2 ، 2006ْ .

183) وضع المصطلحات ، محمد طبي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، دط ، 1992ْ .

رابعاً : المجلات والدوريات

184) ابن هشام الأنصاري وأصول النّحو العربي ، عوني أحمد أحمد ، اللغة العربية ، مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر، العدد17 ، 2007ْ.

185) الاحتجاج اللغوي ، صالح بلعيد ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية ، العدد01 ، السنة الأولى ، ماي 2005ْ.

186) الخليل بن أحمد والقراءات القرآنية ، التواتي بن التواتي ، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، مجلة لغوية علمية تصدر عن المجمع ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ديسمبر ، 2006ْ.

خامساٍ : المذكرات والرّسائل الجامعية

187) الأصول النحوية عند المدرسة الأندلسية ، عبد العزيز المرسي الحداد ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر، قسم اللغويات ، 2005ْ .

188) ألفية الغريب للزجلوي ، دراسة وتحقيق ، عبد القادر بقادر ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة أدرار ، 2009/2008ْ .

189) إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتا سع عشر الميلاديين ، فرج محمود فرج ، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ ، جامعة الجزائر ،1977ْ.

190) الدرس النحوي في الجزائر بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (دراسة في الأعلام والمناهج) ،بن دحان شريف ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، المركز الجامعي بشار ، 2006/2005ْ.

191) ظاهرة التعليل في النحو عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص ، جاب الله يازيد ، مذكرة معدَّة لنيل شهادة الماجستير، في تخصص الدراسات اللغوية النظرية ، جامعة الجزائر ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2005/2004ْ.

192) قراءة نافع وأثرها في الدراسات اللغوية والتفسيرية ، رابح دفرور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، قسم الكتاب والسنة ، (1995- 1996ْ) .

193) القول البسيط في أخبار تمنطيط ، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم ، تح: فرج محمود فرج ، تابع لأطروحة الدكتوراه ، الجزائر،1977ْ.

194) اللغات العربية في تفسير المحيط لأبي حيان ، دينا محمد ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والنحو والصرف ، جامعة أم القرى ، السعودية ، فرع اللغة ، 1995ْ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	أ
المدخل : منطفة توات وإسهامها في الدرس النحوي .	07
الفصل الأوّل : محمّد بن أُبَّ المزمّري حياته وآثاره .	17
المبحث الأول : حياة محمّد بن أُبَّ المزمّري.	18
01 / اسمه ونسبه.	19
02 / مولده ونشأته .	21

03 / شيوخه وتلاميذه .	22
04/ طريقته في التدريس .	24
06 / علمه وأخلاقه ورحلاته .	25
05 / آراء العلماء فيه .	27
07 / آثاره .	29
08 / مظاهر ثقافته من خلال آثاره .	48
09 / وفاته .	54
المبحث الثاني: آثاره النحوية(قراءة في :العنوان،والطريقة ، والموارد،والمحتوى ،والأهمية).	56
01 / نيل المراد من لامية ابن المجراد .	58
قراءة في العنوان .	59
الطريقة المتبعة في الشرح .	59
موارده في انتقاء المادة .	61
المحتوى .	68
02 / نظم مقدمة ابن آجرُّوم .	74
03 / نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم .	74
قراءة في العنوان .	75
04 / كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم .	75
قراءة في العنوان .	76
الطريقة المتبعة في هذه الرسائل .	76
مصادره في انتقاء المادة .	77
المحتوى .	78
05 / روضة النسرين في مسائل التمرين .	89
06 / شرح روضة النسرين في مسائل التمرين .	89
قراءة في العنوان .	90
الطريقة المتبعة في الرسالتين (النظم ، والشرح) .	90
موارده في انتقاء المادة .	91

المحتوى .	94
* أهمية هذه الآثار النحوية .	97
الفصل الثاني : بوادر المزمِّري الاجتهادية في النّحو وأصوله .	100
المبحث الأول : مصادره في الاستشهاد النحوي .	101
* مصادر الاستشهاد النحوي .	102
أ – الاستشهاد : 1/ تعريفه اللغوي . 2/ الاصطلاح النحوي .	102
ب – الاحتجاج : 1/ تعريفه اللغوي . 2 / المعنى الاصطلاحي .	103
ج – التمثيل : 1/ تعريفه في اللغة . 2 / الاصطلاح النحوي .	104
01 – القرآن الكريم .	105
موقف النحاة من القراءات .	108
ابن أُبّ والشواهد القرآنية .	111
02 – الحديث النبوي الشريف .	120
تعريف الحديث : لغة ، اصطلاحاً .	120
موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف .	121
موقف محمّد بن أُبّ من الاستشهاد الحديث الشريف .	129
03 – الشعر العربي .	131
النحاة و الاحتجاج بالشعر .	132
المزمِّري والاحتجاج بالشعر العربي .	136
04 – الأقوال والأمثال .	141
المزمِّري والاستشهاد بأقوال العرب وأمثالهم .	142
05 – اللغات .	143
المزمِّري ولغات العرب .	144
المبحث الثاني : منهجه في الدرس النحوي .	145
أ – ابن أبَّ وأصول النحو .	146
1 / توظيف المصطلح النحوي .	146
تعريف المصطلح : لغة ، اصطلاحاً .	146

قضية المصطلح عند النحاة .	146
المزمّري وتوظيفه للمصطلح النحوي .	151
2 / موقفه من السّماع اللغوي .	154
تعريف السّماع : لغة ، واصطلاحاً .	154
شروط السّماع .	154
موقف البصريين والكوفيين من السماع .	155
مصادر السماع .	155
موقف المزمِّري من السّماع .	156
3 / موقفه من القياس النحوي .	156
تعريف القياس : لغة ، الاصطلاح العام ، الاصطلاح النحوي .	157
أقسام القياس .	158
موقف البصريين والكوفيين من القياس .	159
موقف محمّد بن أُبَّ من القياس .	159
4 / موقفه من التعليل النحوي .	162
تعريف العلة : لغة ، واصطلاحاً .	162
أقسام العلة .	162
موقف النحاة من العلل .	163
موقف محمّد بن أُبّ من التعليل النحوي .	166
5 / نظرية العامل النحوي .	168
مفهوم العامل : لغة ، واصطلاحاً .	168
أقسام العامل.	169
فكرة العامل بين القدماء والمحدثين .	171
موقف المزمِّري من نظرية العامل .	172
ب – موقفه من آراء النحاة .	175
01 / ما وافق فيه البصريين .	175
02 / ما وافق فيه الكوفيين .	178

03 / اختياراته النحوية .	179
الخاتمة .	182
قائمة المصادر والمراجع .	187
فهرس الموضوعات .	199